

كِتَابٌ

﴿ مسموم الاسنة والسهام ﴾

« في الرد على من شوشوا الأفكار بدعوى تنوير الافهام »
(أصاب بها صدور سفهاء المبشرين (محمد الجنيهي المسكين)

﴿ وبذيله السؤال العجيب . في الرد على أهل الصليب ﴾
لناظمه الزاجي شفاعة خير البريه « أحمد علي المليحي
الشهير بالكتيبة الازهرية

ذروني بالعتاب وبالملام • اعاني صدع افئدة اللثام
فعباد الصليب وقد اطالوا • فبيح القول في خير الانام
اساؤنا فجنناهم سراعا • بمسموم الاسنة والسهام

﴿ مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾

« حضرة الشيخ احمد علي المليحي الكتبي قريبا من الجامع الازهر بمصر »
(حقوق الطبع محفوظة للمنشي والملتزم المذكورين)

(طبع بمطبعة الاصلاح بشارع درب الجمايز بمصر)

﴿ مقدمة الكتاب ﴾

لقد عاش المسيحيون والمسلمون دهرًا طويلًا من عهد نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم حتى الآن والكل تكثفهم حيطة الأمن وكلاءة
حفظ السلام متى كانوا في حوزة ملك واحد متحايين لا يفتقل
قلوبهم عن الوفاق في الأمن والراحة وحفظ الجوار اختلافهم في
الدين الى أن ظهرت في هذا الزمن الشرذمة الضالة من كل ملة
واعتدى بمض افرادها من أهل اللسانة والجدل على الاديان والمتدينين
وأثاروا الفتن وأهاجوا نيران الحقد والحسد في قلوب الأمم بالتداخل
بين كل أمتين متفتتين وبين المتدينين حتى غرسوا أصول العداوة
والبغضاء في قلوب العامة والخاصة وجعلوا التمدن الواسطة العظمى
لهم في افساد الاعتقادات والتباين في الارادات والمراد. حتى علا
في الناس صوت الاعتدا وصات سيوف البغي وكان البادىء بذلك
أسافل المسيحيين فنهضوا على الدين الاسلامي نهضة الاحمق العجول
يحاولون استئصال أصوله بكل مافي قدرتهم ولكن الله سبحانه وتعالى
جعل بينه وبينهم سدا فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له
تقبًا كل ذلك والمسلمون سكوت لا ينطقون رجاء خزي الزائغين
وارتداعهم عن الظغيان والبغي حتى طال تطاولهم واستطالت ألسنتهم

وأصبحوا لا خجلين ولا خائفين وكان من تفنهم في الضلال والاضلال
أن جاؤا بتضاملات سموها كتباً بعضها كاللقيط الذي لا يعرف له أب
والبعض وضعوا عليه أسماء يجهل المسلمون مسمياتها وما كانت الا
خدعة ليقع المسلمون في أعراضهم فيكون ذلك سبباً للتخاصم فلما طال
علي المسلمين الأمد قام الاستاذ الجليل المعروف بالفضل والمعروف
خادم الدين . وتابع العلماء العاملين . حضرة الشيخ « أحمد المليجي »
الكتبي الشهير فيما بين افراد تلك الشريعة ناصحاً فما قبلوا نصحه ولما
توغلوا في طغيانهم سألهم سؤالا عجيباً فما أجابوه الا بالطعن والسب
في خاتم النبيين الذي تعالى وتقدس مجده عن السب والطعن وكان
قد دعاني الى الرد عليهم واذا بكتاب جاءنا منهم موسوماً باسم تنوير
الافهام معزواً لاسم لانرف مسياه وانا لنتبرأ الى مسمى هذا الاسم
من كل خطأ أو غلط أو زجر أو توبيخ تأتي به قرائن الأحوال فانا
لا نقصد بذلك الا من نقات عنهم تلك الاباطيل والقوم الذين يسبون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون في كتاب الله ودينه القويم
ولذلك نقول والله يقول الحق ويهدي السبيل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه وارزقنا ببركته نصراً على الملحدين وتأيداً ولقد قال القائل أليالي من الزمان جبالى * مثقلات يلدن كل عجيبة واقول

اذ عبيد الصليب عابوا رسولا * ذا كتاب ازال كل مريبه
خاصمونا سفاهة في حمانا * واستطالوا وانها لمصيبه
يا آله العباد ياخير قاض * لا يحابي من استحق العقوبه
ايد الحق يامهيمن وامنح * كل باغ من العقاب نصيبه
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

ايها الناس ألا هل من متعجب يتعجب من هذا العجب . الا هل من ساخط على كل ذي وقاحة يسيء الادب . الا هل من زاجر يزجر كلاب المجزرة لينودهم عن عرش الطهارة وقد حاولوا ان يدنسوه بأفواههم الملوثة (وماربك بغافل عما يعمل الظالمون) انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (ثم اقول)

يقولون ان العلم نور لأهله * ولكنهم لم يعلموا ماهو العلم
وماالعالم الا أن يرى المرؤ نفسه * على حالها اذ كل حر لها خصم

وأن يفقه الرشد الذي في اتباعه • نجاة أولي الالباب ان هلك القوم
وذوالجهل من يرضي بأحكام نفسه • وبينهما مهما أرادت به سلم
وذوالعقل من أضحي الرشاد شعاره • وان خالفته سامها ما هو السم
وهل من رشاد غير ماتم نوره • بيعثة من لم يرد أخلافه اليتيم
فقل لأناس قد أطاشت عقولهم • عقار غرور مزجها الزور والظلم
دعوا يانسا ابليس دعوا كمو التي • اليها على بطلانها ينتهي الاثم
وكفوا إذاكم واقبلوا عن شروركم • والا يصبكم من أكنتنا سهم
فما عاقنا يا قوم الا احتقاركم • وانكرو عى وآذانكم صم
اذا قيل جل الله قاتم مع ابنه • مقيم وفي يوم الميعاد له الحكم
وجئتم بدعوى العلم تؤذون ربكم • ولم تنطحوا نطحاً كأنكم البهم
وما كل من آخا اللسانه عالم • ولا كل سباب لأهل الحجا خصم
وسيان ان كان السفیه محقرا • لدى العقلاء المدح من فيه والذم
اعلم وقتي الله واياك أيها المسلم السليم القلب والذوق أن هذه الحياة
طريق يعبرها الانسان الى دار القرار وهي باعتبار اختلاف أحوال
السائرين بها لها غايتان متقابلتان اذ الانسان لا ينفك عن أحد وصفين
اما أن يكون سعيداً أو شقياً ولا معنى للسعادة الا حسن الخلق والانسلاک في
سلك المتقين الذين يخافون الانحراف عن سبيل الاستقامة التي نهايتها القرب من
الله في مكان التكریم والرضوان. ولا معنى للشقاء الا اتباع الهوى وراء الشيطان
في طريق الغرور والافتتان. التي غايتها البعد والهوان والطرود والحرمان
فأما الطريق الاولى فقد نصب الله لها أعلاماً وحدد لها حدوداً
وشرع لها آداباً سماها ديناً وأرسل لعباده رسلاً لارشاد من اجتباهم الى

تلك المعالم وتعليمهم الوقوف عند تلك الحدود ليتأدبوا بتلك الآداب
التي لا يصفو لعبد القرب من سيده الا اذا تحقق بها وأما طريق الشقاء
فانها واسعة الفضاء كثيرة الشعب والأودية يسلكها الغبي والنبيه والأحمق
والشرير وكل ذي خلق سيي ذميم وتري أكثر سالكيها النساء وجهلة
الشبان ومناحيس الشيوخ ولا يتوغل فيها الا كل نديق من أهل الوقاحة
والفجور وكل من كان هذا وصفه لا مجال له في طريق السعادة لانها ضيقة
المجال لا تسع الا الظرفاء المتأدبين الذين اذا مروا بالغو مروا كراماً
وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز (وقليل من عبادي الشكور)
وأما الفريق الثاني فهم المشار اليهم بقوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الى آخر الآية الشريفة
فلذلك لا ترى الغالب من الناس في هذا الزمن الاعباداً لاهوائهم وأسراء
لشبهواتهم وقد ركبوا مركب الغرور في بحار الافتان فاشتدت بهم عواصف
الحن وأحاط بهم موج الملاهي من كل مكان وانها لظلمات زيفية بعضها
فوق بعض لا ينجو من مهالكها الا من أسلم وجهه لله وعمل صالحاً ونادى
ربه في تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين
ولقد أصبح أشرار الفلاسفة متسابقين الى هدم قواعد الدين القويم وأمسي
سفهاء المبشرين وراءهم من اللاهوتين (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو
كره الكافرون) فطوبى لعبد أدركته في هذا الزمن عناية الحي القيوم
واكتفته الرعاية الصمدانية والتجأ الى حصن (لا اله الا الله محمد رسول الله)
قائلاً يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم

فليعلم أولوا الألباب من أهل هذا الزمن ان الضال في أودية الجهالة
عن معالم هذا الدين القويم الذي أشار إليه الحق سبحانه وتعالى بقوله
(ان الدين عند الله الاسلام) لا يهتدي اليها الآن الا اذا جاهد
شيطانه وأجهد نفسه في قطع عشر عقبات سنذكرها ان شاء الله سبحانه
وتعالى تذكرة لأولي الألباب وارشاد للعامة من المؤمنين الذين اضطربت
قلوبهم وقلقل ثبات يقينهم انتشار القوم الذين سعوا في البلاد . وأكثروا
فيها الفساد . فمسي ان يصب عليهم ربك سوط عذاب (ان ربك لبالمرصاد)
وما سميناها بعقبات الا لانها الآن هي مجال الشك الذي أدخله دخلاء
الدين أهل الضلال في عقائد القوم الذين ارتابت قلوبهم من العوام ومن شبان
المدارس وسفهاء طلبة العلم الذين زحزحهم زخرف القول من أهل اللسانة
والجدل عن مرا كرا اليقين الصحيح فأصبحوا لأنفسهم وأهلهم ظالمين بما يلقونه
اليهم من السفسة الزنيعة وصاروا أعواناً لسفهاء المسيحين على نشر اعلام
الكفر وتقوية دعائم الزندقة فلذلك بينا لمن يشاء الله ان يهديه تلك
العقبات لكيلا يقع في شرك المتألمين فتزل به القدم الى مصارعهم التي
أهلكهم الله بها من حيث لا يشعرون (العقبة الاولى)

ما هو الدين الاسلامي هل هو الحضارة والتمدن كما زعم المبطلون أو
هو أمر وراء ذلك (الثانية) هل الاحاطة بما جاء به القرآن من القصص
علماً شرط في صحة الدين وصدق الايمان فيكون الجهل به كفراً لانها من
قواعد الدين أم لا (الثالثة) هل الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم هو دين عيسى وموسى و ابراهيم وباقي النبيين أم غيره (الرابعة) هل
جميع الانبياء والمرسلين جاؤا مبشرين ومنذرين بما بعد الموت من العقاب

والثواب بعد الحساب أم منهم من خالف وصادق الذين قالوا ان هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن ببعوثين وان كانوا متفقين في البعث
والنشور فهل اتفقوا في وصف ما بشروا به أو اختلفوا (الخامسة) هل
الاخلاق الكماية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة وهل من
نبي حرم على أمته التخلق بأداب من كان قبله من الرسل أم لا

(السادسة) هل ورود الانبياء التي جاء بها القرآن عن الانبياء وأممهم
وعن أعمال القيامة مضعفاً لقوة البراهين الدالة على صدق القرآن وصحة
نسبته الى الله لان منها ما كان مسطراً في كتب الجاهلية قبل نزول القرآن
أم لا يكون مضعفاً لقوة تلك البراهين (السابعة) هل كان في
زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يفقهون ويعقلون ويميزون الحق
من الباطل أو كانوا بلهياً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت
منهم معارضة في صدق الرسالة لشدة ريب خالط قلوبهم حتى تبينوا صدقها أم لم
يكن ذلك (الثامنة) ماهي الاسباب الحاملة لسفهاء الفلاسفة من كل
ملة على هدم قواعد الاديان مع دعواهم بالحكمة وكمال العقل وعلمهم بأن
كل دين من الاديان الصحيحة والباطلة لا يخلو من عبادات اتخذها
رؤساء الاديان حواجز بين السفهاء وبين شهواتهم فيكون الدين الباطل
أخف ضرراً من لادين

(التاسعة) اذا تحققنا ان الرسل قد سلكوا مسلكاً دينياً وتبين
أن عظماء الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعياً
ومسلك الفلاسفة عقلياً فمن من الفريقين تجب متابعتة ومن هو الاكمل
حالا . والاحسن مقالا . والاقوم أعمالا (العاشر) ما سبب انتشار

المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر ساوي أم عمل خيري
ديني أم لغاية مقصودة واذا كان لغاية مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة
أم لا ثمرة لها

ومتى أدرك المتدين الفوز من تلك العقبات من طريق الهداية الربانية
وتبين الحق من الباطل نجا من ورطات الشبه وظلمات الزيف وانكشفت
له غوامض المشكلات وسلم من خدعة نساء ابليس اللاتي لا يلدن الا
كفرا ونفاقا وكما غلبه الباطل تمثل بقول صاحب يوسف اذ قال (انه
من كيدكن ان كيدكن عظيم) (العقبة الأولى) ما هو الدين الاسلامي وعن
ذلك نقول

ان الدين الذي سماه الله الاسلام واصطفاه لعباده الصالحين وارشدهم
الى التحقق بحقيقته ما هو الا آداب كمالية موصلة الى فضائل روحية من
تجعل بها ارتقى الى العالم العلوي بروحه واطلع على أسرار الملكوت
وشاهد ما انطوت عليه بشريته من عجائب القدس وانفتح سمعه وبصره
لدقائق الحكم ورفائق الاشارات التي أودعها الله مصنوعانه ليستدل
بها السالكون. ويهتدى اليه بها المسترشدون. ولا قدرة لمخلوق ما على التجميل
بتلك اللطائف الا اذا تحقق بحقائقها تيك الآداب اذ لا سبيل الى التحقق
بها الا بعلم مخصوص وعمل مخصوص وحال مخصوص وما جاءت الرسل
الا للارشاد الى معالم هذه الثلاثة وبيانها وتوصيل المنقطعين اليها لان
الشواغل الدنيوية التي خلق الانسان محتاجا الى تعاطيها لا تترك في قلبه
مجالا لغيرها ولا تمكنه من الالتفات لسواها من الشؤن الغيبية فلذلك
أرسل الله الرسل لتخليص من اصطفاهم من عباده من أحوال تلك الشواغل

بما اشرنا اليه من العلم المخصوص والعمل المخصوص والحال المخصوص
وقد أطلقوا على هذه الثلاثة اسم الدين من باب اطلاق السبب على
المسبب لانها هي السبب الاقوى لكل سالك الى ربه في التحقق بتلك
الآداب الموصلة الى تلك الاطائف وبقدر حسن آداب المتأدين بها
تكون مكائدهم في القرب من الله اذ منهم الخيار. ومنهم الأبرار. ومنهم
المقربون وليس اتقرب بالعلم كما زعم سفهاء الفلاسفة ولا بالعمل كما يدعي
من لا عقل له ولا بالحال كما يظن أرباب الرياضات ولكن الآداب هو
ميدان الوصلة ومنهج القرب اذ العلم بلا أدب هو والجهل في الضرر سواء
وعمل يغير أدب مجلبة المقت والفضب وحال بلا أدب أشبه شيء بحال
المنافقين من شياطين الانس ولقد مثل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله (الناس هلكت الا العالمون وان العالمون هلكوا الا العالمون والعالمون
هلكوا الا المتخلصون والمتخلصون على خطر عظيم)

بيان ذلك ان ضميم الجهل هو والاموات سواء لانه اعمى وقد قال
الله القدوس تبارك وتعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلا) وليس مرادنا بالجهل هنا الجهل بالحرف والصنائع ولكننا
نريد الجهل بالدين الذي هو الآداب ومقدماتها ومن علم ما هو الدين
ولم يعمل كان علمه حجة عليه لانه لا عذر بعد البيان. ولا عصيان مع الايمان
ومن فقد العمل بعد العلم فقد اساء الآداب. واستوجب الغضب. لانه كالبهيمة
التي اذا امرت لا تأتمر واذا نهيت لا تنتهي

واما من علم وعمل وكان فاقد الآداب فهذا هو الذي لا يشبه له
الا تناول الفسيخ على شره وجوع كلما اكثر شرباً ازداد عطشاً لان

دواعي الظمأ خبيثة لا يزول الا بزوالها فكذلك فاقد الادب في اعماله كلما
اكثر في العمل ازداد من الله بعدا لانه لا باعث له على العمل الا اغراض هي
من اسباب الطرد والحرمان كما سيأتي بيانه ومن كان هذا حاله كان عمله
وعلمه وبالاعليه ونكالا وكان الله بعباده خيرا بصيرا وما كان عمله وبالاعليه
الا لانه وضع الاشياء في غير مواضعها ودنس العمل الطاهر بخبائث النية
فأصبح من الظالمين

ومن كان عالماً عاملاً وكان ذا حال طاهر من التجاسات القلبية ولكنه
غير مؤدب كان كالمراة التي تتجمل بأنواع الزينة حلياً وحلاً حتى اذا جاءها
زوجها وجدها عابسة الوجه ذات ملال واعراض
(مثال العلم بلا عمل ولا حال ولا أدب)

علم الفلاسفة من كل ملة اذ هم قوم علموا كل ما جاءت به الرسل
ولكنهم تناولوا تلك المعلومات بحال حال فيه بينهم وبين الادب حائل
الغرور والطيش فاستنكفوا واستكبروا عن متابعة ذوي الرشاد والارشاد
وغلبتهم أهواؤهم فحكوا عقولهم في الشرائع لفقدهم مزايا الادب فجاءوا
يومنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وما جزاء من يفعل ذلك الا
خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ومن كان هذا حاله
يزعمون الامر بالمعروف وما عرفوه وينهون عن المنكر وقد ارتكبوه
ويدعون أن كل الذنوب كبائر وهم يأتون بالكبائر ويستصغرونها وما ذلك
الا لقلة الأدب وفقد الحياء ويحسبون أنهم يحسنون صنعا

فذلك تراهم يزدرون العلماء ويغتابون الاموات منهم والاحياء ويسبون
الانبياء ويتكبرون على الضعفاء ويتخاطون السفهاء ويمقتون الاولياء

ويتكاسلون عن أداء الفرائض ثم يزعمون أن الذنوب لا صفائر فيها بل
كلها كبائر فليت شعري ماهي الوجهة لهم في ارتكاب تلك الكبائر التي
منشؤها الاعجاب بالنفس والتباهي والجهل بالآداب الدينية ولكن الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء ومن أسوأ حالا ممن أضله الله على علم
وختم على سمعه وقلبه والله على كل شيء قدير

ومثال العلم والعمل بلا أدب حال بعض علماء النقوش وأمثالهم
من المتدينين الذين يعملون عمل الاتقياء ولكنهم يؤثرون الدنيا على
الآخرة ويتباهون بأعمالهم ويظنون أنهم أكمل الناس أحوالاً وأصلحهم
أعمالاً وإن الناس في احتياج إلى علمهم ولكنهم أحوج الناس إلى معرفة
آداب العبودية لأن من لم يتبع أثر النبي صلى الله عليه وسلم في العلم
والعمل والحال ربما أحاطت به غوائل المكر والاستدراج وهو غافل ولذلك
قال أحد رجال الطريق العارفين بالله وكان من الظرفاء من لم يتغافل في
علمنا هذا مات مصراً على الكبائر من حيث لا يشعر إذ من الناس من
يرى نفسه فوق غيره بكثير ويظن أنه جاء بأعمال لم يسبقه إليها سابق
وما ذلك إلا لأنه راض عن نفسه جاهل بدسائسها وربما كان من الذين
أشار الله إليهم بقوله (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)
وهذه هي نهاية الغرور والافتتان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)
ومثل من جمع بين العلم والعمل والحال وقصد الأدب كمثل المتعبدين
من أهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى لأنهم تمسكوا بما لم يأمرهم الله
بالتمسك به وأطاعوا الشياطين واتبعوا أهواءهم فمنهم من آمن بالله وكفر
بأنبيائه كاليهود إذ كفروا بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فضربت

عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله) ومنهم من أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وكفروا برسله فلعنوا كما لعن الذين من قبلهم مع طول الرياضات وكثرة التعبد والتحقق بأحوال العابدين ولكنهم حرموا مزايا الادب وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل الذي لا ينجو من الخزي الا من سلكه اذ لا يجوز لعبد أن يخالف أمر ربه وينقاد الى هوى نفسه ولو أن هؤلاء الطوائف رزقوا شيئا من الادب لعلوا أن ملاك الدين هو الادب واتباع الاوامر الالهية لذاتها لا لعيسى ولا لموسى فلما اتبعوا أهواءهم لحكم سابقة الازل عليهم بالشقاء لمناسبة قوايلهم واستعداداتهم عموا عن الهدى وصموا عن داعي الرشاد وتوهوا الضلال حقاً وسير بهم الله أعمالهم حسرات عليهم ومأم بخارجين من النار

فمن كان من ذوي البصائر وتحقق الحق من خلال هذا البيان علم علم اليقين أن الدين الذي ارتضاه الله لعباده ما هو الا الآداب الكمالية التي جاء بها القرآن وتخلق بها رسول الله والله يقول الحق ويهدي السبيل وأما الحضارة والتمدن فما هما من الدين في شيء بل هما والدين الحق على طرفي نقيض الا اذا جمع الله الدنيا والآخرة لمن يشاء من عباده ورزقه العناية والتأييد وكان الله على كل شيء مقتدرا ولا تكون حضارة ذلك الرجل الذي يجمع الله له بين الدنيا والآخرة وتمدنه كحضارة الامم وتمدنها المعلوم الآن الذي كان سبباً قوياً لا يقاوم الفتن بين الدول واراقة الدماء في الممالك بغير حق ووسيلة لقهر الضعفاء . واذلال الامراء . وضياع الدين وهدم قواعده ونزعه من قلوب ضعفاء الايمان وذريعة لازدراء عباد الله الصالحين وما كان له من ثمرة في كل أمة مغلوبة الا تعالي الاسافل على

الأعالي ورفع أعلام اللسان وقوة شوكة الجدل وكثرة الشح والمشاحنات وانتشار الفن وموت المروءة وصوله الباطل على الحق وظهور أهل الزيف على أفاضل الأنبياء المحققين إلى ما لا يحصى من الرذائل وكان الله بعباده خبيراً بصيراً .

وهذه هي أول عقبة من العشرة التي يجب على كل مسلم يرجو لنفسه النجاة من فتنه الدنيا وعذاب الآخرة أن يبهد نفسه في مجاهدة شيطان الجبل وجنود الزيف وزعماء الزندقة حتى يقطعها ومتى قطعها ثبت في قلبه إيمانه وسهلت له سبل المغازلة متى علم علم اليقين أن الدين الإسلامي من عهد آدم إلى انقراض الدنيا ما هو إلا آداب كالية سندكر منها ما يلهيها الله ذكره بعد قليل تحقق حق اليقين أن مازعمه المبطلون من أن مصادر الدين الإسلامي هي خرافات قوم جهلاء إلى آخر ما زعموا ما هو إلا سفسطة أو باش منشؤها حقد وحسد وباعثها الجهل بجماعات الدين السماوي ولو أنهم كانوا عقلاء ما نادوا على أنفسهم بالجهل واستحبوا العمى على الهدى وقد قال الله تعالى مشيراً لآسلافهم (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وقال في موضع آخر (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الثانية) هل العلم بالقصص الواردة في القرآن بأنبياء الأمم الماضية ورسولهم هو من قواعد الدين وأصوله أم لا وعن ذلك نقول إن كل دين من الأديان التي سمعنا بها باطلة كانت أو صحيحة ما كان لها مصدر إلا اعتقاد في معبود أجمعت أمة من الأمم على عبادته والركون إليه عند اشتداد الكروب ولكن الأديان الصحيحة ما كان لها من منشأ إلا رسالة الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا

الناس الى عبادته وكل رسول جاء الى أمة من الامم وتعاصت عليه يعاملهم الله سبحانه وتعالى بأن يخوفهم مما وقع للامم قبلهم عند الطغيان والتعاصي على الرسل ولم تكن الحكمة في الايات بتلك الانبياء الا التحذير والانهذار لتكون عبرة وتذكرا لذوي البصائر وهكذا كانت انبياء التوراة والانجيل والفرقان العظيم وان كثيرا من اهل الكتاب لمن لا معرفة له بتلك الانبياء وكذلك كثيرون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا عناية لهم بحفظ انبياء الامم ولم يكن الجهل بذلك قادحا في صحة ايمانهم لان العلم بها ليس من قواعد الدين وليس الدين سرد انبياء ونقل اخبار وحفظ وقائع ولكنه عبادة لمعبود. وأدب بين يدي اله مقصود. بطريق مخصوص تأتي بها الرسل لا بما وما ورد أن رسولا من الرسل قال قوموا لا تتحلقوا بأداب من جاء قبلي من الرسل وما كان بينهم من خلاف الا في المعاملات التي هي تابعة لاحوال الامم وأما العبادات فهي متقاربة الاتحاد غير أن منها الكامل والاكمل وأما الآداب التي هي رأس الدين وهيولاه فلا خلاف فيها ولكنها تكاملت في هذا النبي الاخير فما كان لسفيه جهول ان يقول أن تقرير العبادات والمعاملات في الشريعة التي جاء بها القرآن لا اصل لها الا عوائد الامم الجاهلية ولا أن يدعي أن تخلق بعض الامم التي لا رسول لها ببعض ما جاء به القرآن من قبل نزوله قادم في صحة نسبه الى الله لان هذه الدعوى لا تصدر الا عن جهل بالحقائق اذ تعاقب الرسل والانبياء في الامم السابقة هو الذي اوجد بعض محاسن الاخلاق في أهل الفترة وما كان الله يحرم خلقا حسنا على أمة متدينة بسبب تخلق أمة جاهلة بذلك الخلق ولا ليكنتم الانبياء التي يتعظ بها المتعظون لالمام بعض المؤرخين

بها وتسطيرها في كتبهم فلو أن الذين ادعوا هذه الدعوى الباطلة عقلوا
للدين معنى لما زعموا أن مصادره أنبياء وخرافات اخترعها المتقدمون من
اهل الجهل لانه ما من نبأ ورد به القرآن الا وهو مسطر في التوراة والانجيل
وما لم يكن فيهما من الانبياء ما جاء به الاجبريل وقد أقام الله سبحانه وتعالى
على صدق كتابه وصحة نسبه اليه البراهين التي أقنعت كل معاند وسند كر
بعضها عند ذكر الفصول التي فصلها الملحدون والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم (الثالثة) هل الدين الاسلامي هو الذي كان عليه
موسى وعيسى أم غيره فنقول . ان من المعلوم أن المسيح عليه السلام ما
جاء بأداب تخالف الآداب التي جاء بها موسى وموسى لم يأت بأداب
تخالف آداب من قبله ولقد جاء الانجيل قائلاً أن عيسى سيجلس على
كرسي داود ولم يكن لداود كرسي الا الخلافة التي لا تصح لخوف الا
اذا تخلق بالآداب التي سنبن حقاقتها فيما يأتي وانها هي الدين كما ذكرنا
من قبل ولقد علمتم يا اهل القرآن بما ورد في كتابكم وعلم اهل الكتاب
بما هو مسطر في التوراة والانجيل الآن أن جميع انبياء بني اسرائيل هم
من اولاد اسحاق ولد ابراهيم عليهما السلام ولا يجوز عقلاً أن الولد يخالف
اباه في دينه ولو خالفه لهلك أن كان الأب على الحق وما جاءنا من نبأ صادق
يفيد مخالفة بعضهم لبعض بل الذي وردت به الانبياء الصادقة الصحيحة
هو ان دين الاسلام هو دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين موسى وعيسى
وابراهيم وجميع النبيين فلو أن قوم موسى عقلوا ما هو الدين وما مراد الله
من ارسال الرسل لا آمنوا بعيسى ومن بعده ولو أن قوم عيسى آمنوا برسالاته
وتحققوا امره على ما هو عليه وعلموا مراد الله من ارساله لما سموه الها أو

ابن اله ولما جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان الله سبحانه وتعالى ما ارسل الرسل متعاقبة الا لارشاد من اجتنابهم من خلقه الى معالم الدين التي هجرها سفهاء الامم بعد موت انبيائهم وقسوة قلوبهم لطول الامد كما ورد ذلك في القرآن الحكيم ألا ترى ان جميع الكتب السماوية مشحونة بما يفيد ان دين الله واحد وانه هو الاعتراف بالعبودية . والاقرار بالربوبية والاستسلام لاحكام الالهية ظاهرة كانت او باطنة وما مدح الله نبياً ولا رسولا ولا امة بوصف اكمل من وصف الاستسلام له والتخلق بأداب شرائعه وما امر نبيه الا بالاستقامة على هذه الخطة التي كان عليها النبيون اذ لا طريق للغاير غيرها وما مدح الله ابراهيم عليه السلام الا لانه كان حنيفاً مسلماً اذ كان اكل مظهر ظهرت فيه روح الدين الاسلامي عند ما قال له جبريل وهو بين مغاليب المنايا وفي انياب المهالك أنك حاجة فخكم عليه حاله الذي كان عليه ان لا يتخطى حدود المعرفة والادب فأجابه بقوله اما اليك فلا وأما اليه فعلمه بجالي يعني سن سؤالي وهذا الحال اشرف حال يتخلق به العبد مع سيده الذي بيده ملكوت كل شيء فلذلك امر الله نبيه بالاعتداء به لتكون امته على اكل حال كانت عليه الرسل ومن الأدلة على صحة ما ذكرنا قوله تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) ثم قال في موضع آخر (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) ثم في موضع آخر جاء بما حكاه عن يعقوب بقوله (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك وآله آباءك ابراهيم

والمعيل واسحق الها وواحدًا ونحن له مسلمون) فلأنه كان للانبياء ديناً غير
دين الاسلام لما كان منهم ما ذكرناه ولو أن اللاديان أصولاً غير الرسالة
الالهية التي تنادي بها الرسل على عباده باستعمال آداب العبودية لما تواصوا
بها هؤلاء الانبياء فمن ذلك يعلم المتبصر أن أصول الدين الاسلامي ما هي
الا دعوة الحق التي جاء بها النبيون وما تعاقبوا الا لتذكير الامم بها عند
التناسي كما قال الله تبارك وتعالى مخاطباً لاهل الكتاب (يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير)

إذا فكل من يدعي أن للدين الاسلامي أصولاً غير الاوامر الالهية
فهو كافر جهول ما فقه من الآداب شيئاً ولا يتحقق الا بما كان عليه المشركون
في عهد النبوة الذين وصفهم الله بقوله (انهم الا كالانعام بل هم اضل)
(العقبة الرابعة) هل جميع الانبياء جاؤا مبشرين ومنذرين بما
بعد الموت أم منهم من لم يأت بذلك وهل انفقوا في تلك الانبياء الغيبية
أم اختلفوا وعن ذلك تقول

انما الناس في اعتقاد امر الآخرة ينقسمون الى قسمين ليس الا لان
كل غاية تابعة لبدايتها فالفرق الذي يعتقد أنه مخلوق لخالق قادر
أوجده من العدم لا ينكر امر الآخرة لقوة ما اقامه الله من البراهين
القاطعة على قدرته على ذلك ولكننا نختلف قوة يقينهم . بتفاوت صدق
ايمانهم . وسلامة قلوبهم وكال آدابهم وسعة معرفتهم برهم

والفرق الذي لا يعتقد أنه مخلوق لخالق بل يظن انه وجد بطبعه
ويزعم ان الحياة ماهي الا ارحام تدفع . وقبور تبلى . هذا هو الذي ينكر

الحياة بعد الموت . ولولا ان الله سبحانه وتعالى ارسل رسله بالهدى ودين الحق لكان الناس امة واحدة في هذا الاعتقاد وما جاوا مبشرين ومنذرين الا بما بعد الموت اذ التبشير والانذار لا يقعان الا على غائب لم يكن الذي أنفر به او بشر محيطاً به علماً ولقد جعل الله للدنيا أبناءً وجعل فيهم الميل اليها تبعاً لقوابلهم واستعداداتهم الازلية في مبدأ النظام التكويني وجعل منهم رؤساءً ومروسين لحفظ روابط الامن ودفع الاعتداء كما يكون ذلك في الامم التي اشار الله تبارك وتعالى اليها بقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم) فلو ان سائلا سأل اهل الامم والخبرة بأحوال الوحوش او الطير كالنحل مثلاً عن شئونهم الامنية لأخبره بما يدهش الفكر ولقد سمي الله سبحانه وتعالى رؤساء النوع الانساني ملوكاً ورعاة وتسمى احكامهم احكاماً سياسية

وجعل للآخرة أبناءً وجعل لهم رؤساءً وسماهم رسلاً وحجراً عليهم تجاوز الحدود التي قررها لهم ونهاهم عن متابعة الهوى وأمرهم باستعمال الآداب السكالية التي سندكر شيئاً منها بعد تمام هذا البيان وسأها ديناً كما سبق ايضاحه وأمر أولئك الرؤساء أن ينشروا أبناء الآخرة ويبلغوا ما عطوه منها لأبناء الدنيا والآخرة لتكون له الحجة البالغة على كل من بلغت المدعوي لكيلا يكون للطائع فضل في طاعته ولا للعاصي عذر في معصيته وانها لحكمة بالغة لا يعقلها الا العالمون الذين بشرهم الله بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم)

فمن فقه معنى ما ذكرناه علم علم اليقين أن الانبياء عليهم الصلاة

والسلام ما جاؤا الا مبشرين ومنذرين بأمر الآخرة وما منهم من
رسول الا وناذى في قومه بأنبيائها اما مجملة أو مفصلة وما من سامع كان
كامل العقل الا وصدق بتلك الأنبياء وأثر في حاله تصديقها ثم تداولتها
ألسنة فصحاء الأمم الذين لا دين لهم فكانت عندهم أخبارا تحتل
الصدق والكذب وليس الخبر كالعيان لأن الرسل ما أخبروا الا بما
شاهدوه من طريق الكشف الرباني الذي أشار الى مبدئه النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله (فوجدت برد أنامله بين كفتي فعلمت علوم الاولين والآخريين)
إذا فمن الجهل المهلك أن يقال ان مصدر تلك الانبياء هي خرافات
بعض المتكلمين من فصحاء الأمم الجاهلة لانه لا قدرة لانسان مها
وصلت درجته من الفصاحة واللسانة أن يتكلم بأمر غيبي لا تسعه الدنيا
ولا تتعلق به علائق الحياة الدنيوية حسية كانت أو معنوية الا اذا أخبره
به مخبر ممن لهم علم بأنبياء الملكوت اذ لو كان للعقول مجال في الشؤون
الغيبية لما كذب بها الفلاسفة الذين يزعمون أن دائرة العقول لاتسع
سواهم فليعلم المسترشد أن أكل رحمة رحم الله بها عباده هي الوقوف
على حقيقة أمر الآخرة اما من طريق المكاشفة بالعلم النوري كما وقع
للانبياء والاولياء واما من طريق شرح الصدور بالتصديق واليقين كما عليه
عامة المؤمنين وما زعم الزاعمون المبطلون ما زعموه من قولهم ان القرآن
استنبط تلك الانبياء من تلك الخرافات الا لظلمة قلوبهم وحببها بما
طبع عليها عن ادراك ما أدركه أولوا الأنوار. وأهل الاسرار (والله
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(العقبة الخامسة)

هل الاخلاق الكمالية التي جاءت بها الرسل متناقضة أو متشابهة
وهل حرم كل رسول على أمته التخلق بآداب من كان قبله من الرسل
أم أباحها لهم وعن ذلك نقول

ان الباحث عن هذه الحقيقة لا يصل الى العلم بها الا اذا علم ماهي
الآداب الكمالية وانا وان لم نكن من أهل تلك الآداب ولكن ربما
التحق السامع الواعي بالمطالع والداعي . فلذلك نقول

الآداب . الكمالية التي علمها الله سبحانه وتعالى لرسله وأنبيائه
وأمر الصالحين من عباده أن يتخلقوا بها لاقدرة لنا على حصرها الآن
ولكن ربما توصل الباحث عنها الى معرفتها بمعرفة مصادرها من الانسان
اذ جميع شؤنه في معاملة الخلق والخالق لا مصدر لها منه الا ثلاثة أشياء
وهي العلم والحال والعمل ويشمل لفظ العمل القول وهذه الثلاثة هي مظاهر
الآداب الكمالية . ومصادر الاخلاق البهيمية . وكلاهما يكون عليه الجزاء
يوم القيامة في النشأة الاخرى من ثواب أو عقاب وما جاءت الرسل
الا لبيان الطيب والخبيث منها وما أنزلت الكتب الا لنهي الانسان عن
ارتكاب القبيح من تلك الاخلاق وبأمره بالايتان بمحاسن الآداب
منها ولا يكون الانسان انساناً كاملاً الا اذا تحقق بمحاسن تلك الآداب
الكمالية حتى يؤدي الأمانة على وجهها وهي التي أشار اليها الحق سبحانه
وتعالى بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً) ولقد
عرفناها في كتابنا المسمى (بنشر الاسرار البشرية من طوايا الاخلاق

المحمدية) بأنها هي اعطا كل ذي حق حقه من الحقوق التي أوجبهها الله على الانسان لذاته المقدس ولرتبة الألوهية ولمرتبة الربوبية ولجميع المخلوقات على اختلاف طبقاتها ولنفس الانسان وهذا العمل لا قدرة لمخلوق على القيام به الا بإرشاد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه مع اقتفاء آثار الرسل قدماً

بقدم لانهم هم العلماء الادباء الذين علمهم العليم الخبير وأدبهم

فأما الحقوق الواجبة لله سبحانه وتعالى فقد بسهل الوصول الى معرفتها على أولي الابواب اذا تدبروا القرآن من طريق انه كان خلقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا حقائق أسماء الله الحسنى التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله سبحانه وتعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ولقد جاءت تلك الاسماء الجليلة باعتبارات ثلاث فباعتبار انه سبحانه وتعالى أحدي الذات وردت الاسماء الكمالية وباعتبار انه الاله الاعظم وردت الاسماء الجلالية وباعتبار انه الرب الرحيم وردت الاسماء الجمالية فمن نور الله قلبه وألقي عليه فهم حقائق هذه الاسماء تمكن من أداء ما يجب عليه لربه ومن لم يكن كذلك كان قيامه بذلك الواجب في حكم الخال

وأما حقوق الخلق والنفس فما احصاها كاتب ولا احاط بها في خطبة من الخطب مخاطب الامم من الرسل ولا من الانبياء ولا من ورثتهم ولكن كل مرشد منهم كان يذكر منها ما يستدعيه حال المسترشد ولقد جمعها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة في جوامع الكلم التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز وفي أحاديث رسوله الذي كان لا ينطق عن الهوى وفي أعماله وأحواله ويشير الى الواجب الضروري منها على كل مسلم قوله صلى الله

عليه وسلم (الايمان بضع وسبعون شعبة أدناها امانة الاذى عن الطريق
وأعلاها لا اله الا الله) فملؤ من الحق الخبير بدينه يعلم ان ما بين الأعلى
والأدنى من الأعداد ما هو الا ما ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (وما
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ويعلم ان من المأمور به
ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ومنه ما هو واجب موسع فيه وما
هو واجب مضيق ومن المنهى عنه ما هو نهي حظر وتحريم وما هو نهي
كراهة فالعمل بذلك كله هو الايمان ثم من وراء ذلك آداب كثيرة
منها ما نقل عن سيد الأمة بل سيد الرسل وعن ورثته من طريق الوصية
ومنهما ما نقل عنهم من طريق الحال والعمل وسند كطرفاً من ذلك في
المقام المناسب لذكره من هذا الكتاب عند تيسير الله سبحانه وتعالى
وتسهيله

وما كانت تلك الآداب قاصرة على هذه الأمة ورسولها ولكنها
كانت في كل أمة تابعت أي رسول من الرسل غير أن هذا الرسول
استكمل كل الآداب لانه خاتم الرسل وأدومهم ديناً لانه لم ينسخه
ناسخ من بعده

فمن كان ذا بصيرة نيرة وفكر ثاقب وتأمل فيما ذكرناه بعين المطلع
البصير يعلم علم اليقين ان مصادر الدين الاسلامي الذي تدينت به جميع
الرسل ما هي الا آيات الله سبحانه وتعالى وتعليماته وما من نبي تكامل
دينه وجمع أطراف الآداب وأكنافها الا هذا النبي الكريم فمن ذلك
يتحقق أولوا الالباب ان ما زعمه الزائفون من أن أصول الدين خرافات أخبار
وعوائد جهلاء اشرار ما هو الا ضلال مهلك وسفه بين وجهالة منشؤها غباوة

وتعصب قوم عادين . وبغى أسافل طاغين . اذ كل عاقل يعلم علم اليقين أن
جميع الرسل كانوا في الدعوة الى الله تعاني على وتيرة واحدة وهي التي أمر
الله نبيه ان يدعو أهل الكتاب لها بقوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا
يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) وهذا هو الدين لان من تخلق
بذلك كما ينبغي فقد تحقق بمعنى لا اله الا الله التي من تحقق بمعناها فقد
جمع شتات الاداب الكمالية التي لا يتم للانسان وصف العبودية الا اذا
تكاملها وما كان لني من الانبياء أن ينهي أمته عن التخلق بتلك الاداب
لان النهي عن ذلك من عمل الشياطين ولندكر شيئاً من تلك الاداب
ليقف المطالعون لها على حقيقة الدين وأصوله ويخجل المفسد الضال الذي
افترى على الله الكذب وأتى من الحماقة والسفه وسوء الادب بما لم يأت
به ابليس (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون) فنقول

أما شعب الايمان التي أشار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف
فأعلاها شهادة أن لا اله الا الله كما قال رسول الله . ومنها الشهادة بالرسالة
وهي وأشهد أن محمداً رسول الله . ومنها الصلاة والزكاة والصوم والحج
والجهاد عند الحاجة اليه والوضوء والغسل من الجنابة والغسل يوم الجمعة
والصبر والشكر والورع والحياء والامانة والنصيحة وطاعة أولي الامر الا
فيما يغضب الله والذكر وكف الأذى ونصرة المظلوم وترك الظلم وترك
الاحتقار والازدراء وترك الغيبة وترك التجسس والاستئذان عند دخول
البيوت وغض البصر عن المحرمات وسماع الأحسن من القول واتباعه
والاعتبار عند رؤية ما يتذكر به أولوا الالباب منظوراً كان او مسموعاً

والدفع بالتي هي أحسن وترك الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم والكلمة الطيبة وحفظ الفرج وحفظ اللسان والتوبة من الذنوب الصغائر والكبائر والتوكل على الله في كل ما يحتاج إليه الإنسان من عمل أو ترك لأنه هو الملمم المستخر الميسر في جميع الأحوال فمن استعان به في كل أحواله فقد أعطي القوس باربها ومن ادعى الاستقلال في أي حال من أحواله فقد جاء بظلم عظيم وبإساءة بغضب من الله ومنها الخشوع ولا يعلم حقيقته إلا العلماء الذين تحققوا بأداب العبودية وذاقوا من أحوالهم حلاوة الاتصاف بأوصاف الممكن الأربع وهي العجز والذل والضعف والافتقار ومن لم يتحقق بتلك الأوصاف فلا قدرة له على الخشوع. ومنها ترك اللغو من الحديث قولاً وسمعاً لأنه نبذة من الجنون وتأباه الأخلاق الكريمة. ومنها الاشتغال بما يعني وترك ما لا يعني وحفظ العهود والوفاء بالعقود والتعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الأثم والعدوان ومعصية الرسول. ومنها التقوى وهي التي أمر الله بها في قوله (واتقوا الله حق تقاته) وليس لها معنى إلا أن يرى الإنسان ربه نصب عينيه بالمعنى التي أشار الله إليها بقوله (وهو معكم أينما كنتم) وبمعنى قوله (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله (يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور) فمن تحقق بذلك كان تقياً ومن زعم التقوى بغير هذا التحقيق فهو مدع كاذب ومنها بر الوالدين والفتنوت لله والصدق وترك الكذب وما هو إلا اختلاق ما لم يخلق الله ولم يأمر به. ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس المعروف ما عرفه سلفاء الفلاسفة ولكن المعروف ما وصف الله به المؤمنين في أوائل سورة المؤمنين وفي آخر سورة الفرقان

وفي كثير من آيات القرآن وما قلنا ذلك الا تحذيرا للأمة من متابعة القوم
الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فتراهم مقتربين متكبرين
ممجبين متفاخرين تاركين للفرائض الدينية ويأمرون بشيء من المعروف
كاتباع الحق في الاحكام وعدم الارتشاء ويحثون على مجارات أهل الدنيا
في طلبها والتكالب عليها ويظنون بذلك أنهم آمرون بالمعروف ناهون
عن المنكر والله يشهد أنهم لكاذبون. ومنها اصلاح ذات البين وترك افساد
ذات البين وخفض الجناح للمؤمنين واللين وترك العقوق. ومنها الدعاء
والرحمة بالخلق أعداء كانوا أو أحبباء هواماً كانوا أو طيوراً وانعاماً ويشمل لفظ
الخلق كل ذي روح تأذى وتلذذ وتوقير الكبير ورحمة الصغير والقيام
بحدود الله وترك دعوى الجاهلية ألا وهي الافتخار بالجاه أو المال أو العلم
أو العمل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال (دعوها فانها منتنة). ومنها التودد
الى عباد الله الصالحين بل وجميع من لا يضرك صحبته في دينك من الخلق
ومنها الحب في الله والبغض في الله والحلم والتؤدة أي التأنى في الامور
قولاً او عملاً اقداماً او احكاماً حتى يتبين المتأني حقيقة امره. ومنها
العفاف والبذائة وما هي الا التجميل بمحاسن الاحوال ظاهراً وباطناً وترك
التدابير والتحاسد والتباغض والتشاحن. ومنها ترك شهادة الزور وترك قول
الزور وترك الهمز واللمز ومنها حضور الجماعة وافشاء السلام على من تعرف
ومن لا تعرف والتهادي لقوله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) وحسن
الخلق وصيانة السر والنكاح والانكاح وحب القال وحب آل انبيت
وترك التطاير وحب النساء بالخال التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه
ومسلم لاحب ثمره وشهوة وحب الطيب وحب الانصار وتمظيم شعائر

الاسلام وتعظيم حرمات الله وترك الغش وترك حمل السلاح او الآلة
الضاربة على المؤمن وتجهيز الميت والصلاة على الجنائز وعبادة المرضى وان
تحب لا تخيك المؤمن ماتحب لنفسك وأن يكون الله ورسوله أحب اليك
من كل محبوب وان تكره ان تكون كافرا من عباد الآلهة الباطلة او
تكون يهودياً او نصرانياً وان تؤمن بجميع الرسل وما جاؤا به مما لم يلحقه
تغيير ولا تبديل وان تؤمن بالملائكة وأن تيمط الاذى عن الطريق ولقد
أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه لعلمه أن من تأدب بما ذكرناه
لا يفوته البحث عن باقي الآداب في الكتاب والسنة واعمال الجماعة من
السلف الصالح ولقد اشار الى شيء من آداب الاحوال الامام ابن العربي
محبي الدين في بعض وصاياه اذ قال ان من الآداب ان تعامل من تصحبه او
يصحبك بما تعطيه رتبته ومنزله فتعامل الله سبحانه وتعالى بالوفاء بما عاهدته
عليه من الاقرار بالربوبية وليس الاقرار بالربوبية هو مجرد الاعتراف
باللسان ولكنه ملاحظة جميع النعم التي يسديها اليك ليلاً ونهاراً وطمناً
وقراراً وحركة وسكوناً حتى مد البصر بعد الغمض وتردد الانفاس الى
غير ذلك من النعم فيشبعها العاقل بالشكر ويتلقاها ببشاشة التذكار وهشاشة
الرضا والافتقار. هذا هو معنى الوفاء بعهود الربوبية وعامل آيات الله بالنظر
فيها لقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
الحق) ومن لم تذكره آيات الله كان في حوزة الذين أشار الله اليهم بقوله
(وكم من آية في السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون) وعامل ما
تدركه الحواس منك بالاعتبار وعامل الانبياء بالاعتقاد بهم وعامل الملائكة
بالظهارة البدنية والذكر لانهم يحبون ذلك وعامل الشيطان من انس وجان

بالتخالفة وكل من تهاون بالفرائض الدينية فهو شيطان الانس مها بلتت
درجته من العلم والجاه وعامل الحفظة بحسن ما تملي عليهم من القول والعمل
لقوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وعامل من هو اكبر
منك بالتوقير ومن هو اصغر منك بالرحمة ومن هو كفوء لك بالانصاف
والتجاوز عن الزلات والا يثار على نفسك عند الحاجة وبأن تطالب نفسك
بحقه عليك وبأن تترك حقمك عليه لقوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم)
وعامل العلماء بالتعظيم وان لم يكونوا عاملين اكراما لوصف العلم الا ان
يكونوا كفارا مضلين ضالين عن سبيل الهدى وسنة السلف الصالح كما نراه
من اهل الزيغ والزندقة في هذا الزمن وعامل السفهاء بالحلم وعامل الجهال
بالسياسة وعامل الاشرار ببسط الوجه لقوله صلى الله عليه وسلم (انا لنبش
في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم) وعامل الحيوانات بالنظر فيما يحتاجون اليه
لانهم خرس وقد سخرهم الله لك واوكل امرهم اليك وعامل الاشجار
والاحجار بعدم الفضول اي لا تتفوط الا في محل التفوط وهي الاماكن
التي ليست معدة لمرور المارين وعامل الارض بالصلاة عليها فان صلاة
المؤمن على الارض وذكره فيها صدقة عليها وانها تشهد له يوم القيامة
وعامل الموتى بالدعاء لهم وذكر محاسنهم والكف عن مساوئهم وهذا
مخالف لمذهب الفلاسفة الذين يسبون اموات العلماء العاملين والفقهاء
المحدثين ويختلقون لهم عيوباً يذكرونها ليزدرجهم ناقص العقل والدين
ولا يقصدون بذلك الا صرف القلوب عن معتقداتها الدينية لعلمهم ان
العوام متى انصرفت قلوبهم عن اعتقاد صدق السلف الصالح وحسن
اعمالهم يضعف ايمانهم وتميل قلوبهم الى الفلسفة فيكونون اشد كفرا

ونفاقاً من باقي الامم الذين لا دين لهم ولا يحيق المكر السيء الا بأهله
والله عزيز ذو انتقام وعامل الصوفية اهل الكشف والشهود بالتسليم
لانك ان انتقدتهم أو اعترضتهم مع جهلك بما هم عليه فقد أنكرت على
قدرة الله سبحانه وتعالى كمال اقتدارها لانك لو أحطت بشؤون الله
القادر في خلقه علماً لتقاربت ان يكون لك حق في الالهية وتمات حكمة
الله وقدرته أن يحيط الانسان بدقائق صنعها علماً وليس من الادب
انكار ما لا يسهه العقل بعد قوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)
وقوله (يختص برحمته من يشاء) وقوله في قصة موسى عليه السلام وفتاه
(فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً)
فالاولى للعبد مهما وصلت رتبته من التعالي وبلغ ما بلغ من العلم أن لا ينكر
على قدرة الله ما لا يسهه عقله والا التحق بالفلاسفة وهلك كما هلكوا لانهم
أعداء أحباب الله ومن عادى حبيبك فقد عاداك وعامل الاخوان في الله
بالنظر في أحوالهم وتفقد حرركاتهم وسكناتهم ان كنت ممن لهم قدرة
على قضاء حوائج اخوانهم أو على اسداء النصائح لهم وعامل الاولاد
بالاحسان وعامل الزوجة بحسن الخلق وعامل أهل البيت بالمودة وعامل
الصلاة بالحضور لقوله صلى الله عليه وسلم (ليس للمرء من صلواته الا
ما حضر منها) وعامل الصوم بالتنزه عن الذنوب لأن الصوم جنة أي وقاية
من الاعمال المتقربة الى النار والجنة بضم الجيم اذا لم تق من تدرع بها فلا خير
فيها . وعامل مناسك الدين بذكر الله والتعظيم ولا معنى لتعظيم العبد ربه الا
الخشية والرهبة والحيا . وعامل الزكاة والصدقة بسرعة الاداء وعامل التوحيد
بالاخلاص ولا معنى للاخلاص الا ان ترى الله قبل كل شئ وترى

الاشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة لانك لو تأملت أعظم عظيم من
الناس لو وجدته متصفاً بكل أوصافك مقهوراً لمن أنت مقهور له محتاجاً
لما تحتاج اليه من أكل وبراز ونوم وغير ذلك ومن كانت هذه أوصافه
لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً وهكذا يكون اخلاص الموحدين وما عدا ذلك
هو من الشرك الخفي الذي استعاذ منه أولوا الالباب وعامل الاسماء
الالهية بما تعطيه حقيقة كل اسم والى ذلك الاشارة بقول النبي صلى الله
عليه وسلم (تخلقوا بأخلاق الله) فالاسماء الكريمة اذا تخلقت بها تلزمك أن
تترفع عن كل ما يشينك من دناءة الاخلاق ومن الظلم ومن كل ما فيه
نقص كما قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه يا الله يا مالك يا وهاب
هب لنا من نعمك ما علمت لنا فيه رضاك . واكسنا كسوة تقينا بها من
الفتن في جميع عطاياك . وقد سنا عن كل وصف يوجب نقصاً مما استأثرت
به في علمك عن سواك . يريد من سر أسمائك التي استأثرت به في علم
الغيب ولم يعلمه أحد غيرك والاسماء الجلالية اذا تخلقت بها تلزمك أن
تكون غيورا على انتهاك جميع المحارم وعلامة ذلك أن تكون غيورا على
نفسك أن تقع في ما يغضب الله كما تكون غيورا على غيرك والاسماء
الجلالية يلزمك التخلق بها ان تكون بالمؤمنين رؤفاً رحيماً من طريق الوراثة
المحمدية حتى نعم رحمتك جميع المخلوقات كما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بدليل قوله تعالى (عزبز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف
رحيم) وقوله (ان تحرص على هداهم فان الله بهدي من يشاء) وقوله (فلا تحزن
عليهم) اذ لولا انه كان كله رحمة لما وقع منه ذلك على أعدائه الذين آذوه
ولكن الطبع غالب على التطبع . وعامل الدنيا بالرغبة عنها اتباعاً لقوله تعالى

(وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) وقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) وقوله (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح) وقوله (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وثقاخر بينكم وتكاثر) الى آخر الآية الشريفة ولقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا جيفة وطلابها كلاب) وعامل الآخرة بالرغبة فيها والعمل لها لان الرسل قد أجمعوا على أن الدنيا والآخرة ضربان متباعدتان وبقدر ما يقرب المرء من احدهما يبعد عن الاخرى وعامل النساء بالحذر من فتنهن . وعامل المال بقرضه لرُبك لقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم) وعامل النار بالتقوى والخوف منها ومن العمل الذي يقرب لها وعامل الجنة بالرغبة فيها ومحبة الاعمال الموصلة اليها وعامل أولياءك بما يزيد في ولائهم أقارباً كانوا او اصدقاء وعامل الاعداء بما يكف عنك اذاهم وعامل قارى القرآن بالانصات له وعامل القرآن بتدبر معناه ان كنت قارئاً او سامعاً وعامل الحديث النبوي بما ليث عن صحيحه وسقيمه وعرضه على الاصول فما وافقها فخذ به وان لم يصح الطريق اليه فان الاصل يعضده واذا ناقض الاصول فلا تأخذ به وان صح طريقه مالم تعلم أن له وجهاً فان طريق الآحاد لا تفيد الا غلبة الظن وعليك بالسنة المتواترة وكتاب الله فانها خير مصحوب ولا تتبع في الاخذ بكتاب الله والفهم عنه الا الاتقياء الامناء واياك والمؤمنين من الفضلاء الذين يأولونه ليلضوا الناس عن سبيل الله (والله لا يحب المعتدين) واياك والخوض فيما شجر بين الصحابة وعامل بيتك بالصلاة فيه وعامل مجلسك بذكر الله وبالاستغفار عند مفارقه وعامل الجاني عليك بالصفح

لقوله تعالى (وان تعفوا اقرب للتقوى) وعامل بصرك بالغض عن محارم
الله وسمعتك بالاستماع لاحسن القول ولسانك بالصمت عن سيئ القول وان
كان حقاً وعامل ما فرط من الذنوب بالخوف وعامل الحسنات برجاء القبول
والتواب وعامل الدعاء بالاضطرار وعامل نداء الحق بالتلبية لما ناداك اليه
من عمل او ترك بمعنى انه اذا اعترضك أمر من أمور البر مثل اغاثة ملهوف
او اطعام جائع او ازالة منكر او جاء وقت الصلاة او اي عمل من الاعمال
التي اوجبها الله تعالى على عباده فاعلم أن الله يناديك اليها قلبه واسرع
الى امضاها وان اعترضك أمر منهي عنه فاعلم ان الله يناديك ان لا تفعل
فتجنبه وهذا هو حال من فتح الله اُسماعهم وأبصارهم من المؤمنين وان
من وراء هذه الآداب لا آداباً قد تحقق بها اصفياء الله في احوالهم ويعلمها
الطالب الراغب من مطالعة كتب أهل التحقيق الذين تمكنوا من الحقائق
الدينية قشوراً وألباباً واقتفوا آثار النبوة علماء وعملا وحالا ومن طالع تلك
المؤلفات ووقف على ما كان عليه ارباب المجاهدات علم مزايا الرجال
واستعظم مواهب الكبير المتعال

ثم من الآداب ما هو مسطر في الكتب الدينية من مؤلفات الواعظين
واستنباطات الائمة المجتهدين. وما كانت هذه الآداب التي ذكرناها
وما لم نذكرها مما علمناه منها وما لم نعلمه الا مستنبطة من كتاب الله
وأحاديث رسول الله واعماله واحواله وما كان ذلك كله الا تأديباً من
الله وتعلماً لئيبه بعد أن صفاه وصافاه. واختاره واجتبه. وانزل عليه الوحي
وهذا هو الدين الاسلامي فأبي جاهل او مفتون او احمق او كافر او ما كر
او زنديق او مجنون يسوغ له ان يتصور ان الدين الذي لا يكمل لتدين

به الا اذا تكامل تلك الآداب أن مصادره خرافات أو عوائد أم
جاهلية أن هذا هو الضلال البعيد

(العقبة السادسة)

هل ورود الانبياء التي جاء بها القرآن عن الانبياء وعن أمهم وعمها
يكون بعد الموت يجوز أن يكون مضعفاً لقوة براهين القرآن وصحة نسبه
الى الله بسبب أن تلك الانبياء اوردها اليهود قبل البعثة في كتبهم أم
لا يكون مضعفاً لها وعن هذا نقول

قيل ان رجلين التقيا في قرية من القرى أحدهما شيطان من شياطين
التبشير والآخر من مؤمني العوام فأخذ ذلك الشيطان يسب النبي صلى
الله عليه وسلم ويخوض في آيات الله التي أنزلها على رسوله قائلاً ان جميع
القصص التي تزعمونها قرآناً منزلاً قد كانت مسطرة في كتب اليهود قبل
نزول القرآن فقال له المسلم العامي وهل تلك القصص واقعية أم مكذوبة
فقال منها ما هو صحيح ومنها ما هو مكذوب فقال هل وردت في الكتب
المنزلة مثل الانجيل والتوراة أم لا قال ان منها ما هو وارد في الانجيل فقال
له لماذا أيها الشيطان كان ورودها في الانجيل اذا كانت مسطرة في كتب
قديمة قبل ظهور الانجيل أليس ذلك قادحاً في صحة الانجيل كما زعمت أنه
قادح في صدق القرآن ثم قال له أيها الشيطان ألم تكن وقائع الانم مع
أنبيائهم مشهودة لاقوام كثيرة في أعصارهم وناقلتها الأجيال حتى جاء
بها الانجيل والقرآن فهل من آية في الانجيل او في القرآن دالة على أن تلك
الوقائع لم يطلع عليها مخلوق الا الرسل حتى تكون تلك الأنبياء حجة لك
على القرآن أنه ليس بمنزل

فقال ذلك الشيطان أليس القرآن هو أساس دينكم وهو أصله الثابت
عندكم . قال المسلم نعم . قال الشيطان أو لم يكن القرآن قصصاً كله . فقال له
المسلم كذبت ان أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
(بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ بسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق .
اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) هذا هو مبدأ
الوحي السماوي وأما الفرائض فكان مبدؤها الاسرى وليس برهان صدق
التنزيل هو ورود تلك الانباء فيه ولكن برهانه هو الاعجاز الذي ذكره الله
سبحانه وتعالى بقوله لبيبه (قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقال في آية أخرى (قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً) ثم مما يؤيد قوة هذه البراهين ورود هذه الانباء في
الكتب السماوية وفي كتب المؤرخين ولكنها لم تكن كما وردت في القرآن
بذلك الاعجاز وتلك البلاغة وليس القرآن قاصراً على انباء الرسل وأمهم بل هو
حكم كله وهدى ورحمة وبيان وشفاعة لصدور المؤمنين واما الحق سبحانه
وتعالى فيه بانباء الرسل الا تثبتاً لفؤاد نبيه وتذكراً للمؤمنين فلو أن
ورود تلك الانباء كان قادحاً في القرآن فبالأولى يكون مكذباً للانجيل
التي نرى أن أسلوب القصص فيها لا يتجاوز أساليب العوام في قصصهم بل
من فصحاء العوام من يتحاشى بعض اللفاظ التي وردت في الانجيل فخساً
ذلك الشيطان المرید ولذلك جئنا بهذه المحاورة لتكون مغارة للباحث في
هذه العقبة ثم عزمنا على بيان تلك التحريفات الواردة في ألفاظ الانجيل
بعد الفراغ من ذكر هذه العقبات تصديقاً لما ذكره ذلك المؤمن الذي

أنطقه الله بالحق بغير سابقة اطلاع ولا تعلم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
(العقبة السابعة)

هل كان في زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقوام يعقون ويعقلون ويميزون الحق من الباطل او كانوا بلهياً لا يعقلون شيئاً وان كان منهم العقلاء فهل وقعت منهم معارضة في صدق الرسالة وخالطهم الشك حتي تبينوا صدقها أم لم يكن ذلك وعن هذا نقول

لقد أجمعت الامم على أن العرب أفصح الناس منطقاً وأسماءهم همأ وأوسعهم في المعارف نطقاً واشدهم عن الاقبياد ابناءً واقوى الامم لدى المقاومة دفاعاً ثم اجمعوا على ان قریشاً هم اشرف العرب حساباً ونسباً وارفعهم لدى التفاخر رتباً. وما بعث محمد صلى الله عليه وسلم الا في عصر كان قریش فيه الصيت الشائع. والجاه الواسع. لان واقعة الغيل أرهبت قلوب الامم من قریش. ولقد تربي محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم يتيماً لا شوكة له ولا صولة غير أنه كان على خلق عظيم من عهد التمييز الى أن صار نبياً يدعى بينهم الصادق الامين. وكمن نزاع بينهم كان فيه هو الحكم العدل وكان حكمه مرضياً قبل نبوته فلما أسري به ليلاً أصبح يحدث الناس وبلغهم رسالة ربه فطلبوا منه الأدلة والبراهين على صدقه فجاءهم بما به صدقوه ولكن قوة الاباء. في نفوس الاقوياء. منهم دافعهم عن الاقبياد له لان قوة تمسك المتدينين بعبادة آلهتهم تمنعهم عن طاعة من يخالف ما يعتقدونه الا بعد جهد جهيد فلذلك كان الاباء من البعض ولكن الحق ما زال يعلو ولا يعلى عليه بكثير من الآيات وبشائر النصر والفتح المبين حتي آمن منهم من كانت له سابقة سعادة أزرية ولقد جاءت

آيات القرآن مبينة لما وقع من اسلاف هؤلاء السفهاء وآبائهم من الجدل
والمعارضة ومدافعة الحق بالباطل ثم اوضحت البراهين والدلالات التي
صدتهم عن تلك المعارضة ولولا ان الله سبحانه وتعالى جعل في الناس
سعداء واشقياء وسبقت كلمته على فريق منهم بالعذاب لا آمن من في
الارض كلهم جميعا وما كان امتناع المشركين عن الايمان بهذا النبي
الكريم بعد ما شاهدوه من الآيات الا كامتناع اليهود عن متابعة عيسى
عليه السلام بعد ما انزل المائدة واحيي الموقى باذن الله وكامتناع فرعون
وملائه عن الايمان بوسى بعد ما جاءهم بتسع آيات بينات وما كان كفر
هؤلاء السفهاء الا ان وانكارهم رسالة صاحب هذه الشريعة العظمى الا
تعصبا ومتابعة لأشرار اسلافهم لتحكم الغرور والطيش في افئدتهم ولولا
ذلك لا آمنوا اذ من المعلوم ان القوم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
كانوا هم اوفر الناس عقلا واكلمهم أخلاقا واحسنهم عملا في الجاهلية والاسلام
اذ كان من شرف اخلاق عمر بن الخطاب انه مازني في الجاهلية ولا في
الاسلام الى غير ذلك من مكارم الاخلاق المعروفة في القوم الذين تابعوا
هذا النبي الكريم فلو انهم رأوا فيه عيوباً او ارتابوا في امره لما تبعوه
وكذلك باقى الطوائف الذين اتبعوه في ذلك الزمن من ملوك وامراء وضعفاء
واقوياء ماتبعوه الا من بعد ما تبين لهم الحق كما تشهد بذلك الأنبياء
الصادقة وسيأتي بيان شرفه وعظم جاهه وعلو منزلته على الرسل والله على
ما أقول وكيل

(العقبه الثامنة)

ما هي الاسباب الحاملة لسفهاء الفلاسفة من كل دين على هدم
قواعد الاديان مع دعواهم الحكمة وكال العقل ومع علمهم ان الاديان

هي كالحاجز بين المتدينين على اختلاف طبقاتهم وبين شهواتهم فيكون
الدين الباطل اخف ضررا من لادين وفي ذلك نقول والله يقول الحق
ويهدي السبيل

لقد خلق الله الانسان على الصورة كما ورد في بعض الكتب السماوية
والاحاديث النبوية . وسخر له ما في السموات وما في الارض واعطاه قوة
الفكر وهياً بباقي القوى لتنفيذ ما اراده به ومنه حالا وما لا ولكن الله
سبحانه وتعالى تعرف لبعض واحتجب عن بعض بحكم سابقة التقدير الازلي
فذلك اختلفت منهم المشارب والمآرب فمن كان منهم من اهل التعرف
توجهت افكاره الى معرفة ربه وشهده في نفسه وفي غيره واستبشر برسائله
فرحاً وهش لمتابعة رسوله ليفوز برضوانه فما فائته الدقائق من تلك المتابعة
وما تخير لنفسه عملاً ولا حالاً الا ما كانت عليه الرسل لعله انهم ما تلقوا
علومهم الا عن الله فتيقن ان الخير كله في متابعتهم فسار وراءهم قدماً بقدم
وأما الفريق الآخر وهم المحجوبون فقد تشعبوا شعباً كل وراء ما
احتجب به فمنهم من احتجب بالمسلاهي من الشهوات البهيمية وهؤلاء هم
أخس الخلائق طباعاً وأخفضهم منزلة كما تراه في حال المتهتكين في محبة
النساء وشرب الخمر وملازمة القهاوي ومواطن الملاهي ومنهم من احتجب
بالتكالب على الدنيا فلم تنوجه افكاره الا الى جمع الاموال والكد في
تحصيل متاعها القليل ومنهم من احتجب بالجاه ونفوذ الكلمة ولولا ما هو
عليه من العجز والافتقار الحقيقي لادعي الالوهية . ومنهم من احتجب
بسعة الاطلاع ومطالعة الفنون الرياضية وانطلق فكره سارحاً في ميادين
المعلومات ساجحاً في بحارها المظلمة حتى تعمق في عميق موحها التلاطم فأركبه

الشیطان مرکب الغرور حتی غلب علی عقله الافتتان بنفسه . وتمکن منه الاحتجاب بحسه . فظن ان له نصیباً من ذلك الملك المسخر له وتوهم أن له الحق فی التصرف فيه فانصب لاصلاح ما ظنه فاسداً من شؤون الخلائق الذین یرونه ارفع منهم منزلة لجهلهم بشأنه وشؤون أنفسهم وكان من امره أن جعله الله سبحانه وتعالی بواً ای صورة بخوفة یظنها الاغیاب . ضارة نافعة لكي یخوف الله به من لا یخاف ولا یستحي من ربه لیصرف قلوبهم العافلة عنه وذلك بأنهم قوم لا ینفقون

وهذا هو حال الفلاسفة فترام لشدة طغیانهم عموا عن متابعة الرسل مع علمهم بأنهم علی الحق والکنهم توهموا انهم لا یزیدون عنهم فی سعة العقل درجة بل ظنوا انهم فی درجة العقل سواء فألزمهم سوء الادب ان یخذوا للناس مسلكاً غیر مسالك الرسل تكون سبباً لاصلاح ما فسد من احوالهم ظناً منهم ان اكل زمن حکماء وانهم هم حکماء ازمانهم فتعالی بهم الطیش الی درجة توهموها فوق درجة النبوة وغرهم انقیاد ضعفاء القلوب واتناء السفهاء الیهیم فما تفتنوا الی أن حکمة الله فوق کل حکمة وأن تدبیره اكمل تدبیر وأنه هو المشرع وانه كان بعباده خبیراً بصیراً فلذلك اذردوا الآداب الشرعیة واتحلوا للناس طریقاً غیرها فهلكوا وهلك من تابعهم وهم لا یשמرون

ألا ترى الناس الآن اعتنقوا الدنیا وهجروا الآخرة متابعین لسفهاء الفلاسفة من کل دین اذ قاموا خطباءً فیما بینهم مرغبین فی الدنیا ومنکرین أمر الآخرة ظانین ان مراد الله من هذا الوجود ما هو الا التقدم والغلبة وکمال الاستعدادات للمحاربة وسفک الدماء الی غیر ذلك مما تسارع

اليه الامم الآن وما ذلك الا ثمرة الطغيان والطيش والله على كل شيء
قدير فظوبني لعبد شاهد دخان هذه الفتن المهلكة فاحتمى من لهيب
نيرانها بالالتجاء الى ماتحفظ به السلف الصالح وتبع آثارهم بالنظر في
أخبارهم وتفقد مؤلفاتهم حتى يتبين له الحق قبل أن تهوى به الالهواء
من جهنم في مكان سحيق

ألا يرى المسلم المتبصر في أمره الذي تعز عليه نفسه أن يسلمها الى
أولئك الشياطين أن شياطين المبشرين الآن ايس لهم مستند يستندون
اليه في اغوائهم ولا ركن يركنون اليه في جدلهم الا ما عليه الفلاسفة
الآن من ازدراء الدين . واعابة الأئمة المجتهدين . وانها لفتنة عظيمة وطامة
كبيرة ومحنة عامة لا ملجأ منها ولا منجاة الا سعة رحمة الله واطفه بعباده
وهو التواب الرحيم (العقبة التاسعة)

إذا تحققنا أن الرسل قد سلكوا مسلكاً دينياً وتبين أن عظام
الفلاسفة خالفوهم الى مسلك آخر وكان مسلك الانبياء شرعياً ومسلت
الفلاسفة عقلياً فمن من الفريقين تجب متابعتهم ومن هو الاكمل حالاً
والأحسن مقالاً . والأقوم أعمالاً . فنقول

ان المتأمل البصير الذي له نصيب من العقل اذا تأمل في أحوال
الأمة وأعمالها من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن بعين
الناقد البصير يعلم الفرق بين خيار القرون وبين الفلاسفة ويعلم السبب الفارق
بينهم بأدنى تأمل ويتحقق حق اليقين أنه لو سرت المتابعة على حقيقتها في
التابعين وتابع التابعين وراء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الى الآن
لكان الكل خياراً

ولقد أجمعت جميع الامم من فلاسفة وغير فلاسفة أن محمدا وأصحابه
هم خير الامم وأكملهم حالا . وأشرفهم أعمالا . ثم كل عاقل يعلم علم اليقين
أن السبب القوي في وجود المخالفة بين التابعين في كل قرن ما هو الا
اتباع الهوى ولا يكون اتباع الهوى الا من دعوى العقل التي عليها .
الفلاسفة في كل زمن . وان الفرق بين أخلاق الفلاسفة وبين أخلاق
الرسل لو اوضح كوضوح الفرق بين أعمال هؤلاء وهؤلاء . وبين أحوالهم
اذ أحوال الرسل أحوال تسليم وتفويض وأعمالهم تابعة لآحوالهم . وأما
أحوال الفلاسفة فأحوال استبداد ودعوى استقلال بالرأى ثم ان أعمالهم
تابعة لآحوالهم . فالفرق بين الطائفتين كالفرق بين العبد المستسلم لسيد
المنقاد لاوامره وبين العبد اللئيم الذي لا يعمل الا ما طوعت له نفسه عمله
وليت متابعة احدى الطائفتين طوع اختيار المتخيرين ولكننا هي وراء
الاستعدادات الازلية . والقوابل الفطرية . كما كانت عليه الناس في أيام الرسل
فمن دعت العناية الازلية وساعدته سابقة استعداد على سلوك سبيل السعادة
انشرح صدره لمتابعة الرسل في كمال الآداب وأداء الفرائض ومن حقت
عليه كلمة العذاب افتتن بما افتتن به أئمة الضلال والزيف وأخذ بفكره
عن الآداب الدينية جانبا وأحاط به الغرور حتى اذا جاءته آيات ربه
القرآنية أولها الى ما يلائم حاله كما قال الله تبارك وتعالى (كذلك نسلكت
في قلوب المجرمين) واذا اعترضته آيات الاعتبار أعرض عنها فلا تصنع
أذنه الا الى مغويه من تلك الطائفة الخبيثة التي هي أضمر خالق الله على عباد
الله نسأل الله السلامة والحفظ من الغرور والدعوى وسوء الافتتان انه
كان توابا حكيما

فليتجنب المسلم العاقل مواقف الزلل ولتجمل المؤمنون بصالح
العمل ومن أراد النجاة فليحفظ من ورطات الغرور ولتجنب زخرف
القول فإنه ما من مصيبة أضرت على العالم وعلى من يقدي به من زخرفة القول
تخالف لسنة السلف الصالح سيما إذا جاء على صحة قوله بدليل قرائن الاحوال
الحاضرة اذ كل سامع كان يجهل أمراً ثم طرق آذانه ذلك الامر بكلام
مزخرف لا يدافعه عن تصديقه مدافع الا اذا تلا عليه ما هو خير منه تال من
يكونون فوق المتكلم الاول درجة في أعين الناس ولقد اصبحت طائفة الغلاسفة
في هذا الزمن أعظم الطوائف في أعين الناظرين وما ذلك الا لسببين الواحد
منها أن الوقت وقت فتنة وضلال عن الدين وانهاك في الدنيا واقبال
عليها وكل مقبل على الدنيا لا يعظم في عينه الا من كان ذا بسطة في المال
والجاه . الثاني أن النفوس الامارة لا تميل الا الى ما يلائم أغراضها والقلوب
لا تقبل الا على ما كانت بينها وبينه مناسبة فلا يميل المغرور الا الى أهل
الغرور ولا ينتمي سليم القلب الا الى أهل التقوى وقليل ما هم في هذا الزمن
ولذلك ترى الدين كأنه صار غريباً كما بدى تصديقاً لما أخبر به النبي صلى
الله عليه وسلم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

(العقبة العاشرة)

ما سبب انتشار المسيحيين الآن باسم مبشرين هل هو عن أمر
سماوى . أم هو عمل خيرى دينى أم لغاية مقصوده . واذا كان لغاية
مقصودة فهل لها من ثمرة مأمولة أم لا ثمرة لها
وتقول لقد امتدت آفاق البصائر وتطاوت اعناق الافكار الى معرفة
اسباب هذا الانتشار . الذي اصبح اشبه شي . بالطاعون البقري والحمل

الدجاجية واختلفت فيه الاقوال فمن قائل انه امر دولي سيامي يقصد به كسر شوكة الدين الاسلامي واضعاف الحمية الدينية التي كان عليها المسلمون في محبة دينهم ليسهل تدليلهم واذلالهم على من اراد ذلك بهم عند الحاجة وهذا امر بعيد عن دائرة التصديق لان الدول لاتعلق لها بأمر الديانات الا ان يقال ان بعض الافراد من زعماء الاصلاح الموظفين مياولون لذلك ميلا طبيعيا بعد الايقان بأنه امر غير مجمع عليه

ومن قائل ان احدى الدول نظرت الى رؤساء الاديان بعين الاحتقار وتحاملت عليهم فما وجدوا ملحا الا الديار المصرية لظنهم انها هي الآن مواطن المحقرين الأذلاء . ومن قائل انها شرذمة قليلة كانوا فقراء وتظاهروا بدعوى التدين بين بسطاء المسيحيين الاغنياء . فأمدوهم بالاموال فاتخذوا ماتظاهروا به حرفة تجارية وتعالوا في ذلك حتى كان من امرهم ما كان واثبتوا في قلوب المسيحيين ان خوضهم في عرض محمد صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله العزيز هو من قبيل الانتصار للمسيح عليه السلام فاقبلوا على معاونتهم واكثروا لهم من العطاء ما تركهم يجولون في الاقطار لهذا الغرض كما يجول المجنون في الفضاء الذي لازجر له فيه . الى كثير من الاقوال واسنا من تتناول افكارهم الى البحث في ذلك ولكننا نقول للمسلم الذي يميل الى الوقوف على الحقائق القول الحق الذي يراه ارباب البصائر مما يجب اعتقاده عند ترادف الفتن والله يقول الحق ويهدي السبيل

قول الله تعالى في كتابه العزيز (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ولفظ شيء يشمل كل شيء من عالم الخلق

والأمر وقال في آية أخرى (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) بيده في الحال والمآل وإلى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم بما معناه (خزائن الخير والشر بيد الله مفتاحها الرجال فضوى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر وويل لمن جعله الله مغلقاً للخير مفتاحاً للشر) وأن الخير والشر أو الهدى والضلال يتداولان بحكم الأقدار الإلهية في الأزمان كما تتداول الأيام بالدول فالزمن الذي يريد الله فيه غلبة الخير على الشر تكثر خياره . وثبت أنصاره . والزمن الذي يريد الله فيه غلبة الشر على الخير تكثر أشراره لأن من سنة الله في خلقه إيقاف المسببات على أسبابها ومن تأمل في وقائع هذا الزمن وانتشار الفتن فيه وانقلاب أحوال الأمة من إيمان ثابت ويقين صادق وحياء من الله وخوف منه ورغبة في الجنة وخوف من النار وتمسك بالدين وإداء للفرائض وتودد في الله ومحبة وميل إلى الطاعة وبغض في المعاصي إلى ما نراه الآن من الفسق والفجور وشدة الجرأة والاقتراب على الأعمال الفبيحة وفساد الاعتقادات والميل إلى القبائح وفحش القول السيئ من كل صغير وكبير وتكذيب ماجات به الرسل من الوعد بالجنة والوعيد بالنار وفساد الاعتقادات والميل إلى الشبه الزبغية المضلة وقوة شوكة الفلسفة والجدل وانتشار المضامين الضالين في أقطار الأرض وكل ذلك قد كان في زمن لا يتجاوز العشر سنين علم علم اليقين أن مراد الله من خلقه ما هم عليه الآن من سوء الحال . ونسيان المسالك . واتسكال على الدنيا وهجر الدين ليكون لجهنم منهم أوفر نصيب ولذلك ترى أن البيت من بيوت المسلمين الآن ربما مضى عليه أيام عديدة لا تسمع فيه من يقول لا آية إلا الله ولا ترى فيه مصلياً وربما

أجمعت العائلة برمتها على هجر المناسك الدينية حتى لا يكون بينهم وبين أهل الكفر فارق بل ربما كان الكافر يتمسك بعبادة صنم فوقهم في أداء ما يعتقد وجوبه عليه ومن تحقق الأمر كما ذكرنا وتيقن أن الأقدار الإلهية هي القاضية بما نراه وراء الإرادة العلية التي كما أوجدت الجنة وجعلت لها أهلاً كذلك خلقت النار وعينت لها ما يكفيها إذا قالت يوم القيامة هل من مزيد علم علم اليقين أن هذا السير السريع والانتقال الذي كان على عجل من حال إلى حال كما ذكرنا هو عمل مقدر الأقدار لا عمل الاغيار ولولا ذلك لما انفتحت أغراض الفلاسفة وطوايا المبشرين على ايقاع الريب والشك في قلوب العوام بما ألقوه اليهم مشافة وعلى أسنة الصحف الزيفية المنتشرة من تقييح أعمال المتمسكين بدينهم بدعوى أن الكتاب والسنة ما أوجبا ذلك لربما مقناه حتى انتقل العوام من تذكّار للدين ومحبة إلى نسيان وملال وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

وأما غاية أعمال المبشرين ومن عاونوهم فما هي الا خفض أعلام الدين المحمدي وأما ثمرة ذلك المأمولة لهم فما هي الا توسعة نطاق ثروتهم واطفاء ما كان في قلوبهم قبل هذه البدعة من حرارة الفقر المدقع وان هذه الفتن لا بد لها من نهاية يعود وبالها على أهل المكر السيئ كما قال الله تبارك وتعالى (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) وان الباطل لا يعلو على الحق وان تطاول به الزمن وما شاد الدين أحد الا غلبه كما أخبر الصادق الامين وكما قال الله سبحانه وتعالى (ان العزة لله ولرسوله والمومنين) ومتى اشتد الكرب هان وكلمة تعالى الباطل دنى انحطاطه وان الذين ظهروا الآن بمظاهر الزيف سيطوهم الخفاء تحت نعالي المصائب اذ هم كغفال مسخرين

لا حال ثفيلة حتى اذا بلغت محلها حشرت البغال في اسطبل الدواب وانه
لا سطبل ليس لها فيه طعام الا من زقوم كما قال الله جل شأنه (لا يسمن
ولا يغني من جوع) والله بما يعملون محيط

فعلى كل عاقل ألقىت تلك العقبات أمامه أن يتبصر فيما ذكرناه
ويتدبره بفكر سليم وقلب حاضر ونية سالحة حتى اذا ثبت في حافظة
تصوره هذا البيان البين لا يعمل فيه سحر الساحرين. ولا مكر الماكرين
ولا تزحزحه عن دينه القويم خدعة مخادع ولا شبهة مبتدع. والحق أحق
أن يتبع. والله لا يهدي الكافرين

ثم نقول انه لما ألقىت لنا ثقلبات الايام وحوادث الليالي أقوال اهل
الزيغ التي جمعها صاحب (تنوير الافهام في مصادر الاسلام) عرضناها على
كثير من العقلاء فأعرضوا عنها مقتاً وازدراءً وقالوا انها احاديث أحداث غير
تميزين ولقد اضحكهم حال ذلك الكتاب عندما علموا عنوانه وقالوا ان بين
الاسم ومسماه تضاد وتناقض وما كان لمؤلف عاقل أن يؤولف بينها اذ
المطلع البصير لا يرتاب في أن ما جاء به أولئك المبطلون ماهو الا تشويش
افهام. وتمويه اوهام. فإتمسنا لذلك المؤلف عذراً لأنه ما كان الا ناقلاً
جاهلاً بما هو الدين فلهدا ما وجهنا اليه ملاماً بل كل ما كان وما يكون
منا من عتب او سب لا نقصد به الا من نقل عنهم ذلك الناقل لأنه لو
علم أنها خمر ما حملها الى أحبائه واخوانه ولا تعرض للعنة الله حيث يلعن
الله الحامل والمحمول والمحمولة اليه كما ورد في حديث الخزرة

ثم لما كان كل مطلع على هذا الكتاب يعلم علماً بديهياً أن المقصود منه
ماهو الا تشويش افكار عوام المسلمين الذين يجولون آداب الدين وأصوله

أجلنا حب الخير وصدق الايمان والتعاون على البر والتقوى ان نأخذ بأيدي
جهة العوام من ورطات هذه السيئة التي يراها العلماء في اعينهم هزياً
مضحكاً ويراها الجاهل جدلاً مسكتاً فصار من الواجب المحتم واللازم
الضروري ان ننكش من نكش ونلكش من لكش ونصرع المصارع
ونزاع المنازع ولهم في الآخرة عذاب مهين

الكلام الآن على الدين لا من حيث هو امر سماوي موصل الى سعادة
ابدية كما سبق بيانه ولكننا الآن في ميدان الجدل نتكلم عليه من طريق
انه حضارة وتمدن كما زعم الفلاسفة وسفهاء الزائعين لأنهم لا يعلمون الا
ظاهراً من القول ولا يعتقدون الا طريق الاعتدال في المصالح الدنيوية
ولقد عاب اصحاب هذا الكتاب دين الامة المحمدية لزعمهم ان مصادره
ليست سماوية ولكنها خرافات اخبار كما زعموا فصار من الواجب الآن
على كل مسلم وكل مسيحي بل وكل يهودي ان يبحث عن مصادر الديانات
الثلاث ومواردها وما جاءت به وما عليه المتدينون منها حتى اذا ما تحقق
الحق في واحد منها تدبى به متى علم ان الله سبحانه وتعالى قد ارتضاه
لعباده ثم بعد ان تدبى الحق نتكلم ان شاء الله تعالى عن الرسالة المحمدية
من حيث انها سماوية وانها هي لباب دين الله وملاك امره وحقيقة حاله
فلنبداً بدين موسى عليه السلام فنقول

قام موسى عليه السلام يقاوم قوماً من آل فرعون قبل ان يرسله
الله اليهم مقتاً لما كانوا عليه من احوال التوحش والاستبداد وبغضا
لفرعون الذي كان يدعى مائيس له فيه من حق وما كان ذلك المقت
والبغض طاعة لأمر الله ولكنها فطرته التي كان عابها لان من سنة الله

في خلقه أن يبها لما يريد امضاءه من الاعمال المقدر وقوعها في كل زمن
 استعدادات وقوابل فيمن يريد اظهارها على أيديهم وأن يجعلها موارد
 أفكار قوم قبل ظهورها فلذلك أوجد الله في قلب موسى وقلوب شيعته
 بغض فرعون وملائه كما أحدث في قلوب قوم من قريش بغض الاصنام
 وسامة عبادتها قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بقليل كما ذكره صاحب
 تنوير الافهام وسيأتي بيانه فلما انتهر القوم بموسى ليقتلوه خرج من بينهم
 خائفاً يترقب ولا يبجل متدين عناية الله به في زمن الطفولية اذ رباه في
 حجر عدوه على علم منه ثم في زمن الرجولية اذ آواه وزوجه ابنة شبيب بلا
 سابقة تعارف ولما آن أوان بعثته تعرف له الحق تبارك وتعالى في صورة
 حاجته ليلا اذ كان يحتاج لامرأته قبساً عند وضعها الحمل في حال السفر
 فأراه الله جل شأنه وتقدست أسماؤه من الشجرة ناراً فلما أتاها نودي
 يا موسى اني أنا الله ولم يكن هناك عليها شاهد ثم أرسله الى فرعون وملائه
 بآيات بينات فكذبوه وقاموا في وجهه بجادلين ومحاورين ومعارضين
 وكلما ازداد الحق وضوحاً ازداد القوم كفراً كما أنبأنا الله بذلك وكما ورد
 في العهد القديم من الاناجيل التي يدرسها الآن المسيحيون وما زالوا
 كفاراً حتى أهلكتهم الله الا من شاء الله هدايتهم ولما جاوز الله بموسى
 البحر ومن معه أكرمهم بما فضاهم به على العالمين في ذلك الزمن وما كان
 ذلك التفضيل الا الذي امتن على موسى به في قوله له (اني فضلتك على
 الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) فقام عليه
 السلام في قومه يتلو التوراة ويمضي فيهم أحكامها وهم طوراً يتلونون وطوراً
 يستقيمون حتى قارب موسى الاجل كتب لهم التوراة وهو في غاية من

الاسف والحزن على ما وقع منهم من اللؤم الذي لا ينبغي أن يتخلق به من له أدنى احساس أو تمييز من مقابلة نعم الله بالبطر والكفر مع ما علمه عنهم من نقض العهود باخبار الله سبحانه وتعالى له فجمع الراشدين منهم كما هو مسطر في العهد القديم وهذا نصه

(فعند ما كمل موسى كتابة الكتاب التوراة في كتاب الى تمامها أمر موسى الاوابين حاملي تابوت عهد الرب قنلا خذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم لاني انا عارف بمرادكم ورقابكم الصلبة هو ذا وانا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي اجمعوا الي شيوخ أسباطكم وعزفانكم لا نطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والارض لاني عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به وبصبيكم الشر في آخر الايام لانكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمالكم بأيديكم)

هذه هي شهادة موسى عليه السلام على أمته وأما شهادة الله سبحانه وتعالى عليهم فهو فيما ورد في ذلك العهد في الصحيفة التي قبل هذا وهذا نصه (وقال الرب لموسى هوذا أيامك قد قربت لكي تموت أذع يوشع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه ولما وقفا هناك قال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجروا آلهة الاجنبيين في الارض التي هو داخل اليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم واتركه واحجب وجهي عنه) الى آخر ما ذكر هناك

وذلك بعض مما جاءت به تلك الامة من المخالفات في حياة ذلك
الرسول الكريم كما هو معلوم مما ورد عنها في كل الكتب السماوية ثم
بعد موت موسى كان ما كان من بني اسرائيل من المخالفات وهجر
الاحكام الشرعية وقتل الانبياء وقد انبأ القرآن عنهم بقول الله سبحانه
وتعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم) الى آخر الآية الشريفة

فالعقلاء يستنتجون بآرائهم مما ذكرناه اربع نتائج (الواحدة) ان
مبدأ رسالة موسى عليه السلام خطاب الله سبحانه وتعالى من الشجرة
ليلة وضع زوجته . (الثانية) ان موسى مات غير راض عن امته . (الثالثة)
ان الله سبحانه وتعالى كان ساخطاً عليهم لانهم كفروا نعمه وخالفوا
اوامره مرارا . (الرابعة) لم يحفظوا شريعة نبيهم بعد موته . ومن كان هذا
حاله لا يتقدي به ولا يتبع ولا يصدق في أنبائه ولا يؤمن على كتاب
الله الذي جاء به موسى وهذا هو ما ينبغي لكل عاقل ان يعلمه من كلام
العهد القديم كتاب المسيحيين ومن آيات القرآن المجيد الذي انزله الله
على محمد صلى الله عليه وسلم لان اعمال تلك الامة كلها ما واقت اعمال
التمدن بوجه من الوجوه بل كانت اعمال توحش وهمجية كما شهد بذلك
الرب جل شأنه في ذلك العهد بقوله (انهم امة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم)
ومن كانت هذه شهادة الله فيه لاخير فيه ولا يعتد بقوله ولا بعمله

واما عيسى عليه السلام فنحن بكل ادب واحترام نعتقد صدق
رسالته وصحة دينه الذي كان عليه هو والحواريون من بعده ونعتقد ان
دينه هو الدين الاسلامي الذي سبق بيانه قبل وقد كان دين كل نبي

ورسول ولكننا نتكلم على الدين الذي اعتنقه قومه الآن من حيث انه
حضارة وتمدن ومخترعات فلاسفة أقدمين تركوا آداب الدين الحقيقي
وتنافسوا في الظهور متظاهرين بالعلم والمعارف لا من طريق الاتباع بل
من طريق الابتداع وراء مخيلاتهم وتوهمات أوهاهم فنقول
جاء في كتاب العهد الجديد في الاصحاح الاول أن ولادة المسيح
كانت هكذا

(لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبل
من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد
تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر في هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر
له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن
الذي حبل به فيها هو من الروح القدس فتلد ابناً وتدعو اسمه يسوع
لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لسكي يتم ما قيل من الرب
بالنبي القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي
تفسيره الله معنا)

ولقد عاب فصحاء الأمة ما في هذا الاصحاح من ركافة الالفاظ
وقالوا انه ربما كان هو السبب الوحيد في فتنه اليهود وزعمهم أن المسيح
هو ابن يوسف وذلك من وجوه

منها أن قوله وجدت حبل من الروح القدس يفيد ان روح القدس الذي
هو جبريل عليه السلام أو أي ملك من الملائكة الروحانيين واقع مريم
فحبلت منه وذلك ينافي أنه كلمة الله بالمعنى الذي يزعمه المسيحيون لانهم
يقولون ان المسيح كان ذاتاً موجودة كأنه قبل حصولها في بطن مريم

وان هذه الذات التي هي من الله هي جوهر الهي حل في أحشاء مريم
وتأنس منها وهو علة كيان المسيح بدون أب

فهم الفصحاء من سخافة تلك الالفاظ ان ما تقولها الا قوم جهلاء
باللغة العربية قد تفننوا في الجهل لأنه لو كان المسيح ذاتاً موجودة قبل
وجود مريم لقال الانجيل انما حلت الذات القديمة الجوهريّة التي هي ابن
الله بطن مريم فظن يوسف زوجها أنها باغية فجاءه الملك ببرأتها بدل
ما تقدم ذكره

ثم تأكدوا جهل متصنعى هذا الاصحاح من ركاكة قولهم اذ قالوا
ان ملاك الرب قال ليوسف لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي
حبلى به فيها هو من الروح القدس وطالما ضحك الفصحاء من قوله حبلى
به فيها لانهم فهموا أن الملاك الذي أتى ليوسف هذا القول تخيل أن
بطن مريم قرية من القرى حبلى فيها حبلى بولد فقال الذي حبلى به
فيها هو من الروح القدس لأنه لو تظن لان مريم هي الحبلى لم يقل حبلى
به فيها فلهذه الركاكة أزموا أنفسهم تلاوة العهد القديم والعهد الجديد
ليتبينوا هل هما انكتاب المقدس الذي أنزله الله أم هما غيره وسندكر
ما يبدووا لابصارهم وبصائرهم بعد قليل

ثم جاء في ذلك العهد الجديد أن الملاك جاء ليوسف مناما مرة
ثانية بعد ولادة المسيح ليهرب به الى مصر قائلًا له في الحلم خذ الصبي
وأمه واهرب الى مصر كما في الاصحاح الثاني وقد هرب بها ولما مات
هيرودس جاءه الملك مناما ليرجع بها فرجعوا الى ناصرة ولذلك كان
يدعى عيسى الناصري ثم في الاصحاح الثالث ذكروا أن يوحنا عمده

والتعميد هو بمعنى الاغتسال لأن كل تائب على يد استاذ لا بد أن يتطهر
بالماء عند التوبة غير أن المسيحيين يزعمون أن ماء التعمد ماء خاص مبارك
وهذه أيضاً حدثت في صدور العقلاء شيئاً من الشك في أمر المسيح
من وجهين. الاول أن المسيح هو الاله وما كان لآله ان يعمده عبد
من عبده. الثاني أن القرآن المجيد قال فيما حكاه عن المسيح انه قال لقومه
عند ما أشارت اليه ان يتكلم (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً
وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) ومن
كان نبياً وموصي من قبل الله لا يسمح له الادب مع الله أن ينتمي الى عبد
من عبده ايطهره بالتعميد فذلك اجمع جماعة من العقلاء وهم الفصحاء
الذين أشرنا اليهم قبل أن يتصفحوا صحف العهدين ليفحصوا حقيقة الحال
بدقة التأمل فيتبينوا مصادر الدين المسيحي فلما وقفوا في الاصحاح الرابع
على ما كان بينه وبين ابليس وقوله ان ابليس أخذه الى المدينة المقدسة
وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك وقوله له مرة أخرى أسجد لي
وأنا أعطيك كذا علموا أن هذه خرافات محدثين لعلمهم ان المسيح عليه
السلام محفوظ بحفظ الهي لا قدرة لابليس ان يأخذه ويقف به هذه
المواقف لأنه ليس له سلطان الا على الذين يتولونه ولقد سأل الله سبحانه
وتعالى أن يأذن له في لقاء محمد صلى الله عليه وسلم فأذن له وحفت الملائكة
حول سيد الرسل ووقف ابليس على بعد قائلاً يا محمد خلقت للهداية وليس بيدك
منها شيء و خلقت للغواية وليس بيدي منها شيء وما كان له من بغية في
اللقاء هذا القول الا أن يقع عند النبي صلى الله عليه وسلم موقع القبول
فيكون له عليه فضل التعليم فقال له صلى الله عليه وسلم ما معناه الحقائق معلومة

وقولك مردود عليك فنجعل اللعين وذهب من حيث أتى
إذا فالقول بأن اللعين أخذ المسيح ووقف به تلك المواقف قول
مستهجن لا يصدقه الا من لا عقل له ولا دين لأنه من الثابت الصحيح
أنه لم يصل اليه وهو طفل فكيف يصل اليه وهو نبي ورسول ثم ذكر في
هذا الاصحاح أن يوحنا مات في ذلك الزمن ولما سمع المسيح بذلك قام يكرز
ويقول للناس توبوا فلما وقف العقلاء على هذا الموقف علموا أن مصدر
الدين المسيحي هو تعميم يوحنا لعيسى عليه السلام وأنه تلميذه وأن مبدأ
دعوته ليس عن أمر سماوي ولكنه عمل من عمل الانقياء كما يعمل تلميذ
أحد مشايخ الطرق اذا مات شيخه يكون خلفاً له في طريق الارشاد الى
الله سبحانه وتعالى وما هكذا كان امر المسيح الذي يعلمه المسلمون من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبباً لقوة الشك في قلوب هؤلاء
العقلاء في احتمال الصدق والكذب من امر هذا الكتاب ولكنهم تثبتوا
حتى يتيقنوا الامر على ما هو عليه وسارت بهم نجب الاطلاع في ميدان
المطالعة الى أن وصلوا في الاصحاح الخامس الى قول المسيح لتلاميذه
(فليضي نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم
الذي في السموات)

فعلموا ان المسيحيين لجهلهم باللغة العربية عند ما عربوا الانجيل ظنوا
أن اسم الرب الذي هو بمعنى المرابي ينطبق على الاب بمعنى الوالد وأن المربوب
اذا كان محبوباً مجتبي يطلق عليه اسم الابن فلذلك جاء في هذا الاصحاح قوله
ويمجدوا اباكم الذي في السماء فليس الله اباً للمسيح فقط ولكنه أب لكل
بار كما يقول المسلمون النبي جد كل نبي وكما قال الله تعالى (النبي أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فليسوا بأهات ولادة ولكنهن
أهات بر وحنان وتكريم وعلما ان ذلك الجهل من المسيحيين هو السبب
الاقوى في فساد اعتقاداتهم وزعمهم ان المسيح ابن الله لأنهم ما تدبروا
معنى ما أنزل اليهم

ثم لما وصلوا الى قواه في هذا الاصحاح لا تظنوا اني جئت لا نقض الناموس
أو الانبياء ما جئت لا نقض بل جئت لا أكمل فاني الحق أقول لكم الى
أن تزول السموات والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من
الناموس فتيقنوا ان الناموس الذي جاء به موسى و ابراهيم وجميع النبيين
الذي هو الدين الاسلامي ولكنهم لما طالعوا قوله بعد ذلك في هذا الاصحاح
أيضا قد سمعتم أنه قيل للقديس قبلكم لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب
الحكم وأما انا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون
مستوجب الحكم ثم قال لهم بعد ذلك انه قيل للقديس لا تزني وأما انا
فأقول لكم ان كل من نظر الى امرأة يشتهيها فقد زني بها في قلبه فان
كانت عينك اليميني تعثر فاقطعها وألقها عنك الى أن قال وان كانت يدك
اليميني تعثر فاقطعها فخار العقلاء في معنى ذلك القول لانه لو كان هذا
تكميلا للناموس الالهي وكان من اوامر الله كان شرعاً معمولاً به ومن لم
يعمل به فهو فاسق فلو ان المسيحيين عملوا بهذا لأصبحوا وما منهم من ليس
بأعور أو اعشى أو اقطع والا كانوا فاسقين سيما القسس الذين كنا نسمع
عنهم انهم كانوا فيما يزنون بنساء الاقباط في القرى بدعوى حل الخطايا
والتعميد سرا ثم الذين كانوا يتناولون الرشاوي بأيديهم الى غير ذلك من
انواع الفجور وان كان ما جاء في هذا الاصحاح هو كلام القاه المسيح من

نفسه على سبيل الوعظ كما يأتي به الوعاظ من التشديد في زجر الفجيرة ولم يكن من التاموس الالهي فلا ينبغي ان يكون محسوباً ومكتوباً في الكتاب المقدس الذي يقال له تنزيل الهي

وكذلك عند ما وصلوا الى قوله سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك اليمين فحول له الآخر ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً فعملوا ان ذكر ما جاء في التاموس الالهي والاضراب عنه بعد ذكره بذكر كلام يناقضه وينافيه لا بد أن يكون ناقضاً له وقد تبرأ المسيح في كلامه من نقض التاموس بقوله ماجئت لأنقض التاموس وحينئذ ينطبق عليه أحد الاحتمالين السابقين بمعنى انه ان كان من عند الله كان ناسخاً للحكم الاول وناقضاً له وان كان من عند المسيح لم يكن انجيلاً

ثم لما طالعوا بقية هذا الاصحاح من قوله قد سمعتم انه قيل لمن قبلكم تحب قريبك وتبغض عدوك وأما انا فأقول أحبوا اعداءكم الى ان قال فكونوا انتم كاملين كما أن اباكم الذي في السموات هو كامل فعند ذلك تعجب العقلاء من نسبة هذا الكلام للمسيح عليه السلام من وجهين الاول انه يعلم ان الكلام الذي يريد نقضه هو من عند الله وأن الله هو منزله وليس من الأدب ان يقول الله قال كذا وانا اقول كذا. الثاني انه يعلم ان العدل في القضاء هو الكمال الكلي ولو علم الله ان في ذلك الحكم ما ينافي الكمال ما شرعه وليس الولد بأعلم من ابيه ان قلنا كما تزعمون انه ابن الله ولو كان هو الاله كما يقول السفهاء منكم لكان الاولى له ان يقول انا قلت لمن قبلكم كذا واليوم اقول لكم كذا ومن هذا كله تحقق العقلاء

ان هذا الكلام ليس لعيسى ولا لآبائه ولكنه امام عرب محرف واما مصطنع
عن جهل فلذلك التمسوا عذرا للمسيحي الحائر الذي عنون رسالته بقوله
أين الانجيل الحقيقي وعلّموا انه ماجاء مجادلا ولكنه يروم الوقوف على
الحقيقة بارشاد المسلمين له ولكنه تستر بما جاء به في تلك الرسالة من الجدل
والمحاورة مداراة لسفهاء قومه

ثم قال في الاصحاح السادس (احذروا من أن تصنعوا صدقاتكم قدام
الناس لكي ينظروكم فلا يكون لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات
فضحكوا كثيرا من سخافة هذا القول وركا كته لأن لفظ قدام لفظ
يستعمله العوام فيما اذا تقدم رجل أخاه فيقولون مشي قدامه ثم ان لفظ
لا تصنعوا بدل لا تعطوا صدقاتكم يعد لفظاً ركيكاً ثم قاموا بمقارنين بين
هذه الالفاظ وبين ماورد في القرآن في هذا المعرض فقرأ أحدهم وكان
ذا صوت رخيم وترتيل حسن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم باليمن والاذى كالذي ينفق ماله راء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا) الى
آخر الآيات الواردة في هذا المعرض

ثم تعجبوا من اعتراض الخاطئة صاحبة المنار الذي رددنا عليه ضمن
كتابنا مثبت العقل والدين على قول الله سبحانه وتعالى (تلك عشرة كاملة)
اذ قالت ان قوله (كاملة) لفظ زائد لا يناسب بلاغة القرآن ثم قالوا لماذا
لم تكلم هذه المشوثة على ما في هذه الانجيل من الالفاظ الفظيعة أما
سمعت قول المسيح كيف ننظر القذى في عين أخيك ولا ننظر الخشبة في عينك
فكان الاولى لها ان تتبع عوراة قدماء دينها بدل خوضها في آيات الله سبحانه

وتعالى بما لا ينطبق على أفهام العقلاء اذ الفرق بين بلاغة القرآن المجيد وبين
ركاكة هذه الانجيل لا ينكره منكر عالماً كان او جاهلاً فان قلنا ان
الانجيل كان من عند عيسى والقرآن من محمد كان محمد صلى الله عليه وسلم اعلم
بمواقع الخطاب وترتيل الكتاب . وارشاد الاصحاب . من عيسى كما نراه في
كتابه . وأحاديثه وآدابه . ولا ريب في أن أعلم المرشدين واكملهم أولى
بالاتباع فلماذا لم تتبعه تلك الخاطئة وان قلنا ان عيسى ابن الله وكلامه كلام
مقدس وأما محمد فتضع كاذب يقول القائل هل يظن عاقل او يتصور متصور
أن الكاذب من العبيد يكون أحسن لهجة وأقدر على الجمع بين جميع محاسن
الكلام في اقواله من خاتمه ان هذا هو الضلال المبين . وان قلنا ان الانجيل
والقرآن كلاهما من الله يقول القائل هل كان الله سبحانه وتعالى في الزمن
الذي أنزل فيه الانجيل على حال غير الحال التي كان عليها عند ما أنزل
القرآن فيكون كانه لم يستكمل نهاية البلاغة والفصاحة الا في الزمن الاخير
وهذا هو الكفر والجهل بعينه اذا فتمعين أن يقال ان كلا الكتابين من
عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى كما أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن
يخاطب الناس على قدر عقولهم كذلك كانت سنته في خلقه ورسله فأنزل
التوراة على أمة حقى لاعتقوله كما شهد عليهم بذلك هو وموسى عليه السلام
فلذلك كانت معاملته لهم في الخطاب والتعليمات والآيات على قدر عقولهم
وأنزل الانجيل لبقايا تلك الامة فعربوه بما يليق بجاهلهم وحرفوه وغيروا
وبدلوا فيه كما يشتموا وكان منهم الدجالون الذين طال ما حذر المسيح
الحوار بين منهم . ثم انزل الكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه على أمة كانت خير أمة أخرجت للناس بشهادة

الله ورسوله كتاباً محفوظاً محفوظاً وقاموا بالواجب له من العلم والعمل
والادب الكامل وتلقوه بقبول حسن وتوصوا به الى أن أوصلوه الى
سفهاء هذا الزمن فاهلوه . علماء وعملا واصبح الكثير به كافرين وصرفوا
قلوب ابنائهم عن التعلق به بما اشغلوهم به من الفنون . التي تركتهم كفاراً
من حيث لا يشعرون . ثم تداول العقلاء الكلام فيما كان . من أهل هذا
الزمن من الخسران . وخيبة الامل والمسارة الى النار حتى بكى البعض
وبالعرض تباكي أسفاً وحزناً على هذه الامة التي أفسد حالها فلاسفها
ودسوا لها السم في الدسم ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ثم قال في هذا الاصحاح (ومتى صليت فلا تكن كالمرائيين الى أن قال
في آخره فلا تشبهوا بهم لان أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه)
فتعجب القوم من سفاهة السحيين وقالوا كيف كان يتعاقب عليهم
لفظ الأب في كل اصحاح عاماً لكل موعوظ من تلك الامة على
لسان المسيح كما زعموا ومع ذلك يخطر ببالهم أنه يستلزم الابوة الحقيقية
بالنسبة للمسيح وقالوا من أي طريق خطر هذا الخطر المهلك لقلوب
هؤلاء الضلال مع مشاهدتهم حال المسيح الذي لا ينطبق على شؤون
الالوهية ومع علمهم بأن من أطاع الله مع الاستقامة يعمل كل عمل عمله
كما تلقوه عنه فأبي ضرورة الجأتهم للاشراك بالله ما لم ينزل به عليهم
سلطاناً والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم لما وصلوا في هذا الاصحاح الى قوله . (لا تكنزوا لكم كنوزاً
على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون بل
اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث

لا يتعب سارقون ولا يسرقون لانه حيث يكون كنزك يكون هناك قلبك أيضاً) فقام احد العقلاء قائلاً ان هذا الكلام يفيد حكيمين احدهما تحريم الادخار تحريماً عاماً للعالم وغيره بلا تفریق بين المزيك وغير المزيك والثاني تحريم ذلك لتقيد احدهما خوف السوس والصدأ والثاني خوف السرقة فلو ان الكائن اتخذ الوقاية لماله من السوس والسرقة لا يحرم عليه الادخار ولو لم يتصدق ولا يزكي ماله . ولذلك قارنوا بين هذا القول وبين ماورد في القرآن من قوله تعالى . (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) فتحققوا ان هذا الكلام هو الناموس الحقيقي وكذلك قوله في الحث على الصدقة (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم) وقوله (وما تقدموا لانفسكم من خير لم يحدوه عند الله هو خيراً واعظماً اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) ثم قام احدهم وفي يده كتاب اسمه المجالس للقطب الرباني . سيدي عبد القادر الجيلاني . فاسمع الحاضرين منه من المواعظ ما ينعش الالباب لجودة الالفاظ ورقة المعاني والاشارات ثم قال اليس هذا بأبلغ في الارشاد وأوسع في النصائح وأجمل في الآداب مما سمعوه في هذه الاناجيل وقام آخر ويده كتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري وألقى منه على المسامع ما القاه فأنعش وأدهش وأجمع الكل على أنه انضج ثمار الحكمة بعد القرآن والحديث وصارت كلمات الاناجيل في أذواق القوم بعد ماسمعوه كذاق الحوامض بعد الحلوى أو كالتقبلة بعد الجماع فقالوا لتالي الانجيل

تعجل النهاية كراً وفرا فقد سئمتنا التطويل
فما بلغ القارىء النهاية حتى كادت نفوس العقلاء ان تزهق لما مر
عليهم من الاقوال التي لا تميل اليها المسامع ولا تتلقاها بالهشاشة الافهام الا
اجلالاً لمن نسبت اليه . فقال بعضهم لبعض اذا كان الكتاب كله روايات
واخبار عن متى وحناء وبولس ويعقوب مثلاً الى كثيرين ممن ذكروا
باسم رسل ثم من تلك الاقوال ما هو منسوب للمسيح ومنها ما هو
منسوب لآخرين فأين هو التنزيل الذي جاء من الله سبحانه وتعالى
وبأي طريق ثبتت رسالة الرسل الذين زعموا أنهم رسل فان كانت
مسميات هذه الاسماء هي ذوات الحوار بين فلا يكونون الا صديقين كأبي
بكر وعمر وغيرهما من اتقياء الصحابة العلماء وان كانت تلك المسميات
غير الحوار بين فأين برهان رسالتهم وكيف ساغ للمسيحيين التصديق
بتلك الرسالات بلا برهان والتكذيب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
التي كلها براهين قواطع وحجج بالغات أليس هذا هو العمى أليس هذا
هو الجهل المهلك أليس هذا هو العمه الذي منشؤه الغباوة أليست هذه هي
البسطة التي تولدت من حماقة آبائهم واسلافهم الذين شهد الله لهم بأنهم
لا عقول لهم وجاء القرآن قائلاً ومثيراً لهم بقوله (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)
ثم قال أحد العقلاء لاصحابه اني انفي غاية من التعجب والاستغراب للروايا
التي جاءت في آخر هذا العهد الذي سموه جديداً لطولها النخل وتشعب
شونها ولا أدري بأي حال ومن اي طريق ينطبق عليها اسم الانجيل
الساوي والكتاب المقدس وما هي الروايا منامية او دهشة رياضية . لان
بعض المترجمين الذين يستعملون الرياضة بلا معلم ولا مربي ربما اعترضتهم

خيالات أوهام مدهشة يظنونها حقائق موجودات وما هي الا من عالم
 الخيال الذي تكونت أرضه من بقية طينة آدم عليه السلام ثم قال لقد
 أذكرتني هذه الرؤيا مناما مضحكا كنت أسمعه حال الطفولية من بعض
 المضحكين وما القيه اليكم من باب الازدراء لهذا الكتاب المقدس كما زعموا
 ولكنني أسرده ترويحاً للقلوب التي ضاقت صدورها لما تناوله الآذان
 من هذه الاقوال المرضة لقلوب أولى الاذواق

حكى أن رجلا من فقراء تونس كان يتردد على بعض المصريين
 للضيافة فلما ثقل عليه ذلك الامر أوصى اهله بوضع شيء مسهل في طعامه
 ثم أغلق عليه الباب عند النوم من الخارج فلما جن عليه الليل استيقظ من
 نومه فوجد نفسه مثقلا بما في وعائه فسارع الى الباب فوجده مغلقاً ولم
 يستطع صبرا فما وسعه الا ان رفع أطراف الفراش من كل جهة ووضع في
 كل ناحية بعضا مما اخرجته من دبره وما زال يفعل ذلك كلما غلبه الغائط
 حتى أدركه الصباح وجاء رب الدار فما استقر به الجلوس حتى ناداه
 الضيف يا هذا اني رأيت الليلة مناما مزعجاً فقال له خيرا رأيت فقال
 رأيت اني صعدت المنارة لتأدية وظيفة المؤذن فجاء ريح عاصف اسقطني
 من ذلك المكان العالي فصرت اهوى ساقطاً ساقطاً وما زال الضيف
 يردد قوله ساقطاً حتى مل صاحب الدار وقال يا هذا ان هذا المنام يخبرني
 فقال له وما انا خريت ورفع اطراف الفراش مشيراً الى كل خرية بقوله
 هاك وهاك وهاك فضحك رب الدار حتى انغمى عليه وخرج الضيف على
 عجل لحزبه وخجله

ثم تفاوض القوم الحديث في شأن الديانة المسيحية التي عليها الامة

المسيحية الآن ليعلموا مصادرها فقال احدهم اما تفتنتم يا قوم للعبادة التي امر بها المسيح قومه في العهد الجديد فقالوا وما هي قال الم يقل لهم مانصه في الاصحاح السادس

(فصلوا انتم هكذا . ابانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكون مشيئتك كما في السماء كذا على الارض خبزنا كفافاً اعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن ايضاً للمذنبين لنا . ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لانك الملك والقوة والمجد الى الابد آمين)
ثم قال لهم (فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوك السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوك زلاتكم ايضاً)

فما سكت ذلك الناقل لهذا الاصحاح الا والقوم رافعوا اصواتهم بالصلاة والتسليم على محمد صلى الله عليه وسلم قائلين . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد بجز انوارك . ومعدن اسرارك . ولسان حجتك . وعروض مملكته . وامام حضرتك . وطر از ملكك وخزائن رحمتك . وطر يق شر يعتك . المتلذذ بتوحيدك انسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين اعيان خالقك المتقدم من نور ضيائك . صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك . لامنتهى لها دون علمك صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين

ثم قالوا ان عيسى عليه السلام ما امرته بهذه الصلاة الا لما علمه منهم من الجهل والجوع ولذلك طلب لهم المائدة السماوية وما قال لهم ابوك الذي في السماء الا لعلمه بان ايمانهم بالله ما هو الا كايان الامة السوداء اذ قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربك فأشارت الى السماء فقبل ايمانها لبساطتها . ثم ان في قوله ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكون مشيئتك

كما في السماء الى آخره بعد تحريف لان كمال الرسل ومحاسن آدابهم
ينعمهم من الاتيان بمثل هذه الالفاظ في جانب الله لان قدس الله ذاتي
فالآدب يقضي ان يقال قدس اسمك او اسمك المقدس بصيغة تفيده
ان ذلك ذاتياً له لا بصيغة الامر والاستقبال ثم قالوا اننا لم نفهم لقوله
ليات ملكوتك معنى لانه لو كان المراد ان لذات الله ملكوتاً يطلب
الانسان الاطلاع عليه لكان ذلك الطلب هو طلب الرؤية بعينها وان كان
المراد بالملكوت هو المعنى المعروف عند العقلاء أولى البصائر لا يكون
لهذا الطلب معنى لانهم يعتقدون ان جميع العوالم تنحصر في قسمين عالم
الغيب وعالم الشهادة ويعلمون ان عالم الغيب هو المعبر عنه في القرآن
بالامر وعالم الشهادة بالخلق في قوله تعالى (ألا له الخلق والامر تبارك
الله رب العالمين) فيسمى عالم الخلق ملكاً وعالم الامر ملكوتاً ولا فرق
بينهما الا مرتبة الحس والمشاهدة اذ الملكوت هو باطن الملك والملك
هو ظاهر الملكوت ولذلك قال الله تعالى (فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء واليه ترجعون) فان كان معنى قوله ليات ملكوتك يظهر
غيبك بمعنى اطلعنا يا رب على ملكوتك يكون بينه وبين الفصاحة بون
بعيد . ثم قام احدهم قائلاً اين هذه الصلاة وهذا الطلب مما نسמע في
ادعية الاوابين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وأين هو من سورة الفاتحة
التي فرضت لتحية العبد ربه عند الشروع في صلاته تالله ان الانوار لتتألق
لاولى الاسرار . من خلال كلمات الفاتحة وحروفها وانها لمجمع الادب
ومحاسن الاجمال في الطلب . ولكي اكثر الناس لا يفقهون
وقال آخر انه يعلم مما سمعناه من كتابي العهد القديم والجديد ان

دين المسيح عليه السلام الذي هو الدين الحقيقي مركب من عبادات داود
ومعاملات موسى وما كانت الزيادات التي جاءت بها الاصحاحات التي
سمعناها في العهد الجديد الا تكميلاً للاخلاق لا للناموس الذي يقضى
به بين الناس ومن هذا تتحقق أولوا الالباب ان المسيح لم يأت مشرعاً
ولكنه جاء متمماً لشرعية موسى وداود أي لتثبيت بني اسرائيل عليها
لانه هو آخر أولاد اسحاق من الرسل وما جاء بعده من رسول الا خاتم
الانبياء من ولد اسماعيل فلذلك لم يأت مشرعاً لما سبق في علم الله من
شقاء بني اسرائيل واهمالهم الشرائع وعدم استقامتهم وقلة تحققهم بالآداب
الدينية وكفرهم بنعم الله التي اشار الله اليها في القرآن بقوله (فان يكفر بها
هؤلاء فقد وكننا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) وهم امة محمد صلى الله
عليه وسلم

ثم قام آخر قائل ان هذه الصلاة التي أمر بها المسيح تشعر بأن الله
سبحانه وتعالى يغفر الذنوب ويتجاوز عن الزلات من عبده ولقد سمعنا
من كلام بعض المسيحيين في جوابه عن (السؤال المعجب . في الرد على
أهل الصليب) نظم حضرة الاستاذ الفاضل . الذي هو عن الدين باقوى
البراهين مناضل . من أطاب له دوام التوفيق من ربي . جناب الشيخ
« احمد علي الميحيي » الكسبي . ان الاله الذي يغفر الذنوب . لمن يرجع
اليه ويتوب . لا يكون الاغنيا لان الاله عزيز الجناب لا يقبل أن يداس
حرمه فهل كان ذلك المسيحي كافراً بعبس أو لم يفعل ما أمره به من
هذه الصلاة أو لم يتل الانجيل انه والله لفي ضلال مبين
ثم بعد ما سبحت أفكارهم في بحار العلوم والمعارف حيث شاء

الله رجعوا الى أنفسهم مجمعين على مادونه في كتاب مثبت العقل والدين
من اتحاد الاديان وأن اختلاف العبادات والمعاملات لا يوجب تبايناً في
الاديان ما دامت الآداب متحدة ثم ابقوا الكلام على دين محمد صلى
الله عليه وسلم مؤجلاً الى ان يطلعوا على الكتاب الملقق المسمى (بتنوير
الافهام في مصادر الاسلام) ثم انصرفوا ماجورين لا مأزورين

فلما أصبح الصباح نادى المنادي . فاجتمع النادي . واستدعوا بهيولى
الوقاحة والسفه الذي دونه زعماء الزندقة ثم قالوا لبعضهم ان قراءته فيما
بيننا ربما أحدثت في القلوب غيظاً يغشي البصائر دخانه فلا نهتدي الى
رأي سديد فالأولى ان تتداول مطالعة ما فيه كل على حدته ثم بعد ذلك
يبدي المطالعون ماتكنه صدورهم وتصل اليه افكارهم من شأنه وكان
ذلك الرأي هو المعمول به فيما بينهم فتناولوه متعاقبين وما من تناول الا
وبعد قليل يلقبه من يده كما يلقي القدورات تناولها حيث ظنها هدية
فوجدتها رزية

(الكلام على الفصل الاول)

تلك الفصول فصول الزيف ما انفصلت عن الضلال بأحوال تميزها
لكنها ودياجي الجهل حالكة صبح الرشاد الى الايضاح يعمرها
ثم قام من القوم خطيب فيما بينهم قائلاً أظنون ان هذا المؤلف
المشوم . تأليف صاحب الاسم المرقوم . على أول صحيفة منه لا والله ولكنه
أراء شرذمة من الاشرار تحككوا في هذا الاسم حتى اذا طلبه طالب
وجده كسر اب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وما
كان ذلك منهم الا لانتقاء صولة القضاء اذا دهمهم التخاصم فقال القوم اننا

الآن لم نبعث في ترجمة منسبه ولا تاريخه وما لنا من حاجة في ذلك لان من كان مثل هذا الكلام كلامه لا ينبغي أن يعرف ولا أن يعتد بقوله فانه قول ربما استقال الشيطان من نسبه اليه ولكننا الآن نبعث عن صحة القول وفساده وكيف كان ولم كان سياً اذا كان النائل له عالماً بأن الناس الآن على علم بالاحوال الوقتية وليسوا بجهلاء ولا بأغبياء فقال ذلك الخطيب ومن أين جاءت النبوة التي علمتموها من ما طالعتموه اذا لم يكن في الناس أغبياء ومن أين جاء الجهل الذي دب ديبه في عروق هذا المؤلف المظلم وأعضابه أما علمتم أن زخرفة القول ومشدقة اللسان لا مأوى لها الا أهل الزيف الاغبياء . الذين يظنون أنهم هم العقلاء . وان العوام الذين تعجبكم أجسامهم وتظنر بكم أقوالهم لا يرون للحكمة أهلاً الا هؤلاء الاغبياء الذين صرف الله قلوبهم الى المشارب الشيطانية . والفنون الرياضية . وما ذلك الا لنفوذ حكم الوقت لذي أراد الله بعباده فيه ما أراد أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم (اذا أراد الله بقوم سوءاً ساءل عليهم الجدل) وهل في الامة التي أنتم من أعبادها الآن من ليس من أهل الجدل فلذلك اوجد الله فيهم من ترونيهم من فلاسفة وأبالسة وشياطين مختلفين في المشارب والمآرب حتي صار الوقت ظلاماً . والفسق اماماً . وانتشرت فيه للفلسفة أعلام وامتلات القلوب هياماً . وهم يدعون ايماناً واسلاماً . والله على كل شيء قدير ثم سكتوا قليلاً واذا برجل قد أقبل على القوم تعلموه سمة الوقار فتحركوا للقيام للقائه فقال مكانكم لا يتقلقل منكم من أحد فاننا لا نجعل ما أنتم عليه مجمعون . ولا ما أنتم له مجتمعون . فعليكم بالأثم . وذروا عنكم من ألم فقالوا له انجبوم بعد اشراق . أم تضاهي صاغيات الآذان في ادراك الحقائق

مبصرات الآفاق

فقال ذلك الرجل أيها القوم المسلمون لقد أصبح الدين فيكم الآن بين
مخافتين بل بين خصمين قد تجاذبا أطراف ردائه الى مصارع حنفته أحدهما
الجهل بشعائره ونسكه لغلبة حكم الوقت على احوال الامة والثاني انتشار
الصحف بتجويهاة الاباطيل مزخرفة مزينة تشبه السم في الدسم فأصبح
صفار الامة وكبارها معرضين عن الدين غير ملتفتين اليه ولا صاغين الى
دعائه وندائه وقد اشتغل الغني بجمع ما يدخره ويقتنيه وأمسى الفقير في
عناء لفقد من يعينه على اتقاء حرارة الفقر او يواسيه . وذلك لما خالط
قلوبهم من الريب في امر اللاهوية . وشؤون القدرة العالية . وما ذلك الا
نتيجة ما غرسه المعتزلة والفلاسفة واهل الزينغ في قلوبهم من فروع
الزندقة وأصولها وقد ألبسوا عليهم الحق بالباطل ودرسوا لهم السم في
الدسم فزينوا لهم ما يزينه الشيطان لتبعية بدعوى انه أمر خيري
ولكن الشر في خلال طواياهم . وسنجعل ان شاء الله لهذا الموضوع مؤلفاً
نسميه (ارشاد الامة المعصرية . الى رشاد الشريعة المحمدية) اذ لا يسمع المقام
الآن تفصيل ما اجملناه . فلهذه الاسباب طمع السفهاء من المسيحين
في اغواء . هؤلاء العوام الجهلاء . بأمر دينهم ايردوهم عن دينهم ان استطاعوا
وليست اغراض هؤلاء الضالين المضلين مقصورة على تفضيل الاديان
على بعضها لغاية أخروية كما زعموا ولكنها بواعث مستورة في نفوس اهلها
وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ولكن من سنة الله في خلقه انهم يمكرون
ويمكرونهم ثم ينادون (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم
أجمعين) (وما ذلك على الله بعزيز) (وكان ذلك على الله يسيراً) ثم قال

ذلك الرجل يا قوم اني طالمت الكتاب الذي أنتم ناقون عليه فوجدته
لا يستحق النظر ولا الاهتمام لأن كل من نظر اليه قبل ان يتصفح صفحاته
يعلم انه كلام مستهجن لا يعتد به لان الواضع له بعد ان ساء جاء بآية من
القرآن ألا وهي قوله تعالى (واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانا
عليك البلاغ وعلينا الحساب) وما كان لذكر هذه الآية الشريفة أدنى
مناسبة تحت عنوان هذا الكتاب وقد كان الواجب على المؤلف ان يبين
مقصده من ذكرها اذا كان الكتاب موضوعاً للنظر فيه ثم كان من جملة
الهنزي والهوس الذي جيء به في مبدئه دعواهم ان قوماً كانوا متمسكين
بالدين الاسلامي تقليداً لا بآثام واجدادهم بدون تحقيق ولا بحث رفضوه
سراً وجهراً وتمسكوا بمذاهب أخرى لانهم لم يجدوا من يستطيع ان يبرهن
لهم على صدق الديانة الاسلامية بكيفية معقولة ولا مقبولة فلينظر الناظرون
والتأمل المتأملون في حال من يدعي هذه الدعوى ثم يطمع في قبولها قضية
مسلمة بعير برهان ولا دليل مع انه لم يذكر من ادعى كفرهم شخصاً
واحداً رجلاً كان او امرأة مع ان الجرائد في هذا الزمن ما لها من شأن الا
انها ترصد كل نبأ لتشره لاسيما اذا انتقل متدين من دينه الى آخر هذا
اذا كان الانتقال جهرياً واما ان كان سرياً فما الذي اوصله الى مسامح
الناقل وهل يخفى نبأ رجل يعتد به او امرأة لها قيمة بين الناس في هذا
الزمن تنتقل من دين الى آخر كلا ولكن الذي يخفى نبأه لا يكون الا من
او باش الامة الذين لا دين لهم فسا هذا القول ممن ادعاه الا تمويهاً
قصد به تغيير العوام الضعفاء العقول واغواهم ليكون لهم معه في جهنم
او فر نصيب

ثم ما وسع هولاء الضلال الا الاستشهاد بالزائفين ممن سبقوهم الى جهنم بمخالفتهم لاهل السنة ونحن نعلم علم اليقين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا أيّين على أمّتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمّتي من يصنع ذلك فان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين كلهم في النار الا ماعليه أنا واصحابي) والذي كان عليه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه هو مذهب اهل السنة لا الشيعة ولا المعتزلة ولا الفلاسفة ولا ما شاء الله من تلك الطوائف الزائفة

ثم ان من نزغات هولاء الضلال وتمويهاتهم ما ذكره في اول فصل من فصول كتابهم من دعواهم ان الباعث لهم على تأييفه هو البحث والنظر في اقوال الملحدّين والمعارضين لدين الاسلام للوقوف على الحقيقة وقالوا ان الواجب على كل مسلم ان يتحقق الحق بأن يتأمل في براهين المعارضين حتى اذا وجد براهينها قاطعة اتبعها او اذا وجد عنده ما يدحضها وجاء به كان قد خدم دينه وما كان غرضهم من هذا القول المزخرف الاسترشاد الى طريق الهدى ولا كان الباعث لهم عليه صدق العزيمة للوقوف على الحقائق بل الغاية المقصودة لهم ما هي الا خدعة ضعفاء العقول الذين لا يعرفون من الدين الا اسماً لا مسمى له كابناء المدارس وبعض طلبة العلم الذين ألقّت بهم أمواج الفلسفة على شاطئ الزيف والزندقة فما فقهوا للدين فقهاً غير الحضارة والتمدن فقاموا يخادعونهم بتلك التويهات جازمين لجهلهم وخيبة آمالهم ان كل من نظر في هذا المؤلف زاغ وعميت بصيرته واعتق دينهم وأقبل على الصليب وسجد له والمسيح وما كان ذلك الا

مصدق قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مبني لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فهو ان هؤلاء الضلال علموا
من أنفسهم ما هم عليه من العمى والضلال . لما أسرعوا بأنفسهم الى جهنم ولما
ثانفوا في الاعمال المقربة اليها ولكن الظالمين في ضلال مبين
(الكلام على الفصل الثاني)

لكل رام مرام مد نظره في الرمي لا يتعدى حد مرماه
ومن وراء المرامي كم مغيبة في سائر البعد لم تدرك بمرآه
بل ربما اخطأ المرمي فأقله وقع السهام بما كم كان يخشاه
المعنى المراد

ان الرامي يقصر مد نظره عن ادراك ما وراء مرماه لانها هي مطمح
نظره ووربا اخطأ الاصابة فأصبح مرفوع سبهه ما كان يخشى اصابته وكذلك
سفهاء المبشرين أرادوا هدم قواعد الدين الاسلامي فما وقعت المعاول
الا على دينهم فأصبحوا خاسرين
ثم قال ذلك الرجل لاحد الجالسين ادع لنا شاباً من شبان المسلمين
الجائزين في احدى الطرق لتوقفه على هذا المؤلف حتى نعلم ما يعمل يقول
العوام فجاءه بشاب من تلامذة المدارس فلما اجلسه بجانبه سأله هل تعلمت
من أمور دينك شيئاً قال لا ولكني اعتقد ان الله هو رب السموات والارض
وأن محمداً رسول الله وأرى المسلمين يسعون الى الصلاة في المساجد
ويصومون ويحجون ويهرعون الى زيارة قبر هذا النبي الكريم فقال له يم
علمت أن محمداً رسول الله فقال الشاب وهل يشك شك في رسالته وقد
جاء بكتاب حكيم يتلى في جميع انحاء الارض رجاء بركته وقد سطمت

أنوار شريعته الغراء في جميع الافطار الاسلامية وما في دولة من الدول
من قانون الا وفيه احكام مقتبسة منها ثم قال اوليس هذا الاجماع العام
والشهرة التامة والتواتر الصحيح والمتابعة الصادقة من خيار أمته من أقوى
البراهين على رسالته

فقال الشيخ للشاب خذ هذا المؤلف لتطلع على الفصل الثاني حتى اذا
سألتك عما فيه أتيتنا بجواب مقنع مفيد فتناول الشاب الكتاب وطالع
منه فصولا فقال له الشيخ ماذا ترى قال أيها الاستاذ ما أرى الا ضلالا
ميينا قال وكيف ذلك قال ان مبتدع هذه الاقاويل الباطلة في هذا
الفصل ما بناها الا على أصليين أحدهما ان الله سبحانه وتعالى كان يعبد
في الامم السابقة وكانوا يعترفون له بالوحدانية وأيد ذلك بأن ولد اسماعيل
كانوا يعبدونه على ملة ابراهيم وقال ان القرآن يصادق على ذلك واستدل
بآيات من القرآن والاصل الثاني ان بعض آيات من القرآن ما كانت
الا مقتبسة من أشعار العرب وجاء بما عزاه لامري القيس وغيره وما أظن
هذين الاصلين الا كشجرة اجثت من فوق الارض مالها من قرار وذلك
لان الاصل الاول لا يكون حجة للمحتج به الا اذا كان في هذا الدين
من يدعي ان الله لم يعبده أحد ولا اعترف له مخلوق بالوحدانية قبل رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم فيكون اذاً لذلك المتقول الحق في رفض هذه
الدعوى ودحضها بما جاء به في هذا الفصل ولكنه لم يكن من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم من قال بذلك بل الذي جاءت به الاخبار الصحيحة
عن علمائهم والمحدثين منهم ان الله سبحانه وتعالى نبأ مائتي الف وأربعة
وعشرين الف نبي كانوا يعبدون الله ويدعون الناس الى عبادته اذاً فلا

معنى للاستدلال على بطلان الدين المحمدي بأن من العرب وغيرهم من
كان يوحد الله ولا معنى لذكر اشعارهم الدالة على انهم كانوا يعلمون أن
لهم الهاً معبوداً يدعوونه بيا الله لانه ان كان سبق الاعتراف لله بالوحدانية
ببطل الرسالة لبطلت رسالة عيسى وموسى وداود وسليمان وباقي الرسل
الذين جاؤا بعد نوح مثلاً او بعد ابراهيم واسحق وكان الاولى بالبطلان
رسالة عيسى لانها ما كانت الا تابعة لشرعية موسى وعبادة داود عليه
السلام فما كان لأولئك المسيحيين ان يحتجوا بسبق الاعتراف لله بالوحدانية
قبل رسالة محمد على بطلانها كما انه لا معنى لقولهم ان محمداً أخذ هذه
العقيدة عن أسلافه لان هذه العقيدة هي العقيدة التي توحى الرسل بها
قبله ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب فهل كان لمحمد ان يأتي بعقيدة غير
هذه حتى يصدق رسالته الاغبياء من أهل الكتاب وأما قولهم ان الكعبة
كانت محترمة في الزمن القديم وما أخذ محمد قواعد الحج الا من عادات
أسلافه فما هو الا من قبيل السفطة والزندقة لان محمداً صلى الله عليه وسلم
ما زعم أنه اخترع الكعبة والحج حتى يكون هذا القول مبطلاً لدعواه
الرسالة بل الذي جاء به القرآن المجيد ان الله أمر ابراهيم برفع قواعد
البيت وأن يؤذن في الناس بالحج اليه ثم جاء في القرآن قوله تعالى (ان
الصفاء والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اتمم فلا جناح عليه أن
يطوف بهما) فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مقلداً لقومه في ذلك لما عاب
الله اعمالهم فيما أنزله اليه بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً
وتصدية) ثم ان مما جاء به أولئك المصلون من التوجيهات قولهم وحاصل
الكلام هو ان مصدر الديانة الاسلامية الاوّل كان تلك الرسوم الدينية

والعادات والمذاهب الاعتقادية. التي كانت متسلطة ومتداولة بين قبائل العرب الى آخر ما قالوا ولكننا لم نر رسوماً دينية . وعبادات ومذاهب اعتقادية . مذكورة في ذلك الفصل قبل هذا القول غير مسألة الحتان وعدم زواج الاختسين وتحريم الامهات والبنات وبعض مناسك الحج وليس هذا كله من مصادر الدين لأن مصدر الدين هو الوحي السماوي فان ثبت صدق نزوله ثبتت الرسالة وكان هو مصدر الدين وان لم يثبت لا تجدد الرسالة مثبتاً لصدقها اذا فدعوى المدعي ان ما ذكره من الاشياء التي يتبوه له جعلها رسوماً دينية . ومذاهب اعتقادية . وعبادات كانت هي من مصادر الاسلام ماهي الادعوى باطلة . وتمويهات عاطلة . لا يصغى لها الا من لم يدرك ما هو الدين

ألم يصل ادراك هؤلاء الاغبياء الى أن الانسان تنحصر شؤنه في وصفين خير وشر ليس الا وان شئت قلت نقص وكامل فهل ينطبق على تصور الذوق السليم أن التكامل من الناس مثلاً اذا رأى ناقصاً أعنى شريراً أتى بعمل من أعمال الخير أو تخلق بخلق من الاخلاق الكريمة يجب عليه أن يترك ذلك الخلق لان ذلك الشرير تخلق به . أو يقال ان ذلك الكامل ما جاء بذلك العمل او تخلق بذلك الخلق الا تقليداً لذلك الناقص أظن انه لا يتصور ذلك التصور الا ككل غيبي لا عقل له لان استعداد الانسان وقابليته لا تعلم الا من أعماله وما حجب الله أعمال الخير عن الجاهلين الذين لم يرسل لهم رسلاً حتى ولا عن عباد الاوثان لان نظام الوجود يستلزم وجود الخصال الخيرية والشرية في كل زمن غير انها تتغالب حسبما يريد الله بخلقه في الازمان المتتابعة اذاً فلا يكون اتيان محمد صلى الله عليه وسلم

تعملا خيرا أو اعمالا كانت عليها قبله أقوام مبطلا لرسالته ولا يقال انها هي مصدر الرسالة لان قومه وغير قومه ممن اتبعوه كانوا يعلمون ان هذه الخصال او الاعمال كان يأتي بها من كان قبله من الجاهلية فلو انها كانت مصدر رسالته لما صدقوه مع علمهم بحاله الذي كان عليه قبل الرسالة فما كان سفيها يهاب لسفهه ولا شريرا ولا رئيس عصبه ولا مجادلا ولا متداخلا في شؤون سياسية ولا منتسبا لذي سلطان بل كان وحيدا منفردا في شؤونه الادبية لا يهجمه الا معاشه ومعاده كما يشهد بذلك التاريخ والسير المسطورة في الكتب

ثم قال ولقد لاحظت مما طالته ملاحظة معقولة وهي ان مؤلف هذا الكتاب ليس بمسيحي وليس هو مسمى هذا الاسم الذي نسب اليه ذلك الكتاب وذلك لأن قوله ان عبادة عباد الاوثان للاوثان لتقر بهم الى الله تشابه زبارة الاولياء عند المسلمين لانهم لا يزورونهم الا ليقرؤهم الى الله الى آخر ماجاء به وما كان هذا القول الا مطبقا لما دونه سفيها الفلاسفة في الصحف المنتشرة والكتب المؤلفة من أقوالهم بل المتبادر المعقول من صورة هذا المؤلف أنه أقوال فلسفية فلو أن قائلها كان رشيدا متدينا بأي دين لما تصور المشابهة بين عبدة الاوثان ومن يزور ولياً لله لأنه لا يقال ان الذي يطعم حمارا ليركبه كمن يطعم أباه ليرضى عنه مثلا وكذلك لا يقال ان من حرك حجراً ليستخرج منه دواءً لعينه مثلا لعلمه أن هذه من خصوصيات ذلك الحجر الذي أودعها الله فيه كمن يقول ان هذا الحجر اله يعبد ألا ترى أن اعتقاد المسلمين في عيسى ليس كاعتقاد المسيحيين اذ المسلمون يعتقدون أنه عبد الله وأن الله أجرى على يديه كل ماجاء

به وأما المسيحيون فيعتقدون أنه آله فمال فأمثال هؤلاء هم الذين ينطبق حالهم على حال عبدة الاوثان وأما المسلمون فيعتقدون أن الاولياء هم أحباب الله وأنهم هم الذين أقاموا الدين واتبعوا الأوامر واجتنبوا المناهي فمن الواجب احترامهم وزيارة قبورهم واحياء ذكركم حتى يكون تذكارا لغيرهم كما هي سنة كل أمة في أفاضلها ألا سحقا للقوم الضالين المضالين الذين اتخذوا الزندقة ديناً واللسانة ديدناً والدعوى جاهاً وساعدتهم ظلمة الوقت وجهل الامة بدينها وفساد أخلاق الامراء وخسة طبع المتدينين حتى علت أصواتهم وانتشرت بدسائس الزيف كلماتهم وان جهنم لموعدهم أجمعين

جاء ذلك الفيلسوف الزنديق الذي يخفي الكفر ويظهر الاسلام وينشر فلسفته باسم المسيحيين قائلاً ان القرآن فيه ما هو مقتبس من كلام امرئ القيس وغيره ويحتج على صدقه في دعواه بأنها معلقة أشعار وما سميت بذلك الا لانها كانت معلقة على الكعبة ويريد بذلك اثبات صدقه في دعواه انها سابقة للقرآن وان محمداً صلى الله عليه وسلم اقتبس منها أقوالاً الى آخر ما جاء به

فليتأمل المتأملون في خيبة آمال هذا المفتون الذي لا يحسن ما يقول لانه لو كان شيطاناً كاملاً في شيطنته لكان له شيء من الفكر يعلم به أن العقلاء اذا وقفوا على أقواله يسفهبونه بقولهم اذا كان هذا المعنوه الاخرق داخله الريب وخالطته الظنون واختطف عقله الطيش حتى أفسد مخيلته فتوهم الكذب في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي عم نورها جميع الاقطار وهدت رجالاً ما كان هذا الاحق يساوي نعالهم فبأي حال وقع

عنده نبأ هذه الاشعار موقع الصديق مع ان هذا الشعر لا يليق نسبه
لتلك الرجل الذي هو اشعر اهل زمانه لان البيت الاول لا معنى له اذا
لم يكن المراد منه ان نفور حبيبه منه اقام عليه القيامة التي من اشراطها
انشقاق القمر واقتراب الساعة فان قلنا ان هذا هو المعنى المراد يقول
القائل من الذي انبأ امرئ القيس ان القمر سينشق وان انشقاقه من
علامات الساعة حتى جاء بذلك في شعره اذاً فلا بد ان يكون عند امرئ
القيس شعور بمجصول ذلك نبأ من انباء الكهنة او من التوراة او الانجيل
وان قلنا ان هذا المعنى ليس هو المراد يقول القائل انه اذاً كلام
مستعجن اي لا معنى له لأننا لو قلنا ان اقتراب الساعة معناه دنو الحبيب
عن موعد في ساعة معلومة قد اقتربت فلا معنى لقوله وانشق القمر لانه
لا يريد بالقمر الا طلعة الحبيب فما معنى انشقاقه كما انه لا يتوهم نفور
بعد قرب عن موعد الا لعارض ولم يذكر الشاعر شيئاً يستلزم النفور
فتكون ركازة الكلام قاضية بعدم نسبه لتلك الشاعر الشهير وكذلك
قوله مر يوم العيد في زينته فرماني فتعاطى فمقر

لان سياق القول يفيد ان العقر بعد التعاطي والتعاطي بعد الرمي وهو
معنى غير معقول . سيما وان العقر لا يكون للنوع الانساني ولا يرضى
امرو القيس ان يشبه نفسه بناقة عقرها رام
والادهى من ذلك كله قوله

واذا ماغاب عني ساعة كانت الساعة أدهى وأمر

لان مبدأ الكلام يفيد ان ذلك الشاعر مارأى ذلك الحبيب الا
حينما صاد قلبه ونفر منه وما شبهه بالفرزال الا في النفور . وهذا البيت يفيد

انه كان ملازماً له وان غاب عنه ساعة كانت أدهى وامر . فهل جن امرؤ
القيس لشدة الحب حتى أضحى لا يحسن ما يقول كما جن هذا المعترض
الذي لم يندق للشعر طعاماً . فهلا تظن لما في الكلام من التكلف حتى كان
يعلم انه لم يكن لذلك التكلف من داع الا ان هذا الشاعر الجاهل الزم
نفسه اقتباس هذه الآيات من القرآن المجيد كما في قوله

بسهم من لحاظ فاتك فتركني كهشيم المحتضر

ألا سحقاً لهذا الطابع الذي هشم البيت هشاً لان اصله والله اعلم

بسهم من لحاظ فتكات صيرتني كهشيم المحتضر

فويل للجاهل يدعى العلم فيفتضح حاله من مقاله كقوله

قلت اذ شق العذار خده دنت الساعة وانشق القمر

واصل البيت والله اعلم

قلت اذ شق عذار خده دنت الساعة وانشق القمر

فمن هذا التكلف الذي لا معنى له ولا فائدة فيه الا تحسين الشعر
بمقتباس الآيات القرآنية يعلم المتأمل البصير ان هذا الشعر ما كان
الا من مخترعات المتأخرين وما كانت نسبتها لامري القيس الا بهتاناً
وزوراً يقصد به تقوية براهين المجادلين . والله لا يهدي القوم الفاسقين . ثم
انظر الى ما جاء به هذا الفيلسوف الاحمق الذي يتحكك في المسيحيين
لنشر خرافاته وتضليلاته من قوله حينئذ يصعب على المسلم توضيح كيفية
ورودها في القرآن لأنه يتعذر على الانسان ان يصدق ابيات شاعر
وثني كانت مسطورة في اللوح المحفوظ قبل انشاء العالم ثم قال بعد قليل
من قوله اني لا ارى مخرجاً ومنفذا لعلماء الاسلام من هذا الاشكال

الى آخر ما قال وانا لنقول

ان الاسد اذا ربح في طريق قافلة ظن الجبان انه لا مفر له من الافتراس
وضاقت عليه الارض بما رحبت حتى اذا بجاء الشجاع اعدم الاسد الحياة
ولقد توهم ذلك الفيلسوف المختبي تحت أذيال المسيحيين انه أعلم من
كل ذي علم وانه اذا وحل في ورطة من القدورات غرق فيها غيره فاستبعد
على العلماء ادراك الحقائق لفرط جهله . فهل جاء لهذا المسكين المفتون
نبأ صادق أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب في اللوح المحفوظ غير
القرآن وما يدر به لربما أن يكون اللوح حوى كل ما يبزره الله
سبحانه وتعالى في عالم الظهور . أولم يعلم ذلك الجاهل ان القرآن ما انزله
لحق سبحانه وتعالى الابلغة العربية التي هي لغة امريء القيس وغيره من
شعراء العرب وفصحانهم أليست هذه الكلمات التي أوردتها هو لا
الاغبياء من متقدمي أهل الزيف ومتأخريهم كباقي الفاظ القرآن مثل
يا أيها الناس ويا بني آدم ويا أيها الذين آمنوا ويا قوم ويا قومنا
والعدس والبصل والفوم والقثاء وغير ذلك وهل ورد القرآن بحروف أو
كلمات غير الكلمات المركبة من التسمية والمشرين حرفاً التي يتركب منها
الكلام الذي هو مظهر الاسرار المسموتية . والشؤون الغيبية . فاذا هو العيب
اللاحق بالقرآن اذا جاء مطابقاً لبعض كلمات من كلام العرب وما كان
كلمة الا كلاماً عربياً فهل ورد كتاب سماوي قبله لم يكن من جنس
الكلام المتعارف بين القوم الذي نزل بلغتهم كلا والله ما كان ذلك ابداً
وهناك وجه آخر يقره القوم الذين اطعمهم الله على الاسرار الكونية
وهو أن الله سبحانه وتعالى هو وراء نطق كل ناطق بهنى انه هو المؤلف

لجميع الكلمات في أفئدة المتكلمين ولا يبرز في عالم الظهور الا ما اراد منها لان خلق الكلام في افئدة المتكلمين قبل ظهوره او في مخيلتهم كناطق الصور في الارحام وكاخراج النطف من الاصلاب منها الخفة ومنها غير الخفة لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ومن علم معنى ما ذكرناه تحقق ان الله هو الناطق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى لسان كل ناطق فنطقه على لسان امرىء القيس بما أوردوه ان كان صدقا يسمى شعرا ونطقه به على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يسمى قرآنا ولا يكون الاتحاد في النوعية مستلزما للاتحاد المزية. ألا ترى النوع الانساني وقد تشابه في التركيب لم يتشابه في المزايا فنه الرسول ومنه الولي. ومنه الشرير الشقي. ومنه السلطان ومنه الحمل فكذلك كان الكلام ولكنهم قوم يجهلون

ثم من أهم التوبيخات عندهم هو لا الجهلاء قولهم في نهاية الفصل الذي فصلهم عن آداب الكمال والانسانية. ان عادات العرب القديمة ورسومهم وعقائدهم الدينية. هي من أهم مصادر الاسلام وعللوا هذا الزعم بأن ما ذكره في هذا الفصل هو كاف وحده في تأييد دعواهم هذه
فهل جاءت الانبياء الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام في قومه بغير وحي سماوي في مبدأ دعوته يقول لهم اختنوا ولا تنكحوا أمهاتكم ولا بناتكم (لا) لم جاء قنلاهم يا قوم اني اسري بى في هذه الليلة ورأيت من عجائب الملك والملكوت كذا وكذا وسألوه عن القافلة التي كانوا ينتظرونها وبين لهم جملة علامات أثبت بها صدقه عندهم ثم جاءه الوحي بأوامر الله واحكام شريعته واختبروه وأبان لهم عن صدقه بالدلالات

الواضحة ثم بعد ذلك تواردت عليه الانباء السماوية وما كانت آية تحريم الامهات
والبنات التي هي قوله تعالى (حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم)
الى آخر الآيه الشريفة الا بعدما بلغت دعوته حدها من اثبات والصدق
والتصديق فلو ان العرب كانوا يجرمون ذلك من قبل ما جاءت هذه
الآية ولا كان اللاتيان بها محل من البيان ولا موقع من التصديق فليتامل
التأملون في هذه الحزعلات المزخرقة التي هي أشبه شئ^٥ بالשבذة التي
يتصنعها اللاعب المعروف بالحاوي ولكن الاولى بالمسلمين الآن ان
يرجعوا الى أنفسهم بقولهم انكم أنتم الظالمون لانه لولا جهلهم بدينهم
وعلمة تمويهات الفلاسفة على عقولهم لما طمع في اغوائهم الضالون المضلون
فكان حالهم مع المسيحيين حال البهيمة التي اشار اليها القائل بقوله
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس
ألا سحقا للقوم الظالمين فعند ذلك قام القوم على اقدامهم معجبين
بما جاء به ذلك الشاب من الارصاد البين والحجج البالغة وقال له الشيخ
جزاك الله عن العامة خيرا فقد ألزمت الناس تحسين الظنون بهم في أمر
الدين وما كنا نتخيل ان من امثالك من يكون له هذا التصور والادراك
فجزاك الله عن أمر دينك خيرا وانصرف الشاب مشكورا. وانقلب الشيخ
الى اهله مسرورا

(الكلام على الفصل الثالث)

ألا قبح الله المشوهة انها	تعيب بلا عيب حسان الكواعب
فتزعم ان الطرف حسن احوراره	يعيب الغواني كما اقتران الحواجب
وان دلال المائسات تلاعب	وان احمرار الخد غير محجب

ولو انها تدري الجمال لما ازدرت بحاسن ربات اليها والذوائب
ولكنها لما تكامل قبجها وكنا نراها من مبادي المصائب
تمكن منها الفيض حتى لحقها أنت تدعي ما يدعي كل كاذب
كذلك أهل النقص ان تم نقصهم أتوا من رزايا خزيهم بالعجائب
ثم جلس العقلاء بعد أداء ما فرضه الله عليهم من الصلاة في مواقيتها
وبعد تناول الغذاء يتفاوضون الحديث ويتذاكرون فيما بقي من الفصول
فقام احدهم قائلا ان الفصل الثالث من هذا المؤلف المشؤم قد بناه
مؤلفه على معتقدات فلسفية وذلك لان ارباب النظر والاستدلال في
الامم القديمة والحديثة حتى الآن قد انقسموا الى اقسام وفرق متفرقة
فكان منهم المعترف لله سبحانه وتعالى السمي بالاسماء الحسنى الذي هو
فوق كل فوق وتحت كل تحت ولا فوق له ولا تحت ولا يخلو منه خلا
ولا ملا وهو منزه عن أن يحويه الخلا والملا اعترافا ناشئا عن تصميم
ثابت ويقين قوي بالوحدانية وكمال الاقتدار وبأنه مطلق التصرف في
ملكه يفعل ما يريد وبأنه قادر على أن يذيب الحديد وان يجعل الماء
جامدا وعلى أن يجعل النار باردة والماء حارا الى غير ذلك من كمال التصرف
المطلق لعلمهم ان النار صنعتها وانها حادثة الوجود وان تقادم عهد ايجادها
وكذلك الماء وغير ذلك وكل ما كان موجودا عن موجد فلا عالم يعلم مادة
وجوده غيره ولا يحكم له بمحقيقة ذاتية واجبة الوجود الذاتي لان ذلك الحكم
لا يحكم به لموجود الالواجب الوجود الى غير ذلك من الاعتقادات الواجب
تيقنها على كل معترف لله بالوحدانية مما لا يوسع المقام ذكره
ومنهم الجاحد لذلك كله كل الجحود لما غلب على فكره الضائع

وقلبه السقيم أن كل ما لا يدركه البصر لا يقبله التصور ولا تلزم باعتقاد
 صحته سائنات الفكر وهو لا هم الذين اتخذوا آلهة معبودة لهم طوع
 احوالهم . ومنهم الفلاسفة الذين يعتقدون وجود اله موجود بطبعه كباقي
 المؤثرات ولكنه هو المؤثر الأعلى الذي ما فوقه مؤثر وكأنهم يظنون
 الكوكب المسمى بزحل ثم يعتقدون أن كل مؤثر في الوجود له حقيقة
 ذاتية طبيعية لا قدرة لمؤثر ما علي تحويلها عنه ولا تحويله عنها وهذا
 هو موضوع الخلاف بين الرسل وأتباعهم . وبين الفلاسفة وأشباعهم
 اذ الرسل ومن تابعهم يعلمون علم اليقين بما ثبت عندهم من اتحقق من
 طريق العلم النوري أن الله مع كل شيء . وأنه هو ظاهر كل شيء . وباطن
 كل شيء . وقائم على كل شيء . والمدبر لكل شيء . ولا يخرج عن دائرة ارادته
 شيء . والفلاسفة على ضد ذلك فلذلك الجأتهم اعتقاداتهم الى تكذيب
 كل نبأ جاءت فيه معجزة او كرامة خارقة للمادة فان صفا لهم الوقت
 أنكروها وأنكروا حال من جاء بها نبياً كان او ولياً وان خافوا في ذلك
 لومة لائم جحدوا وأولوا كل نبأ جاء بها بتأويل موافق لاغراضهم
 الهوائية التي زعموها عقلاً فلذلك جاء هذا الفيلسوف الذي ما حسن
 اسلامه يدعي أن غالب الانبياء الواردة في القرآن ليست بصادقة وزعم
 أنها منقولة من خرافات المتقدمين وذلك بعد ما زعم ان كل القصص
 الواردة في الاحاديث النبوية وفي القرآن ما هي الا مأخوذة من
 تفاسير اليهود الوهمية وزعم أيضاً أن فرائض الدين مأخوذة من طريقة
 الصابئين ثم جاء يذكر أن أمة السريان هي أقدم الامم وأنهم أخذوا
 مكارم اخلاقهم عن صحف شيث عليه السلام وأن الصابئين كانت

لهم سبع صلوات منها خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة في الساعة السادسة من الليل وزعم انهم كانوا يصلون على الميت وقوفا ويصومون ثلاثين يوماً يراعون فيها الهلال وعند ظهوره يكون فطرهم ككل العدد أم نقص ثم قال بعد كلام طويل اننا لو قارنا بين التعاليم والاخبار الواردة في القرآن وفي الاحاديث النبوية وبين التعاليم والقصص والحكايات التي كانت متداولة بين اليهود في تلك الاعصر اتضح جلياً أنه يوجد بينهما علاقة وارتباط ومشابهة عجيبة ثم جاء يستدل ببعض ما ورد في القرآن من الانباء بعد ذكر ما يوافقها من القصص القديمة بدعوى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعلم ذلك من اليهود وأخذ يسرد قصة قابيل وهايل وقصة ابراهيم عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام مع أميرة سبأ وقصة هاروت وماروت وقصة بني اسرائيل وموسى وما وقع منهم من عبادة العجل وما وقع لهم من الحوادث اثناً ديبية من الله سبحانه وتعالى ثم يضاهي كل قصة من القرآن بقصة من قصص اليهود وغيرهم ويدعي أنها خرافات جاء القرآن ناقلاً لها مع مخالفته للتوراة في العهد القديم وذكر ان صيام المسلمين وافق صيام اليهود وان صلواتهم موافقة لصلوة الصابئين. وكذلك اعتقادهم في اللوح المحفوظ موافق لاعتقاد المتقدمين. كما ان كلامهم على قوله سبحانه وتعالى (ق) التي هي اول سورتها موافق لكلام من كتب اليهود وكل هذا الذي ذكرناه ما جاء به الا مستدلاً على ان مصادر الاسلام هي اخبار المتقدمين ومعتقداتهم الدينية الى آخر ما سطره في ذلك الفصل من الاباطيل والاضاليل

فوجب علينا الآن ان نقول ان هذا الفيلسوف الاخرق الذي
تحكك في ذلك المسيحي الذي نسب اليه خزعبلاته أو ان هؤلاء الرجال
الذين اجتمعوا على الضلال والاضلال ليسوا بعقلاء ولا من ارباب النظر
وما كان حالهم فيما دونه في هذا المؤلف الا كحال صبي معتوه رأى
ثوب ابيه موافقاً لثوب رجل آخر في اللون والشبه فقال له يا ابت انك
لسارق لهذا الثوب فقال له ولم قال لا في رأيت شبيهه على رجل سواك
فضحك الوالد استهزاءً بولده وتأسف على سخافة عقله وقلة فهمه وفساد
تصوره وقال يا ولدي عوضني الله خيراً على معاناة الشدائد في تعليمك
وتربيتك أنظن لغباوة فهمك ان ناسج الثوب الذي رأيت ما نسج غيره او
ان ذلك الناسج اذا قضى عليه لا يعقبه ناسج انك يا بني لفي ضلال مبين
وما ضربنا هذا المثل الا لما تتيقنه ويعلمه العقلاء المتدينون أن جميع
الاديان التي جاءت بها الرسل لأهمهم متحدة المبدأ والغاية ومشرها واحد
في معاملة المعبود واستعمال أنواع الفرائض فما من رسول الا وأمر قومه
بالصلاة والصوم والزكاة والحج بعد توحيد الاله والايمان برسالة ذلك
الرسول وهكذا كان عيسى وموسى ومن قبلهم من الرسل فبأي علة
وسبب لا يتساوي حال محمد بحال بقية الرسل هل جاء محمد صلى الله عليه
وسلم في تلك العبادات جهيات ناقصة أو اعمال منخلة حتى يقال أنه ماتعلها
الا من الامم السابقة وهل كان الواجب على محمد صلى الله عليه وسلم أن
لا يصوم ولا يصلي ولا يحج لان الذين سبقوه كانوا يعملون ذلك أم كيف
كان تصور هؤلاء المجانين

إذا والحالة هذه يتوقف الوقوف على الحقائق على معرفة أمرين (الواحد

منها) هل المتكلم أو المتكلمون في هذا الموضوع أصحاب عقل ودين أم لا
(الثاني) هل الاقوام الذين ادعوا متابعة محمد لهم كانوا متدينين أو غير متدينين
وإذا كانوا متدينين فهل هذا المتكلم أو المتكلمون معترفون بصحة أديانهم
أم لا وعن هذا نقول . ان المتبادر من مخوي هذا المؤلف أن واضعيه
لا عقل لهم ولا دين لانهم لو كانوا ارباب عقول لما جاؤا بعد ثلاثمائة وألف
سنة يزدرون ديناً دأب على نسكه وشعائره الخيار من القرون السالفة وما
زالت شرعيته نافذة المفعول حتى الآن ولما تركوا قومهم المسيحيين . تلعب
بهم الشياطين . في افنية الملاهي وأودية القرور وجاؤا ليفسدوا عقائد الامم
الاخري

وكذلك لو كانوا متدينين بدين من الاديان عامين بنسك دينهم ثم
قارنوا بين شعائر هذا الدين القويم ومناسك ماسواه من الاديان الخلعوا
العذار . وهجروا الاوطان والاطوار . في متابعة هذا النبي الكريم محبة في
دينه وآدابه الكاملة التي ماتقرب الى الله بأكمل منها متقرب وسأق
ان شاء الله سبحانه وتعالى بذكر بعض مزايا هذا الدين القويم عند
المقارنة بينه وبين ما عليه قوم موسى وعيسى وانا ان شاء الله الى بيان
فضله لمهتدون

ثم قال ذلك الرجل لاحد اخوانه الحاضرين ألا تذكر يا فلان
اليوم الذي شهدنا فيه حفلة المسيحيين الذين اتصفوا بوصف مبشرين
اذ قال لهم قائل أي العبادات أقرب لتهديب النفوس وتطهير القلوب
وتنوير البصائر لمن أراد أن يستنير قلبه وقد تحقق أن المعبود واحد وهو
الله سبحانه وتعالى وأي الفرائض أحق بالأداء اذا اراد العبد أن يتعبد

ليتقرب الى ربه هل عبادة موسى أم عيسى أم محمد صلى الله عليه وسلم
فقال له أحد المبشرين هل يسوغ لما قل أن ينصرف من دين ابن الله
الى دين غيره فقال له السائل وما هي العبادة التي أمر بها ابن الله وبماذا
كان يتعبد في خلواته وجلواته وهل صلى بقوم من أمته أم لم يصل بأحد
وهل كان يعترف بصحة شريعة موسى أم لا

فأجابه ذلك الرجل بقوله أما الشرائع التي كانت قبله فلم ينكر
عليها واما هو فما صلى بأحد بل كانت صلواته وحده واما الصلاة التي
أمر بها فهي قوله لتلاميذه عند ما سأله احدهم بعد ما فرغ من صلواته
بقوله علمنا كيف نصلي كما علم يوحنا لتلاميذه فقال قولوا (يا ابانا الذي في
السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء
كذلك على الارض خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لاننا
نحن ايضا نغفر لكل من يذنب الينا ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا
من الشرير)

فقال له السائل وهل كانت هذه صلواته ايضا أم له صلاة غيرها
فقال لم يطالع أحد على صلواته فقال له السائل لماذا قال لانه كان يصلي
وحده . فقال له ولماذا انتم الآن تصلون بزمير داود اما كانت هذه
الصلاة التي امركم بها المسيح كافية في تهذيب نفوسكم فنجح ذلك
المسؤول

فقال له السائل اذا كان المسيح معترفا بصحة شريعة موسى فلماذا
لم تتمقوا على حال واحد في العبادات فيكون صيامكم كصيامهم وصلاتكم
كصلاتهم اذ كنتم كلكم اهل كتاب فاعرض الرجل عن ذلك السائل

مبهوتا ثم انصرفنا وتركناهم في طغيانهم يعمهون فقال له اخوه اني
لا تذكر ذلك وأعلم ان القوم اذ ذاك قد احتقروهم ازدراء
ثم التفت الآخر الى اخوانه قائلاً ان اولئك المتقولين الذين اخترعوا
هذا المؤلف قد زعموا ان صلاة المسلمين كانت موافقة لصلاة الصابئين
ولكنهم ما بينوا كيف كانت صلاتهم هل كانت بتكبيرة احرام وافتحة
وسورة وتحيات وركعات وسجدة كما هي صلاة المسلمين ام لا وما
أظن ذلك يكون لأن الفتحة وباقي السور القرآنية ما انزلت الا على محمد
صلى الله عليه وسلم اذا فكون هذه الدعوى فاقدة البيان والايضاح
لا ينظر اليها ولا تسمع واما الصيام فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه
الحكيم (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم) وقد كان الصيام في كل شريعة من الشرائع على الحال
الذي عليه المسلمون الا صيام المسيحيين فعلى العقلاء ان يبحثوا في حقيقة
الصوم حتى يتبينوا اي الصيامين أفضل واقرب لتهديب النفوس ليعلموا
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ماجاء في شريعته الا بأكل الاعمال التي
كان عليها الرسل واممهم المهتدون ولكنه استكمل جميع آداب العبودية
لانه بعث في امة كاملة ذات عقول وافرة وبصائر نيرة لم يطلبوا في مقام
القرب خبزا كما كان يطلب المبطونون ومن تحقق صحة ما ذكرناه علم ان
دين محمد ما وافق الا اكل الاخلاق والاعتقادات والعادات التي كان
عليها الامم قبله التي هي آداب العبودية . والكالات الانسانية . فهل لقائل ان
يقول كان الاولى له ان يأتي بآداب واخلاق تخالف الكالات البشرية
حتى بذلك يكون قد برهن على صدق رسالته اذا تكون درجة هذا

الفتائل فوق درجة المجنون لأن الجنون فنون

فبعد ذلك ناداه احد الحاضرين قائلاً انا وان كنا على يقين من
ابن شاذمة المبشرين . هم الذين تجمعوا على جمع هذه الاقاويل وتأليفها
بمساعدة فيلسوف زنديق لم يكن هو المسمى بالاسم الموضوع تحت عنوان
هذا المؤلف ونعتقد نحن وجميع الامم اعتقاداً جازماً ان هؤلاء القوم
بينهم وبين فلاسفة هذا الزمن من كل ملة اتفاق فكري على تخفيض
اعلام كل دين لتكون الناس امة واحدة وقد مقتهم عقلاً الامم المتدينون
لعلمهم ان هذا هو الكفر بعينه او يريد الكفر ثم انا نعلم علم اليقين ان كل
مسلم مهما وصلت درجته من الجهل يعلم ان دينه اكمل الاديان وان
رسوله اكرم الرسل ثم نعتقد ان الامة المصرية باكملها عالمها وجاهلها
صغيرها وكبيرها كل قد علم ما عليه هؤلاء السفهاء وتحقق مقاصدهم
واستطلع نواياهم وما نظروهم الا بعين المقت والاحتقار لما تحققوه من
ضعف عقولهم وخيبة ظنونهم وسيات مقاصدهم ولكن نرى الآن انه لا بد
من رد ما قالوه . ونقض ما أسسوه . من هذه الخزعبلات الخرافية . والمشاغبات
الخيالية . ليكون تبصرة وذكري للمطلعين على توالي الايام والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم

فقال ذلك الرجل الذي افتتح باب الكلام على هذا الفصل الثالث
أيها الاخ الخليل . والصديق الجليل . لقد تقول هؤلاء الضلال زخرفاً من
القول وزوراً ابتدعوه من طريق السفسطة والزندقة على علم منهم بأنه مجرد
تمويه وتضليل وقد علموا الحق وجحدوه . وتبينوا الصواب وتجنبوه . ومن كان
هذا حاله لا يجاري ولا يماري فقال له صاحبه انا لانظر اليهم ولكننا نراعي

حال العوام من هذه الامة التي تسلطت على عقولهم سنسطة السفهاء في هذا الزمن المدهش فالاولى ان نكشف الغطاء غطاء الزخرفة عما في هذه الشبه من الشناعة والفضاعة والله على كل شيء شهيد

فقام ذلك الرجل قائلاً زعم المبطلون أن الانبياء التي جاءت في القرآن المجيد خرافية لما بينها وبين ماسطره اليهود من المناسبة ثم تكلم على قوله تعالى (ق) بما تكلم به وعن ذلك نقول ان الوقوف على الحقائق في هذه الارجيف المظنونة يتوقف على أمرين احدهما صدق الرسالة والاخر معرفة القرآن هل هو الهي أم بشري . ومتى ثبتت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وثبت أن القرآن من عند الله تمييز الحق من الباطل وأعجز المكذبين قوله تعالى (ومن أصدق من الله حديثاً) لاننا لو فرضنا القرآن تاريخاً كالتواريخ وجمعنا جميع التواريخ ووجدناه متخالفا لها في الروايات ورأينا الكل متفقين على رواية واحدة لا نجد تمييز الحق من الباطل الا طريقاً واحداً وهو البحث عن أخلاق المؤرخين واعتدال سيرهم وصدق أقوالهم فمن كان منهم حائزاً شروط الثقة كان هو الموثوق بأقواله فلذلك اوقفنا الوقوف على الحقائق على ثبوت صدق الرسالة وعلى معرفة القرآن هل هو من الله أم لا وعن ذلك نقول

ان كل مسيحي عاقل وموسوي نبيه طالع العهد القديم والعهد الجديد واستعمل فكر أولي الالباب ونظر أرباب البصائر لا يشك في أن كلماتها كلها وضع متكلم جاهل بزيايا الكلام ومواقع الخطاب لما فيها من الركافة والسخافة فاما أن يكون ذلك من جهل المترجم الذي نقلها من لغة الى لغة واما أن يكون من عوارض التعبير والتبديل ثم ان ماورد في

في العهد الجديد من الاخبار المنقولة عن الاسماء المدونة به والروايات وانباء
عيسى عليه السلام كل ذلك دال على أنه ليس بتنزيل سهاوي لانه كلام
لم يخاطب به عيسى ولا حواريه من قبل الله بشي ما ولكنه أحوال
حصلت بين المسيح وبين قوم مجانين ومصابين ومرضى وقوم مجادلين
واعداء متعصبين الى غير ذلك فمن زعم أن هذا تنزيل الهي كان فاسد
التصور فاقد الادراك غير بصير ولا خبير بمواقع الكلم ومصادر الوحي
واقدم أجمع المسيحيون على أنه تنزيل الهي هو والعهد الجديد ولكن اليهود
لم يمتروا بذلك لخالفه الانجيل لما في كتابهم فمن كان له أدنى احساس
يدرك به مواقع الخطاب ونظر في هذه الكتب ثم سمع آيات القرآن
لايشك في أنه بالنسبة لهذين الكتابين لا يمد كلاما بل يرى أنه درر
منظومة أودراري على صحف مرقومة فلسنا نحتاج الآن الى ان نحيل النظر
في ثبوت نسبة القرآن الى الله الى البراهين التي أثبتت ذلك في عهد
نزوله ولا فيما بعد ذلك ولكننا نستلفت انظار العقلاء الى ما ذكرناه
والحق أحق أن يتبع

وأما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فما كان لنا أيضاً أن نتكلم على
ثبوتها من الطريق التي ثبتت به عند من صدقوها عند تبليغ الدعوة ولا
عن ثبوتها بالاجماع والتواتر وارتفاع أعلام شهرتها ولكننا أيضاً نطلب
من يعلم من نفسه لنفسه حالاً يميز به الفث من السمين أن يتفقد شون
الرسول مع أمهم من الكتب القديمة العهد من رسالة نوح الى رسالة عيسى
وينظر ما كان من كل رسول وكل أمة حتى اذا وصل الى أبناء الامتين
العظيمتين أمة موسى وأمة عيسى يقوم مقارناً بينهما وبين أمة محمد صلى

الله عليه وسلم في العلم والعمل والآداب المسطورة في مؤلفات الخيار من كل أمة ثم يتأمل بعيني الناقد البصير في أعمال الرسل الدينية. وعلومهم الربانية. وآدابهم الكمالية. ليميز أيها أفضل فان وجد موسى وعيسى أو أحدهما حاز أفضلية. بصفات كالية. فوق محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محمد رسولا وان وجده اكمل الكل حالا. وأبلغهم أقوالا. وأسبقهم الى مراتب القرب الالهي اعمالا. كان هو خاتم الرسل وسيد الكل وامام المتقين. وقائد الفر المحجلين. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فقال القوم لصاحبهم انا نود ان لا يقوم قواعد هذه الموازنة سواك حتى يكون مطالعها او سامعها حكما بينك وبين من ينكرها ان كان هناك معارض او منازع

فقال ذلك الرجل انا قد اجلنا الكلام على تلك المقارنة من قبل الى انتهاء الكلام على مافي هذا المؤلف من الفصول وانا ان شاء الله لا آتون بما يسر الناظرين. وينعش الباب السامعين. ويرد العدو وراء اسلافه الى اسفل سافلين

ولكننا نقول الآن

اما كون الانباء التي وردت في القرآن قد كانت مسطرة في كتب قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فذلك لا يفيد ان محمدا صلى الله عليه وسلم تناوها من تلك الكتب وجعلها قرآنا لأن كل واقعة وقعت بين امة ورسولها كانت مشهودة لا بناء الزمان الذي حدثت فيه ومن المعلوم ان كل زمن اوجد الله فيه من العلماء ومن العقلاء من يحفظ وقائمه ليتناوها منه من خلفه في الازمان التي تلي ذلك الزمن ولكنها مع توالي الازمان ربما داخلها الفس والتحريف او التغيير والتبديل كما وقع في الكتابين السماويين ولم يقع تحكير

ولا حجر سماوي ولا ارضي على الناقلين لتلك الانبياء كما انه يكون الناقل شخصاً
او اشخاصاً معينين بل كل ذي فكر سمع خبراً يجوز له نقله الى غيره فلا يجوز
لسامع نبأ ان يحكم عليه بأنه منقول عن شخص معين حتى يسأل الناقل له عن
الذي تناوله منه الا اذا اشتبه في امره ثم لاحقه له في تكذيب ذلك الناقل
اذا قال نقلته عن فلان هذا هو الطريق المعهود بين الناقلين والسامعين
والسبيل المسلوك لكل سامع ولقد جاءنا محمد صلى الله عليه وسلم نبأ بل بانبياء
فسأله السائلون ممن تناولت هذه الاخبار فقال من جبريل عن الله عز وجل
ولقد عهد القوم صدقه من قبل وامانته اذاً فمن قال له انك كاذب لاني
سمعتك من طريق غير هذه الطريق فقد اعتدي وتعدى الحدود المعلومة
بين السامعين والناقلين سيما وقد برهن هذا الناقل على صدقه وصدق من
نقل عنه فهل يسوغ لما نقل او يجنون معها وصل حاله من الجنون ان يأتي بعد
الف وثلاثمائة سنة قائل ان محمداً نقل انبياءه عن غير جبريل اليس هذا هو
العتة الذي ما بينه وبين الجنون الا الرجم بالاحجار والتغذي بالاقذار انهم
والله لظالمون

ثم قال ان من اعجب العجب استدلال هؤلاء الضلال على تكذيب
الرسالة بما جاء به المفسرون من الاحتمالات او بما جاء به القصاصون او دونه
المؤرخون في قصص الانبياء من المعاني المحتملة في لفظ (ق) ومن تفسير بعض
الآيات التي جاءت بانبياء الانبياء اليس ذلك من الهوس البين اما علموا
ان خطأ السامع لا يقدح في صدق المتكلم ولا في اصابته ولو كان كذلك
لكان موسى مؤخذاً بأوزار امته وعيسى مداناً بفساد اعتقاد قومه الذين
اتخذوه الهاً بعد ما قال لهم اني رسول الله اليكم وما كان يقول أبي بالنسبة

الى الله الابعني ربي كما كان يقول لهم ابوكم الذي في السماء فأصاب وأخطأوا
المعني فهل لعاقل ان يقول ان اجرامهم يجعله مجرماً كلا ان الظالمين لفي
ضلال بعيد

ولو ان قائلنا يقول ان المفسرين او المؤرخين ما فسروا القرآن الا
بما تناولوه من الاحاديث النبوية نقول اذا كان الحديث صحيح النقل يكون
أصدق من كل نبأ قديم وحديث سواء كان عن المسيحيين او غيرهم لان
كثيرا من المسيحيين وكل عالم من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد
اجمعوا على انهم غيروا وبدلوا في كتبهم كما ان قوم موسى شهد الله عليهم
بالعصى وطمس القلوب . وقوم عيسى عبدوا الصليب والمصابوب . من دون
الله ومن كان هذا حاله لا يثق سامع بنبيته والله على ما اقول وكيل

ثم اتم الرجل كلامه واجل الكلام على ما بقي من الكتاب الى الصباح
وانصرف القوم قائلين (ربنا اتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير)

(الكلام على الفصل الرابع)

يا بئس الغيبي وقد تظاهر بالزكا	الا اعاية حال كل مذهب
وكذا الجهول اذا غدا متعلما	علم اللسانة بات غير مؤدب
أما السفية اذا تجنبه الحيا	والخوف أهلك نفسه في الغالب
وأخو الحماقة لا يرى لافاضل	فضلا ولو كانوا كساكن يثرب
لو يعلم المعيوب عيب خصاله	لقدنا الى الاجداث أول هارب
لكنه بالطبع كان ميا	لذهابه في العيب أشنع مذهب
فتراه لا يخزي اذا نظرت له	نظر ازدرأ عين كل مراقب
فدر الدين تفتنوا في عيبيهم	وشونهم لحساب أسرع حاسب

ان الحقائق لا يضر بظونها . جبل الجهول ولا تقول كاذب
فلما أصبحوا تنادوا مقبلين وأقبل معهم خلق كثيرون ثم قام ذلك الخطيب
فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال . أيها الاحباب
انكم تعلمون ان الله تبارك وتعالى ما أوجد النوع الانساني على اختلاف
طبقات أفراده وتعدد اسمه المختلفة السننهم وألوانهم الا ليكون مظهر القدرة
الالهية . ومصدر اعمالها النظامية . التي حيرت حكمتها الافكار وشخصت
داهشة دونها أبصار البصائر النيرة وما جعل سبحانه وتعالى من رابطة بين
قدرته العلية . وبين تلك المظاهر في امضاء الشؤون البشرية . الا البواعث
الغيبية التي جعل مجالها القلوب وقد تختلف اسما . تلك البواعث باختلاف
الشؤون فمنها ما يسمى خاطرا ومنها ما يسمى الها ما الى غير ذلك وما
كان لتلك البواعث التي هي منشأ كل عمل تراه في الوجود من مصدر
الا الغيوب التي ما فيها الا من هو المعلوم الجهول المعقول . الذي لا تحيط به
المقول . جامع المتفرقات . وناظم اشياء الطبقات المحتجب عن الغير بالغير
حيث لا غير . والمتلطف في ايصال الخير (وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها)
ان ربي على صراط مستقيم)

ومن هذه الوجهة التي من لم توجه قلبه اليها كان من الضالين قال معلم
العلماء . ومؤدب الادباء . وأطراف الظرفاء . وخاتم الانبياء . سيدنا ومولانا
محمد صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) كما يشير الى
هذا المعنى التعليم الالهي الوارد في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) وذلك لانه لا يبرز في عالم
الظهور قول ولا عمل الا عن تكوين الهي لا يعلم كيف كان الامكونه ومن

هذا المشرب كان قول القائل

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا وجدت جميع الكائنات ملاحاً
وتالله لولا وجود الحجب المسدلة بين البواطن والظواهر. علمت المظاهر
من هو الباطن والظاهر. وما رفعت تلك الاستار ولا ازيلت تلك الحجب
الا عن عرف نفسه فعرف ربه وما عرف نفسه الا من عرف معنى
قوله تعالى في الحديث القدسي في عرفوني اذ لولا ان الله سبحانه وتعالى
أحب أن يري نفسه كما هي عليه من الاقتدار ومخالفة الحوادث لما كان هذا
الظهور المعبر عنه بالوجود الصوري ولو كان للممكن حقيقة ذاتية لما التحق الفناء
بوجوده ولما طرأ عليه التغير وما قلنا هذا القول المحجور عليه الا لتعلموا أن
الانسان مساق الى ما يراد به ومنه على وفاق وتلايم بين استعداده وقابليته
وبين ما هو معان عليه ومسخر له اذ هو مري سهام العدل. ومطمح انظار
الفضل. لانه اما شقي شرير واما سعيد خير ولا يميز الشقي من السعيد الا
بالاعمال اذ الاعمال اما ضارة واما نافعة وهما ضدان لا يجتمعان في
استعداد واحد ولا تقبلهما معاً قابلية واحدة فكان من حكم النظام الا
بداعي اختلاف القوابل والاستعدادات لتأتي أعمال الانسان على وفقها
فذلك افترق الناس الى قسمين فمنهم شقي وسعيد وفريق في الجنة وفريق
في السعير فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر والويل لمن جعله
الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير

ولقد علمتم أن كل أذى زائل الاذى الدين فانه شر دائم. ونتيجته
غم ملازم. فمن رأى منكم شريراً قد استرسل في شؤنه أو مضلماً تدمى في
اغوائه فليبرأ من أعماله وليهرب منه الى ربه ويعلم انه مكين مسلوب

الارادة عار عن المشيئة عاجز عن القدرة مفقود الاختيار. وانه مسخر لما يأتي به من الاعمال كما سخرت السموات والارض والشمس والقمر وجميع الموجودات لاعمالها وكذلك الدواب والانعام وغير ذلك تنفيذاً لما كان مقضياً في الترتيب التكويني الذي أشار الى منشئه الحق سبحانه وتعالى بقوله (حكمة بالغة فما تغني النذر) . واياكم أن تفتنوا بما افتتن به الجهلاء من أهل هذا الزمن الذي اغتروا بزخرفة الاقوال الفلسفية التي حالت بين الله سبحانه وتعالى وبين قلوب عباده الضعفاء وانها لا قوال قوم جعلهم الله فتنه للقوم الظالمين وزين لهم اعمالهم وامدهم بما اعانهم به على ما اراده بهم ومنهم من الجدل وقتنة الظهور . وطغيان الغرور . فمن كان منكم ضعيف النظر قليل التأمل قاصر الادراك لا يجد من نفسه قدرة على ادراك الحقائق من طريق الفراسة الايمانية . والانوار القلبية . فعليه بالميزان الذي وضعه الله لعباده في كتابه العزيز ليميز به العقلاء . أحوال الاطغيا من احوال الاصفيا . فقد جعل سبحانه وتعالى التقوى هي العلامة الدالة على حسن توفيقه وارشاده والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (وانفوا الله وبعلمكم الله) وبقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) ولا تعرف الحشية الا بالتقوى ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأس الحكمة مخافة الله) ثم قرن الغرور والطغيان بالاستغناء بالجاه والمال كما يشير الى ذلك قوله (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وما كان ذلك من الله تبارك وتعالى الا تعالياً وارشاداً حتى لا يفتر الضعفاء منكم بظواهر القول والعمل وتعلموا أن كل علم أو عمل لا يتخالطه التقوى لا يكون الا اغواءً وتضليلاً كما عليه سفهاء الفلاسفة والمبشرين في هذا

الزمن الذي قل أن يعقب دياجييه المظلمة اسفار . وان يكون للحق فيه
أعوان أو انصار . فقد ظهروا فيه بمظهر الاغواء والاضلال . وستروا محاسن
الحق البين بقبايح الزيف والضللال وتظاهروا من علومهم ومعارفهم الزيفية
بما لم يتظاهروا به ابليس في زمن من الازمان الماضية (وكان الله على
كل شيء مقتدرا)

فكان ذلك التعليم الذي سبقت الاشارة اليه ميزانا يعلم به المسترشد
أحوال العباد لكيلا يلتبس الامر على الجهلاء فمن رأى منكم عالماً أو مرشداً
قليل التقوى فليعلم أنه شيطان وكذلك صاحب الجاه والمال الذي لم
يرزق الانكسار وحسن الخلق لا يكون الا مغروراً طاغياً من حيث لا يشعر
ولذلك قال الفائل

هما رضيعا لبان حكمة وثقى * وسا كنا وطن مال وطغيان
ألا ترون ان أول من كان يتبع الرسل من الامم الماضية ضعفوا وهم
وما اتقاد الاقوياء منهم للرسل الا بعد الجهد الجهميد ولقد علمتم ان منشأ
الفساد في هذا الزمن ماهو الا محبة الدنيا والتكالب عليها الذي ترك كثيراً
من الناس الآن يظنون أنهم وجدوا بلاموجد وأن هذه الدار التي سكنوها
بلا ديار . وأنه لاجنة بعد الموت ولا نار . فتفتنوا في الجنون وزعموا أنهم
مصلحون . وانهم لهم المفسدون ولكن لا يشعرون . فلا يكون مثل من هذا حاله
بعد الموت الا كمثل راكب سفينة ألقته به من الشاطي على جزيرة كثيرة
الاشجار والانهار فأشغلته زهراتها وثمراتها عن النظر في شأن مبيته
والاستعداد لاستراحتة الليلية ففضى نهاره لاهياً متغافلاً حتي اذا جنة الليل سمع
زئير الاسد فدعمه الجزع واحاط به الخوف الشديد حيث لم يجد ملجأ ولا

مفارات تنجيه أو تأويه (والله محيط بالكافرين) فالحذر كل الحذر من أن يحول الطيش بينكم وبين ادراك الحقائق الغيبية فطالما حذركم الله من ذلك بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور) وما أراد بالفرور الا كل شيطان ذي زندقة يخرج الناس من النور الى الظلمات أي من نور الايمان والتصديق الى ظلمات الشك والزيغ والجدل فمن كان منكم ذاعقل وافر . وقلب طاهر . ويقين صادق وإيمان كامل فليبحث في مؤلفات الابرار . عن طريق الاخيار . حتى اذا سلمها كان قد تمسك بالعروة الوثقى التي بها يتصل جبهه بحبال الناجين وتجعله في حوزة القوم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر واياكم أن يلجأكم الجهل بربكم الى محاباة الضلال عند الفاقة لتوصلوا بهم الى ادراك رفاة العيش ونضارته كما يفعل سفهاء الامة الآن فان هذا هو علامة ضعف اليقين وخسة الطبع ودناءة النفس وضعف المروءة وما هي الا شيمة من شيم جهلة النساء اللاتي تميلن الفاقة الى هتك الاعراض . واتباع الاغراض . وانها هي الحال التي تركت ظانفتي التبشير والفلسفة علي ما ترونه الآن ولو تأمل الناقد البصير في أحوال القوم لما وجد منهم ذا حسب ولا ادب ولكن اكثر الناس لا يفقهون ثم بكى ذلك الرجل طويلا ونادى ربه قائلا (ربنا لا تجعلنا قننة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة القائم على كل نفس بما كسبت اسألك لطفاً كافلاً . وعفواشاملاً ورضواناً يحول بيننا وبين سخطك وامتنانا يدافع هذه النقم التي قاربت أن تحيط بعبيدك الضعفاء الهنا العوث العوث من مقتك وطرديك وبعديك اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا واغفر لنا وارحمنا (ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤوف رحيم

ثم استدعي بذلك المؤلف ونظر فيه طويلاً ثم رفع رأسه فقال واعجبا
لقدره الله سبحانه وتعالى كيف ثقود أهل الشقاء الى مصارع العقاب وهم
لا يشعرون وكيف تزين لكل عامل عمله حتى يظن أنه هو العالم الذي
أحسن عملا

ثم قال اني كلما مررت بصحيفة من صحف هذا المسطر لا أرى فيها
على الغالب الا تكذيبا لكاتب المسيحيين واتهاماً لليهود بان منهم المخرفين
والمبتدعين وما صادق هو لا القوم على نبا من الانبياء المسطرة في هذا
المؤلف سواء كانت قرآنية أو تاريخية فليت شعري ان قلنا ان اليهود مخرفون
والنصارى مبتدعون والمسلمين ضالون وان القرآن مختلق ومكذوب واكثر
الانجيل باطله كما زعموا وان التواريخ التي سطرت فيها تلك الانبياء ما هي
الا مخترعات قوم كاذبين فأين الصدق وأين أهله وأين الحق وأين متبعوه
وأين الخيار وأين الابرار اذا لو سألتنا هو لا الضلال عن خيار الناس لزعموا
أنه لا خيار الا طائفة الفلاسفة والمبشرين ثم ضحك حتى بدت نواجذه
وقال لله در القائل

ذهب الكرام المقتدي بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور
أيها الاخوان لقد بينا لكم فيما سبق ميزانا قرأنا تعرفون به احوال
الرجال وانه نعم المرشد لمن تمسك به واني الآن لسائلكم سوألا به تتعلقون
احوال الضالين والمهتدين وكان الله بعباده خبيراً بصيراً

أرايتم ان جاءكم رجالان كل منهما يدعي الفضل والكمال وكان احدهما
يصوم ويصلي ويذكر الله ويتجنب الفواحش ويتحاشي غوائل الظهور ويختار
الحول والعزلة ولا يتكلم الا بما يعنيه ولا يشتغل الا بما يصلح حاله وماله
مقدماً امر آخرته على دنياه ثم يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة واذا
سئل عن شيء من أمر الدين سلك في الاجابة عنه طريق الأتقياء الذين
يخشون غوائل الميل والانحراف عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا رأى من أعمال العوام عملاً أو أعمالاً لم يعملها الصحابة ولا التابعون
أو كل أمرها إلى مقاصد العاملين ونياتهم ارتكازاً على قوله تعالى (وما
جعل عليكم في الدين من حرج) وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السحاء وعلى قبوله صلى الله عليه وسلم ايمان الأمة التي سأله عن ربهما فأشارت
إلى السماء وكان ذلك الرجل ايضاً لا يحترم الفقراء . ولا يزدري الضعفاء
وليس الا لتواضع شعاره . وبحسن اليقين وصدق الايمان ابتهاجه وافتخاره
وأما الثاني فلا يهمه أمر الدين . ولا يهتم بالأعمال الخيار من المسلمين
لا ينطلق لسانه الا بالغبية والسباب . ولا يعمل من أعمال البر الا ما يجب
أن يمدح به بين الأحاب . ولا تراه الا متفقدا عورات الناس . ولا
متلبساً من الاخلاق الا بما تلبس به الوسواس الخناس . يفتلق لأفاضل
الاموات عيوباً . ولا يعددهم بين الناس الا هفوات وذنوباً . لا يقبل
من القول الا معقوله أو منقوله . ولو أن الله اعطاه الدنيا بجزا فببرها لما
ابلغته مأموله . ان جاءه نبأ مخالف لا اعتقاده ازدراه وانكره . وان رأى
ذاكراً يذكر ربه أنكر عليه وكفرة . وان عثر على من يذكر الناس
بأمر الآخرة ضحك استخفافاً بالقائل . وان طرق مسمعه نبأ كرامة

لولي حكم بالجنون على الناقل . لا يفتخر الا بما كان عليه اهل الجاهلية
من التعاطف والتعالي على الناس . ولا يتكلم الا بما من القول كان مشعونا
بزخارف الزيف والالتباس . قد جاء يدعي أنه في العلم قرين الانبياء
والمرسلين . ولكنه لا يكثر بسنة ولا يفرض من فرائض الدين .
لا تفارقه الدعوى طرفه عين . ولا يعجبه من القول الا ما هو ملفق من
الشبه والمين . فأيهما يرى العقلاء أنه هو الزنديق . ومن منها تعتقدون
أنه السالك لا قوم طريق

فقال قائل من الجماعة أيها الخطيب لقد جئت بالجواب . في خلال
الخطاب . فما بينت غير طريقين احدهما طريق الابرار . والاخري طريق
الاشرار . وما تخلق الاول الا بأخلاق المتقين . وما تتبع الثاني الا
سبيل الشياطين

ثم ألقى ذلك الرجل الكتاب من يده وترجم بقول الله تعالى (فويل
لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال لقد عجبت من
هؤلاء القوم الذين فصلوا هذا المؤلف فصولا وما تميز واحد منها عن
الآخر بحال من الاحوال بل كلها في موضوع واحد متحدة البراهين
والادلة وما من دليل ولا برهان الا وهو دعوى كاذبة ذات حجة باطلة
فما كان ذلك التقسيم الا كتهمويلات المطلقات اللاتي لا يقصدن بما يأتين
به من الجدل والمحاورات الا تكبير الجرائم والله لا يهدي القوم الظالمين
ثم جلس ذلك الخطيب قائلا ان من الحكمة ترك هؤلاء الضلال
في طغيانهم يعمهون . والاولى أن لا يتقدم المتفقدون . ولا يصنعى لا قوالهم
الصاغون . اقتداء بقول القائل لا تلق لعدوك سمعا . فانك لا ترتجي منه

نغما . وان من السفه لمجارات الاحق في حقه سيما الاحق الذي لا يدري
انه احمق وما كان لبصير أن يبرهن للاعمى على طلوع الشمس وهي في
رابعة النهار . وان الحق لظاهر وان الدين لقيم قويم ساطع الانوار غير
خفي الاسرار . وقد فاز بكرامته المؤمنون . وسعد باعتناقه المتقون . وم
تنافس فيه من قبلكم المتنافسون . حتى وصل السابقون منهم الى مقعد
صدق عند مليك مقتدر . وما كانوا أمثالكم في اللسانة والجدل وطيش الغرور
وكثرة القال والقال ولكنهم كانوا قوما صالحين وكانوا كلما احتاج احدكم
الى الوقوف على حقيقة من حقائق الدين تكبد المشاق والمتاعب في
طلبها وربما هجر أوطانه واهله اذ كانت الكتب فيما بينهم لها قيمة لا قدرة
عليها الا لذوي الاموال لقلة الكتب والكتابتين . وانتم الآن في زمن
كلامه كلام وما من كتاب مكتوب يتفقده متفقدا ولا ويجده في خزانة جاره
بل ربما وجده في أيدي الصبيان وما من واعظ يعظ قوما الا سمع من
غالبهم من الحكمة فوق ما وعظهم به ولكن الاعمال بينها وبين الاقوال
تباين واختلاف شديد فهما على طرفي نقيض فلو أن احوالكم الآن
واعمالكم كانت تابعة لاقوالكم لكنتم كانبيا بني اسرائيل ولكن انتشار
العلوم والمعارف مازاد الامم الاضلالا وخبالا والذي يراه العقلاء من
طوابع هذا الزمن المنحوس هو أن الله سبحانه وتعالى ما أراد بترخيص
الكتب الى القيم التي تعلمونها الا بلوغ دعوة الرسالة لكل مطلع ولا
نشر العلوم والمعارف فيكم الى الحد الذي ترونه ولا أكثر فيكم
المتكلمين . ولا نشر فيما بين الناس سفهاء الفلاسفة والمبشرين . وسلب
منهم الحياء منه والخوف الاحكام كثيرة . منها اقامة الحججة على الغافلين

الذين لحقهم الشك في أمر دينهم فهجروا مناسكهم لما سمعوه من زخرفة
الاقوال الزيفية ومنها انتقال الكثيرين الذين أشار اليهم الحق بقوله
(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) من طريق الهدى الى طريق
الضلال ومنها ظهور ما أشار اليه القرآن بقوله (ليميز الخبيث من الطيب)
الى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها الا مجري الشؤن وممضيها

ولقد علمتم يا قوم صدق نبيكم وصحة دينكم كما علمه الذين من قبلكم
وان الجاهل منكم الآن بأمر دينه لو اختبرناه لوجدناه كأنه قريب عهد
برسول الله صلى الله عليه وسلم وما خفي عليكم والله من شؤن الرسالة
التي شاهدها الصحابة الا القليل ولا يضل الآن عن أمر دينه ضال مع
وضوح أنواره الا من كان شقاؤه فطريا كما كانت الاشقياء في عهد
الرسول واضنكم لانهجولون ما كان منهم من الكفر والجحود مع مشاهدة
الآيات البينات وما أنبأكم الله بأحوالهم في القرآن الكريم الا لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير وان الهدى هدى الله فما على أمثالنا الآن الا
البيان لمن لم يكن على علم وقد جئنا بما فوق الطاقة وما كنا بمكلفين بمعاناة
الشدائد فوق ما تكبدناه من ارشاد الجهلاء وفوق ما فررناه من النصائح
لتقوم الضلال الذين قد تعاونوا على الاثم والعدوان ومعصية الرسول وقاموا
فيما بين الناس يقاومون الحق ويدافعونه بالباطل وما وجدوا زاجرا من الامم
ولا من أنفسهم وما ذلك الا لانهم حقت عليهم وعلى من يجابهم كلمة
العذاب (وكان أمر الله قدرا مقدورا)

وما علينا الا أن نحذركم صحبتهم والتودد اليهم اتباعاً لقوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموادة)

وصونا لكم عما يصل اليكم من شرورهم اذ لا ضرر اشد على الانسان من
ضرر الصديق الاحق وانه لمن المعلوم الضروري ان الجاهل عدو لنفسه
ومن كان عدوا لنفسه لا يصلح ان يكون صديقاً لغيره وهل رأيت في
الوجود ظالماً لنفسه اظلم من هؤلاء السفهاء الذين ما عابوا الا خير خلق الله
ولا كذبوا الا رسول الله ولا خاضوا الا في آيات الله ابتغاء الفتنة ولقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها) وهل من
فتنة اضر من فتنة الدين . وهل من وقاحة اقبح من اعادة سيد المرسلين
الذي شهدت بفضله جميع الامم الا القوم الكافرين ولو ان الله سبحانه
وتعالى جمع جميع الرسل والانبياء في صعيد واحد واقننا على رأس كل رسول
خطيباً يذكر ما أثره ويعدد اعماله ويسرد سيرته واقواله لما استطاع خطيب
من اولئك الخطباء ان يأتي ببنت شفة في حضرة ذلك الرسول الكريم الا
بعد اعترافه بأفضليته على جميع الرسل ولقام اذ ذاك كل نبي ورسول بين
يديه شاهدين له بما اشار اليه البوصيري رضي الله عنه بقوله

وكلمهم من رسول الله ملتمس غرقاً من البحر أو رشفاً من الدميم
لانه صاحب الدين القيم والاعمال الناجحة الصالحة وصاحب الفتح المبين
والشريعة الغراء والهمة العالية والعزم الشديد . والرأي السديد . ومؤدب
العلماء . ومكمل الفضلاء . ومن كان هذا كله بعض مناقبه السنية . واخلاقه
المرضية . لا يكون حال من جاء يعيبه الا اسوأ حال . وما ما آله الا اشنع مآل
ولا يكون عمله ولا قوله الا من اقبح الاقوال والاعمال . وما عادى ذلك
المفتون الا نفسه التي أوردتها شر الموارد المهلكة فليس لعاقل ان يصحبه
اذ هو المجذوم اي المقطوع الذي اشار اليه النبي بقوله (فر من المجذوم فرارك

من الاسد) واي قطيعة انكى وادهى من قطيعة هؤلاء القوم المطرودين
من رحمة الله . المعادين لرسول الله . المكذبين لكلام الله . فوالله لو انهم وجدوا
في غير هذا الزمن الذي اشتغل شبانه بالملاهي وامتلأت قلوبهم زيفاً
وزندقة وما وجد الدين له فيها مأوى لما انطلقت السننهم بما أذاعوه من
الضلال والفسوق والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم جلس ذلك الخطيب وقد اظهر شديد الحزن والاسف فقام احد
الحاضرين قائلاً ايها الحبيب انا وان كنا نعلم علم اليقين أن هؤلاء الضلال
ما جاؤا في مؤلفاتهم بمعقول يعقل . ولا بمنقول يستحق ان ينقل . ولا بما
تأس له الافهام الزكية . ولا بما يروق منظره المطالع من ارباب الاخلاق
المرضية . ولقد اتفنن العقلاء في تسمية تلك المؤلفات بما تستحقه من الاسماء
فمن قائل انها خزائن الخزي والزندقة . في فن الشقشقة واللقاقة . ومن قائل
انها حذق المهايل . في نشر الاباطيل والاضاليل . ومن قائل انها موقعة
السفهاء الفاسقين . للجهلاء المقتونين . الى غير ذلك مما نسمعه من افواه المتكلمين
ولكنه لا ينبغي لنا ان نستخف بشأنهم حرصاً على عقول العامة الذين
ربما اورثتهم خزعبلات هؤلاء السفهاء شكاً في دينهم فمن كمال الايمان ان
ننظر الى اخواننا في الدين بعين الرحمة كما اوصانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله ضمن حديثه الشريف وعودوا قلوبكم الرحمة وبقوله في حديث
آخر (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) فالاولى لنا
أن نكشف للعوام عن وجوه الحقائق بواقع الشبه الزيغية وندافع عن أوهامهم
هذه التموهيات التي جاء بها هؤلاء الضلال الذين يتسوا من الجنة ومن
رحمة الله كما يتس الكفار من أصعاب القبور وما كان لنا أن نياس من

اقلاع هؤلاء السفهاء عما هم فيه من الافتتان والغرور وان كانوا طاغين لاننا نعلم علم اليقين انهم جهلاء بمزايا الدين والمتدينين لانهم ما علموا من الدين شيئاً غير ظاهر اقوال ما تحققوا بحقائق معانيها وما نشأوا الا بين قوم جاهلين وقد الجأهم السفه وطيش الغرور والافتتان الى تعزير ما نشأوا عليه وان كان ضلالا لان من لم يقف على حقيقة الحق لا يعرف الباطل انه باطل فالاولى لنا أن نخفض لهم جناح الذل من الرحمة عني ان يهتدوا بإرشادنا الى الصراط المستقيم

فقال له صاحبه ايها الفطن نعم ما رأيت. وما أجمل ما به من النصح أتيت. فلا عدمت الامة امثالك. ولا فقدنا أراءك واقوالك. ولكن القوم الذين تريد أن تقاومهم فيما قاموا اليه لتقومهم ما هم الا أقوام تعصبوا على الحق فرموه بججارة الباطل وما كان ذلك التعصب الا عن مقاصد سيئة تعاونوا على امضاها على علم منهم بأنهم هم الظالمون ولقد أبرموا امرهم على ذلك الاتفاق وصمموا عليه مصرين على انهم لا يخافون في أي قبيحة ارتكبوها لومة لائم وما كان ذلك منهم الا لأغراض دنيوية يريدون اصابة مرماها فما كان حالهم الا كحال مدمن الخمر الذي لا يسمع ولا يعي قولاً أو كالزاني المتواله الهائم في هوى معشوقته التي ملكت فؤاده وما ظنك بقوم يدرسون القرآن ويظالمون كتب الحديث وهم لا يهتدون ولقد مثل الامام ابن الفارض رضي الله تعالى عنه حال من كان هذا حاله بقوله

رضوا بالاماني وابتلوا بمحظوظهم وخاضوا بجمار الحب دعوي فما ابتلوا اذا فلا يكون حالهم معك الا كحال امرأة سيئة الخلق ذات اخدان ابتلي بها رجل اديب عاقل كلما حالها تحاملت عليه. وكلما سالها سقت الشرور

شروورها اليه . وان زجرها تجرأت على سبه . وان سكت عنها توسعت في لومه
وعتبه . فهل لذلك من حيلة غير الفرار . أو ان ينجي عنها في زاوية من زوايا
الدار . ان هذا لبلاء عظيم

فناداه صاحبه بصوت منخفض مظهرا بشاشة اللين والتعطف قائلا
اليها الخليل الجليل ان الامر والله كما ذكرت ولكن الله سبحانه وتعالى قال
لنبيه الكريم (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وقال ايضا في احكامه
عن الرسل صلوات الله عليهم بقوله (حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)
حكي سبحانه وتعالى هذا الحال عن افراد كانوا اكمل الناس حالا واكرمهم
عنده منزلة وقد ابتلاهم بأمر طاغية جهلاء قاسية قلوبهم يعبدون الاصنام . ولا
يخشون الانتقام . وبعثهم اليهم لينجي من اراد نجاة من الامم ثم قال (ولا
يرد بأسنا عن القوم المجرمين) لعلمه ان منهم السعيد والشقي فما برحوا في
مقاومتهم حتى قوموا منهم من اراد الله له الهداية . وادركته سابقة العناية
وأما نحن فما بعثنا لعياد أصنام ولا لقوم طاغين ولكننا نشأنا بين أمة مؤمنة
تعتقد أن الله هو الواحد وان محمدا عبده ورسوله ابتلاها الله بطائفتين زائعتين
وما كنا بجازمين بفساد عقائد الامة بتابعة هؤلاء الضلال الذين ما قصدوا
بتظاهرهم بما ظهروا به الا ان تعلقوا بين الامم منزلتهم كي ينالوا بسطة من
المال والجاه وان كثيرا من عقلاء الامة لناقون منهم وساخطون عليهم وقد
ثبت في عقول الغالب من الناس ان الفلاسفة هم اعوان المبشرين . وقد حققوا
أن المبشرين هم اخوان الشياطين . واذا كان الامر كما ذكرنا فأبي مانع

يمنعنا من الاخذ بايدي ضعفاء العقول من امتنا وأي دافع يدفعنا عن ارشاد
العقلاء من المسيحيين أو من اي أمة الى طريق السلامة والنجاة التي هي
الايان بجميع الرسل واتباع الاوامر الالهية. والتحقق بالآداب الدينية. التي
لم يتجاوزها نبي من الانبياء أما قال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منها
رجالا كثيرا ونساء) فما الاصل فينا على اختلاف السنننا وأواننا الا واحد
وما كان تخالفنا في العقائد والاديان الا لاختلاف الاستعدادات والقوايل
الفطرية والله در القائل

أبوك أبي والجد في الاصل واحد ولكننا عودان آس وخروع
وهل كان تفرق المشارب والمسارب . الا لاختلاف الاهواء
والمآرب . اذا المعلوم أن الاهواء تذهب بالقلوب الى حيث تهوى النفوس
ان لم تعقلها عن ذلك قوة اليقين وكمال الايمان فما كان لنا ان نترك اخواننا
في الجنسية والوطنية لقوم يدعون العلم وقد اخذ بمخنتهم الغرور والطفغان الى
مواقف الطيش والدعوي حيث ظنوا أنهم اكل الناس عقلا وعلموا لو أنهم كانوا
عقلاء لتحققوا بقول الزنخشري رحمه الله اذ أدركته العناية بعدطفغان علمي
فأوقفه الله على حقيقة نفسه فعلم انه أجهل جهول لولا تعليم الله له فقال
العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتفهم
ما للتراب وللمعلوم وانما يسعى ليعلم أنه لا يعلم
فلا تياس أيها الصديق من رحمة الله فر بما أن يكون من الفلاسفة
أو المبشرين من أراد الله به خيرا فيفتح سمعه ويصره لما نلقيه اليه من
النصائح ويهديه الى سواء السبيل

ثم التفت الى من حضر قائلاً أيها الاحباب انما الناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها . ورجل اشترى نفسه فأعتقها
فأما الذي أوبق نفسه وألقى بها الى التهلكة التي نهاه الله عنها بقوله (ولا تلتقوا بأيديكم الى التهلكة) فما هو الا من هجر الصراط المستقيم الذي هو الرضاء عن الله والاعتناع بما قسمه الله ثم اشتهي ان يكون ذامال وجاه كما اصبح غيره من أهل اللسانة والجدل بعدما كانوا من ذوي الفاقة والاحتياج وقد غلب علي ظنه ان الدنيا لا تعاصي على الطالبين . ولا تمتنع عن الراغبين متى كانوا أهل هم وعزائم لا يلوي أعنتها الفتور والسكل وتوهم ذلك المسكين أن الانسان يدرك بهيمته كل ما طلب . وما تفتن الى أن الاله الذي انشأ الدنيا هو المدير لشؤونها وقد خلق هذا زبالا وذلك سلطانا . وجعل ذلك تقيا وآخر شيطانا . فلا يستطيع موجود أن يفتصب رتبة موجود آخر وما تبصر ذلك المفتون في شؤون الخلائق حتى كان يعلم أن المقسوم لا يفوت وان غير المقسوم لا يدرك وما احس بأن الله سبحانه وتعالى هو الملهم لكل عامل اراد اظهار أي عمل على يديه وانه لا يفتن بالدنيا الا من سبق عليه القضاء بالشقاء . ولا معني لسبوق القضاء الا حكم مرتبته الوجودية عليه ثم لم يتدبر معني قوله تعالى (كلا نذ هو لاء وهو لاء من عطاء ربك) وقوله في حق المفتونين (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) فلما غاب ذلك المسكين عن تلك المشاهد الفكرية قام يسابق الامم الذين جعلهم الله ابناء الدنيا واشغلهم عنه بزخارفها التي لا تساوي شيئاً ولا يصبوا اليها الا الصبيان او جهلاء الرجال فما وجد ذلك المفتون مشربا الا طريق الزينغ والفلسفة فاستهوته الشياطين فسار وراء القوم الذين اهلكتهم متابعة الهوي

فأوردوه النار وبش الورود المورد

واما الذي اشترى نفسه فذلك الذي تحقق بما أودعه الله تعالى في قلبه من
الانوار أن موجد هذا الوجود لا تأخذه سنة ولا نوم وانه ما خلق الانسان
وسخر له جميع الموجودات الا ليكون مظهر تدييره . ومنفذ مقاديره . ثم
تبصر في نفسه التي هي مجموع عوالمه البشرية فوجدها منقادة لقلبه انقيادا
لا يحاكيه حال من الاحوال الا حال انقياد المواد الغازية للنار اذا لم
يجبها حاجب عن الاتصال بها فيرى عينه مثلا او اي جارحة من جوارحه
لا تعاصى على قلبه كيف شاء ان يوجهها بحال من الاحوال سيما لسانه الذي
هو ترجمان قلبه ثم تأمل فوجد قلبه غير مملوك له بل هو في يد مالك
قوي بقلبه كيف يريد وراه مقهورا لبواعث غيبية تبعته الى ما لم يكن في
حسابه وتوجهه الى اي وجهة لا يدري ما تكون عاقبته فيها ثم سمع قوله
تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما
تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله
عليم خبير) فتحقق الامر على ما هو عليه وعلم ان قول المغتر المغنون اني
ساعمل لمستقبلي ما هو الا قول ما صدر الا عن نفس مكلوبة مفتونة أضربها
التكالب على الدنيا حتى عميت عن ادراك الحقائق وعلم انها لولا السد
الذي جعله الله من بين يديها ومن خلفها والعشاوة التي على بصرها لا بصرت
كما أبصر المبصرون ولكنها لما احاط بها مفهوم قوله تعالى (وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) عميت عما
وراءها من المنيات الاخروية التي انبأ بها القرآن وعما بين يديها من
الآيات والدلائل التي نصها الله اعلاما لعباده المتبصرين الذين فتح

اسماعهم وابصارهم ليبتدوا بها اليه فتلفت بما الهاها عن ربها من الملاهي
فتوهمت انها فعالة مختارة وهذه العقيدة هي منتهى افهام المحجوبين
فلما جذبت ذلك المتبصر الى ربه العناية وحلت في قلبه انوار الهداية
وسرح فكره في شؤون الامم المتقدمين ليعلم كيف كان سيرهم وسلوكهم
وتصفح صحائف التواريخ فما وجد منهم من يستحق الالتفات الفكري الا
طائفتين احدها طائفة الرسل ومن تابعهم والاخرى طائفة الفلاسفة واشياعهم
فأمعن النظر في شؤون افراد الطائفتين واخلاقهم فتحقق ان الاتقياء
الذين اختارهم الله هم افراد الطائفة التي آمنت بالله واليوم الآخر وبلائكته
وكتبه ورسله وعلم انهم هم الذين تجملوا بمكارم الاخلاق وحظوا بتهذيب
النفوس ومشاهدة الاسرار الملكوتية والفتوحات الربانية. واولئك الذين
سعدوا واولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون. واما افراد الطائفة الاخرى
فاهم الا اهل اللسانة والجدل واصحاب الدعوى وحلفاء التفاخر والتباهي
الى غير ذلك من الاوصاف المذمومة فتحقق انهم هم الذين ابتلوا بهجوم
الدنيا وغموم الآخرة والله لا يجب كل مختار فخور

ثم بكى ذلك الرجل طويلا وقال (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) ثم نادى يا أيها الاخوان لقد أصبحنا
في زمن ما تقدمه زمن مثله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن
وما ضلت الامم عن طريق الهدى في عصر من العصور كضلال أم هذا
العصر وما ظهرت بمظاهر الزيف زنادقة في وقت من الاوقات كظهور زنادقة
هذه الايام بزندقتهم وكثرة افسادهم واضلالهم فلا توبقوا أنفسكم كما أوبقها
ذلك الرجل الذي ضربنا لكم به المثل وتحفظوا من أحوال الفلاسفة والزندقة

واياكم ومخالطة اهل الفساد فان من وقف مواقف التهم اتهم ولا اجر له
ومن أحب قوما حشر معهم وتمسكوا بعروة الدين الوثقى ثم ارجعوا ورائكم
فالتمسوا نورا فقد تجاوزتم في الضلال احوال الفترة وهجرت معام الدين
وموت لغات السادة الصوفية الذين هم اهل التحقيق وامناء الله على دينه وخلقه
وملتم الى طريق الزيف التي تركتكم تركزون الى اقوال اقوام سفهاء قاموا
فيما بين الامم لا خجلين ولا خائفين يمشون في الارض مرحاً ويصمرون
للناس خدودهم يحاولون تحول أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن دينهم الى
أن لا دين لما علموه من سفهائكم من هجر مناسك الدين والجهل بأدابه
وانا انري زمرا من او باش الناس وكثيرا من سفهاء طلبة العلم وبعض مجانين
الشبان من ملامذة المدارس يشهدون محافلهم التي يتناولون فيها بسب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويخوضون في آيات الله بغير علم ويدعون ان لهم
دينا هو اكمل الاديان ولكنهم لا يعبرون عنه الا بتلاوة الانجيل والايمان
بأن المسيح الذي صلب وقتل على زعمهم هو الاله ويزعمون ان من آمن
بذلك دخل ملكوت الرب فلو ان القوم الذين يسمون هذه التخاريف
والاضاليل عقلاء لا اتخذوا عن هؤلاء الضلال جانبا وكرهوا النظر اليهم
اذ كل ذي ذوق سليم وقلب متيقظ واحساس مدرك وتصوير صحيح تمل
اذنه سماع القبائح والفحش من القول وخرافات المحدثين كما تشأ نفسه
من رؤية الرم ذوات الروائح الكريهة ولكن شبان امتنا الآن بل والغالب
من شيوخها قد فتدوا المزايب الذوقية وألفوا الاقوال والاعمال الممجبة
والخرافات الزيعية واعتادت اسماعهم وابصارهم التلذذ بكل مكروه من كل
مسموع ومنظور لانهم غفلوا عن حكمة النهي الشرعي اذنهاهم الله عن النظر

الى المحرمات وأمرهم بالاعراض عن اللغو من القول وما كان ذلك النهي
والامر الارحمة بأهل الكمال لكيلا يتعودوا الميل الى نقائص القول والعمل
فتقوم الاهواء الى مصارع التهلكة من متابعة الطباع الخسيسة والاعراض
الدنية فتعاصى نفوسهم عن قبول النصائح كما عليه اهل هذا الزمن المشؤم
الآن وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

فيا أيها الاخوان تجنبوا محافل الزيف ما استطعتم فقد سلب الله سبحانه
وتعالى وصف الايمان عن كل من يحابي اهل الضلال ويتودد اليهم بقوله
لنبيه وهو اصدق القائلين (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الى آخر الآية
لأن القلوب لا تميل الا الى من ألفتها ولا تألف الا ما بينها وبينه مناسبة
روحية او جسمية فلو أن منكم المتحققين بحقيقة الايمان لردعوكم عن مخالطة
السفهاء الذين يبيلون بكم عن طريق الرسل الى سبل الفساد وما أكثرثوا
بسوء أحوالهم . ولا يخيبه ما لهم . وقد أشغلتهم الدنيا عما وراء الموت
فأصبحوا كالانعام التي لا تدري العواقب . ولا تشعر بحلول المصائب . ولقد
قست قلوبهم فما هي الا كالحجارة أو أشد قسوة وما ربك بظلام للعبيد

أيها الاخوان تالله انكم لتشاهدون برويا العيين أن الدنيا تقبل اقبال
الطالب . ولكنها تدبر على عجل ادبار الهارب . وانما لا تواصل من واصلته
الا كوصال الملول . وبعد قليل تفارقه كما ترون مفارقة المبعوض العجول . خيرها
يسير . وشرها مسترسل وكثير . وعيشها وان طاب منغص وقصير . لذاتها
ذاهبة فانية . وتبعات تلك اللذات بعد انقضاء الاوقات باقيه . فلا تفرنكم
زخارفها التي هي ملحفة البلايا . ولا تفتننكم زينتها فانها مزبلة الرزايا . وتالله

ما عرفها الا العارفون . ولا تظن لخدعتها الا المتبصرون . فلا يسبقنا يا قوم اليكم الشيطان . ولا تختطفنكم من ايدينا ونحن الحفظة الامناء عليكم هو لا الخوان

أيها الاخوان انكم لتعلمون ان الهادم في عمله هو أسرع من الباني وقد شاهدتم مباني هذا الدين القويم الذي فرغ مؤسسه من تأسيسها منذ الثلاثة عشر قرنا . وما استطاع هادم أن يهدم منه قاعدة ولا ركنا . وقد كان منهم العتاة والفحول فهل يليق بكم وأنتم أهله وذوره أن تعاونوا على هدمه أو باشألا يعرفون كيف يبولون . ولا يفقهون ما به يتكلمون . وما جاؤكم الا بزخرف من القول لا يصفى اليه الا فاقد الذوق الذي لا عقل له ولا دين ولقد أجمع العقلاء من جميع الامم على ان لا كلام أفصح من القرآن ولا ارشاد أوقع في النفوس مما جاء به من الهدي والبيان . فمن بدله بعد ما سمعه فانما هو شيطان مرید . ومن صد عن سبيله فما هو الا من اشرار العبيد . فان كنتم العقلاء فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون . وان كنتم السفهاء فما أنتم الا باعمالكم محاسبون . وهل ينخس من الدواب بين كتفيه الا الحمار . أو يرتد عن مناهج الاعتدال والاستقامة الا اللواما الاشرار أيها الاخوان انكم لتعلمون علم اليقين أن الفضائل والردائل طريقان متضادان وان لكل طريق أهل وبمقدار ما يعلم سالك أي طريق منهما من احوال الطريق التي سلكها وأحوال أهلها يكون جهله بالآخرى وبأهلها وان هذا هو الميزان الحق المعتدل . ولقد علمتم ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكارم الاخلاق وكمال المزايا وما عرف منكم عارف للفضائل طريقا الا بمواصفتهم ونصائحهم وما من عاقل الا ويعلم علم

اليقين . أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما ترك فضيلة الا بينها وأوضح سبيلها
وامر باعتنائها ثم نهى عن ضدها فلو أن هؤلاء السفهاء سلكوا سبيل الفضائل
لعلوا فضل محمد صلى الله عليه وسلم وتبينوا قدره ولكنهم لما سلكوا طريق
الردائل وتجولوا في ميادينها وشعبها كان جهلهم بطريق الفضائل وبأهلها بمقدار
ما علموا من الاخرى فلا يهولنكم ما هم عليه من الجهل والغرور فقد جعل
الله لكل نبي عدوا من المخرمين . وان جهنم لمحيطة بالكافرين

ثم تغير حال ذلك الرجل لشدة الغضب وقال لقد قام هؤلاء السفهاء
فيا بينكم يقولون ان القرآن المجيد الذي تتلونه ما هو الا قصص وانبا ا كتبتها
نبيكم صلى الله عليه وسلم من كتب موضوعة وانه تناول بعضها من مارية
القبطية والبعض من الانجيل المكذوبة المفتعلة ثم جاؤا يسردون كل
قصة جاء بها القرآن ويأتون بمثلا من الانبا القديمة ثم يزعمون أن تلك
الانبا ما هي الا خرافات كانت مسطرة في كتب المخرفين من أهل
البدع الى آخر ما زعموا

وما خجلوا من هذه الاقوال وما فيها من التموهيات والتشيعات فكأنما
يخاطبون انعاما لا عقول لهم ولو أنكم عقلاء أرباب قلوب نيرة وأولوا خبرة
بالدين لتبصرتم في تلك التموهيات تبصر العقلاء ولعلمتم أن الكلام الذي
وسع نطاقه من البلاغة والبيان ما به دونت تلك الكتب الدينية . وفصلت
تلك الاحكام الشرعية . التي سرى عليها العمل من ذلك العهد الى الآن في
العبادات والمعاملات لا يكون منقولاً عن مارية القبطية ولا يتصور عاقل
أنه صدر عن خرافات المخرفين فان كان منكم المصاب في عقله بما أصيب
به هؤلاء المجانين الضالون ووقع عنده هذا المقال موقع الصدق والاستحسان

فليقم على قدم وساق مطالباً ملوك الاسلام بعزل كل قاض ومفتن وهدم
المساجد وتمزيق الكتب الدينية التي لا مصدر لها الا مارية القبطية . وأكاذيب
المخرفين ويكون ذلك قد تفلسف وكان فيلسوفاً كاملاً لان من لم يوافق
عمله معتقده كان منافقاً وزنديقاً

وان كنتم من ذوي الاذواق وارباب العقول وكانت لكم قلوب تفقه
ما يلقى اليها فتبصروا فيما يقولون . وتأملوا فيما يصنعون . تبصر العلماء . وتأمل
العقلاء . ولا تكونوا كشبان التلامذة الذين اصبحوا لا دين لهم الا الفلسفة
المنطقية ولا هم لهم الا تحسين ملابسهم وكلماتهم لتعلموا أن الاعتراضات
التي اقترحوها . والتمويهات التي القوها . والاقوال التي زخرفوها . ماهي الا
ملاعب صبيان . ومشارب فنون وطغيان . والله لا يهدي القوم الظالمين

ولقد تقرر فيما سبق بيانه من العقبات التي سطرت في مبدأ هذا
الكتاب أن موافقة القرآن للانبياء القديمة لا يكون برهاناً على تكذيبه لانه
ما جاء الا بوقائع رسل مع امهم وما كانت الوقائع الا مشهودة ثابتة بتواتر
النقل في الكتب ولقد كانت متداولة بين الامم في الازمان القديمة ثم قال
الله سبحانه وتعالى لنبيه (ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا)
فلو ان فيهم من كان ذا علم بتلك الانبياء لأقام البرهان على تكذيبه وكان
اول مكذب له مارية القبطية ان مال الى غيرها من الازواج

ولو ان الانبياء السالفة او كلت لتكذيب المكذبين لما صح لرسول من
الرسل نبأ ولا صدق سامع ناقلاً ولكن الشهرة والتواتر هما برهان صدق
كل نبأ ومتى ثبت صدق تلك الانبياء القديمة لا يضر بصحة القرآن
موافقتها كما سبق بيانه في العقبات الاول وليس لما قل أن يصدق مكذباً

نبأ من الانبياء القديمة التي صادقتها الكتب الكثيرة وجاء القرآن موافقاً لها سيما اذا كان ذلك المكذب من احدى الطائفتين الخاطئتين الخاسرتين وهل يصغى الى تضليل المضامين الا كل افاك أثم

ثم قال لقد قال لكم أخي هذا وأشار الى المتكلم قبله ان مشرب الفلاسفة ما هو الا تكذيب كل نبأ لا تنصل الى الاحاطة به مداركهم الحسية وانكم تعلمون أن كل ما جاء به الرسل من الآيات ما هو الا خوارق عادات . وما جاؤا من شؤون الآخرة الا بأنبياء غيبية لا تحيط بها عقول القوم الذين حال بين بصائرهم وبين الحقائق الدينية حائل الطيش والغرور وما كان لشيء حق عليه كلمة العذاب أن يهدي نفسه الى معالم الايمان التي لا يهدي اليها الا كل أواب منيب

إذا فلا يسوغ لأي عاقل يجب أن يكون من الناجين . أن يتابع هؤلاء المكذبين ولا أن يصغى الى خزبلاهم ولا أن يأخذ العجب من اصرارهم على التكذيب لجميع الانبياء فقد قال الله تعالى مشيراً الى من كان مدأبه التكذيب (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا)

وسأزيدكم بياناً ان كنتم تعقلون ولكني أحب أن يكون منكم المناقش فيما لا يقع في قلوبكم من البيان . موقع الاستحسان . ليتبين الرشد من الغي فأقول

جاء القرآن قائلين في نبأ أهل الكهف قولاً بليغاً عجيباً عن الايسان بئله الجن والانس وجاء الله سبحانه وتعالى في تلك السورة من الهدى والفرقان بما لا يستطيع الاحاطة برقائقه الا من جعل الله له نوراً فأصبح

هو لاء الضلال على جهالم وظلمة قلوبهم يدعون انها خرافة تحاكي قصة القط والفار فهل من شاهد أقوم شهادة بالحفاقة والجهل على انسان وقد خاطبته بأحسن خطاب من حاله اذا لم يفقه معنى ما خاطبته به ولم يذق لمزاياه طعما فما على العاقل النبيه الا أن يستحضر جميع الكتب السماوية ويقارنها بتلك السورة حتى اذا لم يجد لها مقارنا في المزايا الارشادية والبلاغات المنطقية والمعاني الذوقية. اذا يقول للذين زعموها خرافا انكم لحر مستنفرة

وانه لمن العجب العجاب انكار هو لاء الضلال وقوع تلك الواقعة بلا دليل ولا برهان فهل منهم من عمر من عهد آدم حتى الآن وكانت الدنيا كلها بين يديه لا يعزب عن علمه منها مثقال ذرة حتى كنا نقول ان له الحق في تكذيب نبا مارأى بعينه له واقعة ام منهم من هو رسول من عند الله ثابت النبوة جاء مكذبا لما لم يكن من عند الله أو صرح عيسى عليه السلام في الانجيل بأن أهل الكهف مكذوب كلا والله ما كان هذا ولا ذلك ولكنها ضلالة قوم ظلموا أنفسهم واصرروا على الكفر عنادا واستكبارا لفقدم مزايا العقل والآداب الكالية فصدق عليهم قول القائل

ما العقل الا زينة سبحان من اخلاك منه

قسمت على الناس العقول وكان أمرا غبت عنه

فقام احد القوم مناقشا لاعن جحود وانكار ولكن ليفتح للمتكلم

أبواب البيان والايضاح حتى لا يبقى في نفوس السامعين ما يشتهي من

القول المفيد فقال

ان القوم ما قدموا على تكذيب تلك الانبياء التي اطعموا عليها في
الكتب التي عدوها في مؤلفهم هذا الا لانهم من ذوي الاطلاع العالمين
بجميع انبياء الامم كما تشهد لهم بذلك أقوالهم التي طالعناها فانها أقوال
قوم مطلعين ولو انهم رأوا في كتب التواريخ ما يؤيد صحتها لما أنكروها
إذا فلا برهان لهم الا سعة الاطلاع والخبرة وان في ذلك لغنية عن كل
دليل وبرهان

فقال ذلك الرجل لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقلب كفيه
متعجبا وترنم بقول القائل

كل من في الوجود يطلب صيدا غير ان الشياك مختلقات
ثم قال يا هذا أما فهمت مما سبق من القول آنفاً أن للناس مشارب
وقد علم كل أناس مشربهم وان كل سالك طريق يكون جله بغيرها
بمقدار علمه بها فلو أن أهل الدنيا وصلهم من نبي الآخرة شيء لآذروه
وانكروه ومقتوه. كما ان اهل الآخرة كذلك الا ما يكون مصلحا لآخرتهم
وهلا تبينت من تكذيب هؤلاء القوم القرآن الذي هو اقوم قيل
وافصح كلام سمعه السامعون من عهد آدم الى الآن ما هم عليه من الفتور
والهوس افلا تدرك كثرة اطلاعهم ومطالعتهم في الكتب التاريخية على
ضياح اعمارهم وعقولهم أو ليس في شؤون الانسان الوقتية. وفي الحوادث
الحالية. ما يكفي المعتبر في كل زمن ويغنيه عن مطالعة حوادث الازمان
الآخر ان كان المراد بالاطلاع هو التبصر والتدكار فهلا تحققت من
تفنن الفنون. في الجنون بكل مجنون. من هؤلاء الضلال انهم قوم مفتونون
لا عقول لهم اما علمت ان هذا المصرع الوخيم هو الذي زلت فيه اقدام أهل

الزيف والزندقة في كل زمن لتفرق سبل الاطلاع بهم الى الغايات النفسانية
وهل يجد الباحثون عن أصل فساد العقائد لذلك من سبب الا زخرفة اقوال
المؤرخين . من فلاسفة المتقدمين . لان قاصر الذهن قليل الزكاء . كلما طالع قولاً
مزخرفاً وقع في قلبه موقع الصدق والعجب لظنه ان القوم الذين سطرخوا
تلك السطور ما كانوا الا علماء أمناء وأهل ارشاد وبيان وما تفضن الى أن
في كل أمة من الامم قوماً مذبذبين قد نصبوا لايقاع القلوب في مهالك الزيف
شراك السفسة والاضاليل المزخرفة التي لا يستد سماعها أو مطالعتها الا
ارباب القلوب المظلمة الذين لا يلتفتون الى سواها ولو انهم تحولوا عنها الى
اقوال المهتدين لما ضلوا ألا ترى يا هذا ما عليه شبان هذا الزمن الذين أزاغ
الله قلوبهم وراء الفلاسفة منهم اذ هجروا كل كتاب ديني . وكل مؤلف
صوفي . يرشد الى الهدى وسبل النجاة واعتنقوا خزعبلات أهل الزيف ليكون
لهم الحظ الاوفر في تحسين الاقوال . وتزيين الاحوال . التي حكم الشرع بأنها
اسوأ حال توردد صاحبها النار وبئس الورد المورود

ثم قال يا هذا أرأيت ان جاءك رجلان مختصمان في نبأ من الانبياء
التي مضت على وقائعها الدهور . أحدهما يدعي صدق ذلك النبأ والآخر
يدعي أنه مكذوب وما وجد احدهما شاهداً يشهد له بروية واقعة ذلك
النبأ وقال مدعي الصدق ان برهاني على صحة دعواي هو تصديق الخيار
من سألني الامم لذلك النبأ

وقال مدعي الكذب ان برهاني على أنه مكذوب اني رأيت مسطراً
في بعض كتب خرافية فماذا يكون فصل الخطاب في هذا الشأن واي
حكم تراه صواباً ان كنت أنت الحكم بين هذين المتخاصمين

فقال المناقش ان الحكم بينهما لا يجدر مستندا يستند اليه في حكمه
الا المطالبة باقامة البراهين . على سلامة احوال الناقلين . لذلك النبأ ومتى
كان متداولاً عن قوم صادقين لا يزري به وجوده في كتب لا يعتمد بها
فقال الرجل للمناقش ومن أي طريق تكون معرفة احوال الناقلين
مع تقادم الزمن ومضي الالوف من السنين . فقال من طريق الشهرة
والتواتر . فقال الخطيب هذه هي ضالتنا التي اشدناها . وفي حكمك أيها
الحكم العدل وجدناها . فما في الكون من شهرة وتواتر جاء بها النقل الصحيح
المؤيد بجنود البحث والتدقيق أقوى شهرة من القرآن وصدق من تواتره
ثم قال يا هذا ان استشهاد هؤلاء الضلال على تكذيب القرآن بقصة اهل
الكهف وتسميتها خرافاً لمن عمل المهائيل الذين لا يتعاشون قبيحاً من
الاعمال تدعوهم اليه أهواؤهم وان العاقل اذا تتبع ماجاؤاً به في هذا
المؤلف من تكذيب كل الانباء لا يجدر لهم مثلاً الا حال فخور كاذب كما
ذكر له نبأ كريم من ذوي الوجاهة والجاه عابه بما ليس فيه من العيب
وزعم أنه ليس بمعدود في أعداد الافاضل من الرجال حتى عاب كثيراً من
الكرام وما زكي منهم من احد ولما سئل عن الخيار كيف يكونون قال
ليس من أفاضل الناس الا أنا وأضرابي . وهنالك اتقسم الحاضرون الى
قسمين فمنهم العقلاء ومنهم الاغبياء فاما العقلاء فقد أضحكهم حال هذا
المحرور الاخرق وسخروا منه وتركوه يلهث كما يلهث الكلب المكلوب
واما الاغبياء فمعظم ذلك المغتورون في أعينهم وظنوه رجلاً لجلهم بمزايا
الرجال كما جهل شبان هذا الزمن مزايا محمد صلى الله عليه وسلم فظنوا ان
هؤلاء الضلال كلاماً معقولاً والله لا يهدي كيد الخائنين

ثم قال أيها المناقش لقد عاش محمد صلى الله عليه وسلم بين قومه زمناً طويلاً طفلاً وصيباً . وفتي ونبياً . إلى أن فارق الدنيا . والتحق بالرفيق الأعلى وما نقلت عنه كذبة واحدة وهذه هي أحاديثه قد اجتهدت أمته من بعده في جمعها وضبطها بغاية الدقة والتحقيق كما تشهد بذلك كتب الأحاديث وصحف التواريخ ولو أن له من هذا القبيل واحدة من الكلام لا تأتي بها هؤلاء الضلال . وما زعموا أنه كان كاذباً إلا في القرآن الذي علم قومه علم اليقين أنه من عند الله ولو أنهم علموه كذاباً لما صدقوا قرآنه فهل لعاقل أن يتصور أن رجلاً عاش صادقاً معروفاً بالصدق والأمانة يأتي قومه بخرافات كانوا يعلمونها ثم يسميها قرآناً ويدعي أنها مساوية ثم يصادقونه على ذلك ولا يهتدي إلى تكذيبه إلا قوم ضالون جنونا جنونا بعد ثلاثة عشر قرناً هذا هو الضلال البعيد

إذا فالذي يهتدي إليه الفكر السليم هو أن ما أورده هؤلاء الضلال في تكذيب قصة أهل الكهف قد جاء بمائدة معقولة ألا وهي أنهم قد أوقفونا على حقائق كنا نجهلها من قبل منها أن الديانة المسيحية لم تظهر بمظهرها الذي ظهرت به الآن إلا بعد موت المسيح بزمن قدره بمقدار من السنين يبلغ عدده أربعماية وسبعمائة وأربعين سنة وقد كانت ظهورها من قبل بمظهر آخر لانهم قالوا إن الناس قبل ذلك الزمن كانوا يرون الصليب علامة العار . والاحتقار والشنار . فعلمنا من ذلك أن أمة المسيح الحقيقيين ما كانوا يعتقدون الصليب لأنه لو كان حقيقياً لكان الصليب أحق بالاحترام في مبدأ الدين عند انتشار الحواريين في الاقطار فمن كان ذا عقل وافر ونظر ثاقب يعلم علم اليقين إن أمر الصليب ما هو إلا من

المخترعات الباطلة وان القرآن ما كذبه رجماً بالغيب وما جاء في أمره
الا بالحق ومن الحقائق المستفادة أيضاً أن الانجيل مبذل لدعواهم ان الانجيل
الصحيحة لم تأت نبياً مما جاء به القرآن فاثبتوا بذلك ان الانجيل لا ينبغي
التصديق به الآن لاننا لانعلم اي الانجيل اصدق وهذه الحقيقة هي
التي طال البحث عنها والاختلاف فيها بين الامتين وكلما برهن المسلمون
على حصول التغيير والتبديل فيه صادهم المسيحيون بأضاليلهم كما شاهدناه
في كتاب منار الحق وغيره من مدونات الاباطيل التي ابتدعوها الآن
ومنها انهم اثبتوا ان اصل انتشار الديانة المسيحية بسرعة ما كان الاسبب
المخترعات الباطلة لانهم ذكروا أن الذي اختلق قصة اهل الكهف ما قصد بها
الاضلال ولكنه قصد بها تعصيد الديانة المسيحية ليظهر للناس انها انتشرت
انتشاراً سريعاً بنعمة روح القدس كما قالوا فما كان حالهم فيما جاؤا به الا
كحال الاحمق الذي كلما وقع الذباب على وجهه لطم نفسه ليدود القباب
عن وجهه حتى صادف اللطم عينه ففقأها فانهم ما تعرضوا لتكذيب الانبياء
التي ذكروها الا ليتوهم ضعفاء الايمان وسخفاء العقول ان مصدر الدين
الاسلامي خراف كما زعموا فما تلوثت الا أوثانهم بما حملوا من قدورات
مرضى قلوبهم الا سحقاً للقوم الظالمين

الا ينجل هؤلاء الضلال وتسود وجوههم من الايمان بهذه التهميمات
الباطلة يسوغ لما قل أن يكذب كتابا اجمعت امة عظمى على أنه من عند
الله وضرب امام جليل بالسياط في دولة المأمون ليعترف بأنه مخلوق
وسجن طويلاً وما تزحزح عن الحق ولا تحول عن اجماع الامة . ولقد
جاء هؤلاء المكذبون على صدق دعواهم ببرهان كاذب وهو قولهم انهم يعلمونه

أن تلك الانبياء مكذوبة وأن قصة أهل الكهف مذكورة في كتب اليونانيين
ويرزعون ان ذكرها في تلك الكتب دليل على أنها من الخرافات التي
تشابه قصة القط والغار أليس هذا القول من البراهين الدالة على ان هؤلاء
الضلال لا يميزون بين الحق والباطل ولا يعلمون ما هو البرهان لأن تكذيبهم
للكتب اليونانية محتاج الى براهين تؤيده وان لم توجد تلك البراهين
كان باطلا وكانوا كأنهم يؤيدون الباطل بالباطل وهكذا يكون عمل
المجانين الذين لا يخافون لومة لائم

ثم قال قام هؤلاء الضلال ينكرون كل نبأ جاء به القرآن من انبياء عيسى
عليه السلام ولكنهم لم يذكروا سببا حاملا لمحمد صلى الله عليه وسلم على نقل
هذه الانبياء وجعلها قرآنا فهل كان يدعو الناس لدين المسيح وقام يقوي
اعتقادهم فيه بأنه اله او ابن اله حتى ذكر له معجزات لم تكن أم لا ي سبب
كان ذلك منه أليس لما قل أن يقول ان هؤلاء الضلال لا عقل لهم اما
علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما نهض تلك النهضة في ذلك الزمن سواء
قلنا انه رسول أم لا الا لتكذيب ما اعتقده المسيحيون في عيسى عليه
السلام وما كان يدعو الناس الا الى الله وحده فما كان الحامل له على
الكذب والتغالي في شأن عيسى اذا لم يكن جاء بتلك المعجزات الصحيحة
ولقد فتحوا للمسلمين أبوابا لمجادلتهم في ديانتهم لأنه يسوغ الآن
للمسلمين أن يقولوا لقد كنا نصدق بنبوة المسيح وبرائة أمه لشهادة القرآن
لها واذ كذبتهم القرآن فما علينا الا أن نلزمكم باثبات امر المسيح فانا نري
اليهود لا يؤمنون به وقد كانوا قبلكم في الدين وشهدوا وقائمه كما لا نقركم
على صحة انجيل من الاناجيل التي تدعونها فان كل الاناجيل أمثال وما جاز

على أحد المثلين يجوز على الآخر

فيا أيها العقلاء ما لكم لا تعقلون . ويا أيها الفقهاء ما لكم تفقهون
ويا أيها العوام ما لكم لا تبولون . على هذه الأذقان التي طالت واستطالت
وجاء أربابها يكذب بعضهم البعض فطورا يقولون ليس في الإنجيل تغيير ولا
تبديل وتارة يقولون الانجيل كلها مكذوبة الا أربعة وطورا يزعمون
أن عيسى اله قادر وآخر ينكرون أنه تكلم في المهدي وأنه ما جاء أمه بالربط
من نخلة يا بسة الى غير قليل مما أنكروه وما كان انكاره أو اثباته يحدث
ضرا ولا منفعة في الدين الاسلامي لانا سنتكلم على صحة هذا الدين القويم
وصدق الرسالة وثبت نسبة القرآن الى الله بما يشفي الغليل . بعد استقصاء
أقوال هؤلاء المضلين والله يقول الحق ويهدي السبيل

ثم قال لقد جاء القوم الفاسقون ينكرون كل نبأ غيبي من انباء القيامة
وما كان ذلك منهم الا لانهم هم الكافرون وطالما نددوا على ما حكاه
القرآن عن اصحاب مريم الذين قالوا لها (يا أخت هارون ما كان أبوك
امراً سوءاً وما كانت أمك بغياً) وقالوا ان بين موسى وبين مريم ما يزيد عن
الف وخمسة مائة سنة أما علموا بأن المفسرين قد جاؤا في معنى هذه الآية بما
يداوي القلوب التي أمرضها الانحراف عن سبيل الرشاد وطالما نادى المسلمون
على هؤلاء الجهلاء بما يدافع أو هامهم وظنونهم التي توهموها في معاني آيات
القرآن وكأنما ينادون جمادا لا يعقل او اصملا لا يسمع او جهولا لا يفقه
او مصرا لا يرتدع عن المخالفة وان اقرب عهد بذلك النداء لصاحب كتاب
الفاصل . بين الحق والباطل) اذ قال لمجاهد المدعو بجنا مقارما نصه انك
نسبت البنا اعتقاد ام المسيح اختا لهارون وموسى وما عندنا ريب في ان

ام المسيح انما هي ابنة عمران ابن مازان ابن صادق ابن العازر الى ان وصل
بنسبها الى ابراهيم عليه السلام

ثم قال واما مريم اخت موسى فهي ابنة عمران ابن فاهت ابن لاوي
ابن يعقوب ابن اسحاق . وما كان قول القوم لها يا أخت هارون كما حكاه
الله سبحانه وتعالى عنهم الا تويخا كما قال المفسرون اما من طريق الاستهزاء
والسخرية تشبيها لها بهارون النبي في صلاحه وعفته فكأنهم يقولون لها كنا
فظنك كهارون فلماذا فعلت هذه الفعلة واما من طريق الشتم والسب بتشبيها
برجل شقي فاجر يسمى هارون معروفا بينهم بالاوصاف الذميمة فليعجب
المتعجبون من كثرة تكرار التعريض بهذه الآية في كل ما جاء به هؤلاء
الضلال من الكتب لاعابة القرآن مع ما سمعوه وعلوه المرار العديدة من
تلك الردود وما ذكره المفسرون

على انهم لو كانوا قوما عقلاء لما تعرضوا لهذا البحث الذي لا يتردد
اليه بعد البيان الاهل انكسرة والجدل . ولو انهم كانوا الا يظنون بالله
ظن السوء لما استبعدوا على قدرة الله شيئا اذ مقتضى الظن الحسن ان السامع
لتلك الآية اذا لم يكن ممن يعلمون ان هناك عمران غير عمران موسى كان
الواجب عليه ان يقول ان قدرة الله لصالحة لان تطيل عمر عمران ابي موسى
وزوجته الى امد بعيد حتى تأتي بمريم في آخر عمرها ثم تعيش مريم عذراء
حتى تأتي بالمسيح سيما وقد كان الغالب على القدماء طول المعيشة الى الف
سنة فما فوق

فهل من جهل فوق جهل هؤلاء المجادلين الذين لا يعقلون ولا يحسنون
الظنون بالله ولقد طال جدلهم بعد ما تبين لهم من هي مريم ومن ابوها

باقوال كثير من العارفين . وما كانوا خجلين ولا مستسلمين والله لا مهدي
القوم الظالمين

وان من العجائب انهم ذكروا قاعدة يجب اتباعها في تصديق الانبياء
وتكذيبها ألا وهي انه يلزم البحث عن صفات كل ناقل لنبا وعن خلاله
وعن صحة حاله . وضبط اقواله . ثم شهدوا على اخوانهم المسيحيين الذين كانوا
اقرب عهد منهم بالمسيح انهم كانوا مخرفين ومبتدعين وانهم افترروا اناجيل
كاذبة كانت دعائمها اعتقادات فاسدة وبدعا خرافية . وكفى بهذه الشهادة
دليلا على بطلان دينهم الآن . لاننا لو جئنا نقابل بين الامة بين ائمتين أعني
امة المسيح عليه السلام وامة محمد صلى الله عليه وسلم لوجدنا امة المسيح
بأجمعها لا تعادل في الامانة وصحة النقل رجلا واحدا مثل الامام البخاري
الذي سافر شهورا لنقل حديث نبوي عن رجل اشهر أنه ذو امام بذلك
الحديث فلما وافاه وجده يحمل فولا يحركه بيده لسمع حماره المنطلق
حركة القول فيأتيه ليا كل فيتمكن من القبض عليه فرجع من طريقه قائلا
انه تمحايل لا يسوغ لناقل ان يثق به فهل من عاقل له أدنى احساس يميز
بين الغث والسمين فيتأمل حال هؤلاء الضلال الذين عابوا محمدا صلى
الله عليه وسلم وعابوا دينه وعابوا كل كتاب وردت فيه انبياء توافق انبياء
القرآن . من مبداء الدنيا الى الآن . وجاؤا مكذبين لكل نبا وكلما اوردوا
نبا قالوا انه عن قوم مخرفين مبتدعين فليت شعري ما حال هؤلاء القوم
وما خصالهم وما مزايهم في النوع الانساني اظن ان كل عاقل لا يجد في
نفسه ريبا من انهم اشر الناس حالا وما لا بمقتضى القاعدة التي ذكروها
لاننا ان تتبعنا سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لما وجدنا له في حسن اخلاقه

معادلا في الوجود وقد عابوه اذا فما عابوا من الامم السابقة من المؤرخين
في مؤلفهم الا قوما صالحين

وما كان لنا ان نثق بأى نبا من انباهم سواء كانت من التوراة
او الانجيل أو غيرها لسابق شهادتهم على اسلافهم وشهادة الله سبحانه
وتعالى على اهل الكتاب وشهادة موسى عليه السلام عليهم

وما كان لنا أن نسي الظن بالمؤرخين ولا بأنباهم الا اذا تحققنا
انهم فلاسفة مضلون ممن يتصنعون الاقوال لافساد الاحوال لظنهم انهم

لا يحاسبون عليها وانكارهم حقيقة قوله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد) ولقد اقتفى هؤلاء الضلال آثار اسلافهم وسنة امثالهم وقد
كان من تليسيهم الحق بالباطل انهم يستشهدون بالقرآن على صحة حال
المسيح من طريق ثم يكذبونه من طريق آخر (فويل لهم مما كتبت
ايديهم وويل لهم مما يكسبون)

ومن العجب انهم ذكروا أن نبا مريم مع النخلة ورد في كتب
كثيرة غير القرآن وما اعتبروها صادقة مع كثرتها وشهرتها فكيف انهم
يسوغ لهم أن يازموننا بتصديق قليل اقوال متصنعة لاشهرة لها جاوا بها
شاهدا على التكذيب أليس هذا جهلا مهلكا وجدلا باطلا ومحض تحامل
لا يعتمد به ان هذا لهم الضلال البعيد

ثم كان من اقوالهم التي استدلوا بها على تكذيب تلك الكتب وتكذيب
القرآن ان يوحنا في اصحاح ٢ وآية ١١ قال ان المسيح لم يأت
بمعجزة في طفولته ولم يأت بمعجزة الا بعد ان بلغ من العمر ثلاثين سنة
الى آخر ما قالوه وهذا القول وان كان صادرا عن جهل من هؤلاء القوم

بقول يوحنا لأن مراده بالمعجزة كل عمل جاء مثبتاً لرسالته فكان آية من
الله لتأييده ونصرته فلذلك لم يعتبر ما كان منه قبل التبشير والا نذار
وتبليغ دعوة الله معجزة . ولكنه نفي نسبة الألوهية اليه وكذبهم أيضاً في
دعواهم أنه كان ذاتاً قديمة قبل حلوله في بطن مريم فليأمل المتأملون في
جهل هؤلاء الانعام التي كلما جنتها بما يحفظ عليها الحياة نطحتك بلا قرون
(ان هم الا كالانعام بل هم أضل)

ولقد زعم القوم أن نفي الصلب عن المسيح لا موضع له من الصدق
واستشهدوا بأن الحواريين كانوا شهوداً عند الصلب وانهم في ذلك القول
لكاذبون لأن الانجيل يقول انه ماشهده عند الصلب الا امرأتان وتلميذ
واحد كان يجبه وما كان ذلك التلميذ من الرسل الذين زعموا
أنهم تنبأوا بصلبه من قبل فلم نعلم من الصادق في أنبائه منها فان
كان الانجيل صادقاً فقد كذبوه كما داتهم وتكذبه يكونون كفاراً ولا
ندري بأي حال من الاحوال يقتنع المكذب اذا كنا قد علمنا علم اليقين
أن المسيح جاء اليهود بآيات بينات وما صدقوه وموسى جاء بما جاء به
وكذبوه فكأنما لم يوجد الله بني اسرائيل الا لكفران نعمه وتكذيب
رسله والله لا يهدى القوم الظالمين وكأنهم هم الذين عناهم بقوله لابراهيم
عليه السلام (لا ينال عهدي الظالمين) حينما قال (رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي) وعلى هذا يكون كل مكذب مصر على تكذبه لأني نبأ
من الانبياء اسراييلي الاصل ولذلك كان من الحكمة حديث تحيروا لظنكم
فان العرق دساس

وأما انكار هؤلاء السفهاء تبشير الانجيل بنبوة محمد صلى الله عليه

وسلم وتصور يلهم لفظ البار قليط أو الفار قليط الى معنى غير مدلوله الحقيقي وقولهم ان العرب ربما غلطوا وتشابه هذا اللفظ عليهم الى آخر ما زعموا فما ذلك الا من باب المغالطة والمكابرة في الجدل وانه هو التحريف الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله (يخرفون الكلم عن مواضعه) ولكن كل ذي ذوق سليم يفهم مواقع الخطاب لا يلتبس عليه الامر بتوهمات هؤلاء الضلال اذ لو لم يكن ذلك القول صادقا لما نزل به القرآن على أمة كان الكثير منهم مسيحيين ويهودا ولئن كان القرآن مفترى لخلج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك القول الذي افتراه على كتابين واهلها يهود يسمعون وما كان اصرارهم على الانكار الا كانكار عبدة الاوثان الوهية الحق سبحانه وتعالى وعبدة الفيل مثلا مع وضوح آياته وبراهين ألوهيته وكانكار اليهود نبوة المسيح وكانكار الفلاسفة كرامات الاولياء وما قصد هؤلاء الضلال بذلك الجحود الا تكذيب الكتاب وتكذيب الذي أنزل عليه ولو أن القرآن لم يأت بذلك لما أنكروه بل كانوا يعترفون به اعترافاً كاعتراف اليهود بالمسيح المبشر به في التوراة ولكنهم يقولون انه ليس هو هذا بل هو مسيح لم يأت زمنه وكذلك كان قول المسيحيين لو لم يأت القرآن بما قال وما ذلك الا لانهم قوم لا يمتقلون اذ التبشير بالانبياء قبل ظهورهم لم يكن شرطا في صدق النبوة ولا في صحة النزول حتى يلجئهم العناد الى جحود الواضح البين (ولكن الظالمين بآيات الله يجهلون) ثم انه من الجهل المهلك انكارهم موت المسيح بعد نزوله في آخر الزمن لزعمهم أنه اله لا يموت وما مات عند الصلب الا جسده البشري وهذا هو الحراف الذي حاكى حديث أم عمرو اذ قال لها الشاعر (حديث

خرافة يا أم عمرو) لانهم لو أصر واعلى أن المسيح كان الها ونزل لاجل أن
يصلب ويتخلص عباده من الخطيئة نقول لهم ما سبب نزوله مرة أخرى
وبأي حال ينزل اذا كان جسده الذي نشأ فيه النشأة الاولى قد فني كما
فني الاجساد فان قالوا ينزل بجسد بشري غير الجسد الاول نقول لا بد
له من الفناء بعد نزوله وكذلك ان كان الجسد الاول هو الذي صعد به الى
السماء لان كل جسد بشري لا بد من فناءه وان طال أمده اذ النشأة الآخرة
لا تسع الاجرام الاولى الا بعد تبديلها بالفناء واعادتها نشأة توافق الشؤن
التي تكون عليها بعد الاعادة وان قالوا انه كان جسدا لا كلاجساد
نقول لماذا تمكون بأنه مات بالصلب والقتل وتختلفون القرآن الحكيم
وان احتجوا بما نقلوه عن رؤى يابوحنا من قول المسيح في الاصحاح الاول آية
١٧ ١٨ (انا هو الاول والآخر والمي وكنت ميتا وها انا حي الى أبد
الآبدين ولي مفاتيح الهاوية والموت) كما زعموا نقول انكم اذا افني ضلال
مبين لان سياق هذا القول يقضي بأنها رؤى شيطانية خرافية لا ينبغي أن
يعارض كتاب حكيم منزل بمثلها اذ قوله انا الاول والآخر يناهني انه ابن
مريم وانه يموت بالصلب وان قلتم انه كان ذاتا قديمة نظابكم بالبرهان
العقلي فلا تجدون له سبيلا وان قلتم انه هو الآخر لانه سيعود كرة أخرى
نقول لقد أحبي به الله أمواتا وأماتهم بعد ما أحياهم اذا فليس عوده
وموته بعد العود بعيد ولا يخفى أن قوله كنت ميتا وها انا حي الى أبد
الآبدين دليل على أنه ليس باله وليس بقاؤه في الأبد الاكباتي الارواح
الباقية اذ لا فناء في القيامة ولا فيما بعدها وأما قوله ولي مفاتيح الهاوية
والموت فهو قول عجيب لاننا لم أنه به شرحة فلماذا لم يكن له مفاتيح الجنة

وهل للموت مغاتيح . أو المعنى أن الموت بيده لا بيد عزرائيل إذا يقال
من الذي أماته وقد كان يحيي الموتى والله در القائل
عجبا لعيسى كيف مات وطالما قد كان ينشرنا من الاجداث
ماذاك الاكي يكون مبرأ مما رمته به يد الاحداث
يريد أن موته حجة له علي قومه الذين زعموه الها فبراه الله بالموت
مما قالوا ليعلموا ان الذي كان يحيي ويميت هو الحي الذي لا يموت ولقائل
ان يقول ولمن تكون الهاوية وقد صلب نفسه لتخليص النوع الانساني
إذا فلا هاوية (كلا) ان القوم اني شك مرئب وما ذلك الاجلهم بعظمة
الالوهية وانا والله لو قارنا بين عباد الوثن والقبيلة وغيرهم من الفرق الضالة
وبين المسيحيين لوجدنا المسيحيين اجمل جميع الفرق الهالكة بمرتبة
الالوهية لان جميع الفرق انكروا وجود الاله فكانوا كالاغصا الذي
لا يبصر شيأ فليس لاحد أن يقول له تعالى حتي أريك هذا الشي مع
علمه بأنه فاقد البصر واما المسيحيون فمنهم المبصرون ولكنهم كالتعاطي
شيتا من الحشيش اذ يختلف تصوره باختلاف مقادير ما تعاطاه من المخدرات
فتارة يرى الجمل جديا وتارة يرى الجدي جملا وذلك هو الجهل المهلك فلو
انهم كانوا عميا لكان خيرا لهم من الحزبي والحجل يوم القيامة اذا جمعهم
الله سبحانه وتعالى ثم أتى بذلك النبي الكريم شهيدا عليهم وقال له أنت
قلت لهؤلاء القوم اتخذوني الها فيتبرأ اذ ذلك منهم ويقال للزبانية سوقوا
المجرمين الى جهنم زمرا حتي اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال لهم خزتها
ادخلوها خزايا فبش مشوى المبشرين ومن تبعوهم من الجهلاء الضالين
وان من الحزبي الذي يحاكي هزبي المرضي لقولهم ان قوله تعالى (كل

نفس ذائقة الموت) مبني على قصة أخنوخ وإيليا وأما موت المسيح بعد رجوعه فنشوه جهل أصحاب البدع الى آخر ما جاؤا به من الهزي ولقد أصبح حال هؤلاء الضلال في هذا الهزي والهجس كحال مجنونة أو مجوز مخرفة ردت الى اردل العمر فأضحت لا تعلم بعد العلم شيئاً لانه من المعلوم الضروري أن كل ما سوى الله لا بد من موته فإمعني لتعليق الآية الشريفة على قصة أخنوخ وإيليا وما معني تعليق الآيات القرآنية التي تنزلت من حكيم خبير يعلم ما في السموات وما في الارض على أنباء المتقدمين قبل اذا جاء عاقل بنبأ صادق ببيان واضح ثم فصله تفصيلاً لانه أبصره ووعاه ينبغي لمن سمع بذلك النبأ من قوم ظن انهم من الكاذبين أن يقول له انك كاذب لأنني سمعته من فلان الكاذب كلال ان الظالمين اني ضلال مبين وويل ثم ويل لمن لا يخاف ولا يستحي

ومن هذا القبيل انكارهم قصة خلق آدم كأنهم كانوا شهداء اذ خلقه الله وقد زعموا أن منشأها أقوال مرقيون وزعموا انه يوناني من أصحاب البدع فكان كل مؤرخ عندهم مبتدع ولقد أصبحوا وما لهم من شبيه فيما يقولون الا الفساق الذين يظنون كل ذات زينة ياغية خاطئة ولقد جاؤا في هذا المؤلف من نخس القول والغيبة وتجريح الاعراض بما لم يسبقهم به شيطان مر يد ولا سفية من السفهاء . ولا اي معتمد من أهل النبي والعدوان وسيوفهم الله من الحزبي والخذلان في الدنيا ومن العذاب في النار نصيبهم غير منقوص

وذلك لان كل جري . يتجاري على انكار ما لم يحيط به علماً لاجزاءه
الا الحزبي والخذلان والعذاب المهين . وانه لمن القواعد الثابتة عند العقلاء أنه

لا يجوز انكار امر مقيد الا اذا عارضه قول من الاقوال الثابتة الصحيحة
وما جاء هو لا الضلال من أقوال المسيح ولا من كلمات الكتب السماوية بما
يعارض الاحاديث التي اوردوها أو يناقضها بل جاوا بما يؤيد صحتها لأن
الاقوال التي أتوا بها لمشايتها للقرآن لم تكن كما زعموا خرافية ولكنها
أقوال منقولة عن انبياء نبوية اذ من المعلوم أن الانبياء والرسل ما خلت
منهم الارض الا بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء منهم من رسول
ولا نبي في قصة خلق آدم بما يكذب هذه الاحاديث التي اوردتها هو لا
الضلال وما زعم زاعم أن الله خلق آدم من مادة غير اديم الارض فما هي
الوجهة هو لا المنكرين في انكارهم مع أن ارباب العقول النيرة لا يعقلون سبباً
لاختلاف أخلاق افراد هذا النوع البشري غير اختلاف مواد وجوده
الارضية التي أشار الله سبحانه وتعالى اليها بقوله (والله أنبتكم من الارض نباتاً
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخرجاً) وقوله (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة أخرى) فلو أن خلق هذا النوع كان من قطعة واحدة من
الارض امينها الله سبحانه وتعالى وخصها بالذكر في تنزيهه وكان متحد القوابل
اذا فلا وجهة لمنكر ما لا يعلم على من يعلم أو على من ادعى انه يعلم الا اذا أصبح ذلك
المنكر على بينة من العلم فوق ذلك المدعي وما جاء من رسول بعد محمد صلى الله
عليه وسلم يكذبه فيما جاء به مما يماثل تلك الانبياء فلا يكون تكذيبه الآن والانكار
عليه من هو لا المنكرين الا ضرباً من ضروب الطغيان والسماجة ولا يكون
الاحتجاج على تكذيبه بموافقة أقواله اقوال المتقدمين وان كانوا مبتدعين الا
من قبيل السفسطة والزندقية الجذلية فلو أنهم كانوا عقلاء لا تبعوا قوله تعالى (ولا
تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسوئلاً)

ولو أنهم عقلوا حكمة تساط عزرائيل على الارض دون غيره من الملائكة
لما ضلوا عن سبيل التصديق واتبعوا مناهج الجحود والانكار فما كان الذي
كان من الملائكة قبله الا كما كان في عرض الامانة التي اشار الله اليها
بقوله (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) يشير سبحانه وتعالى
الى انه لم يوجد من له قابلية واستعداد لحمل الامانة غير الانسان وكذلك
لم يكن في الملائكة من له قابلية للتسلط على النوع البشري غير عزرائيل
كما انه لم يكن في الناس من له استعداد وقابلية لانكار رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم والاقدام على هذه القبائح المهلكة غير القاسية قلوبهم ذوي
الغلظة والفظاظة الذين طبع الله على قلوبهم وأولئك هم وقود النار
واما كلامه هو لا الضلال على الانبياء الغيبية التي ستكون بعد الموت
فما هو الا اقوال مستهجنة ما صدرت الا عن قرائح لم يكن لها في طريق
الجد مجال لان كل ذي عقل سليم يعلم علم اليقين انه ما من رسول ولا نبي الا وقام
يحذر قومه أهوال القيامة وكل يقول ان يوم القيامة هو يوم الإدانة ويوم
البعث والنشور ويوم الحساب ويوم العقاب ويوم الفرع الا كبر . ولقد
اجمع الرسل وجميع العقلاء على ان الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مثالا
للاخرة بمعنى ان حال اهلها كحال النائم الذي يشاهد كل ما رآه في رؤياه بعد
اليقظة وكما انه لا مناسبة بين الحالين الا في ادراك الحس المعنوي فكذلك
يكون الامر هنالك بمعنى انه كما ان طريق الشرع التي هي الدين ذات
ضيق واعتدال فيميل لغيرها الا الاشقياء الاشرار وانها هي الصراط
المستقيم ونهايته الكمال والوقار ورضوان القلوب . فكذلك يجعل الله فيه

القيامة صراطا على متن جهنم لا يسلكه بأمان وأطمئنان الا من كان مستقيما
في الدنيا واما الذي كان معوجا فتكون عثراته بقدر اعوجاجه . وكذلك
الموازن فقد جعل الله سبحانه وتعالى ميزانا شرعيا يتميز فيه حال اهل
الثبات واليقين من احوال اهل الطيش والغرور ألا وهو الآداب الكمالية
فكذلك الموازين يوم القيامة وكما ان الراجح لا يتميز من الطائش في الدنيا
الا بنقل احدي كفتي الميزان وطيش الاخري فهكذا يكون الوزن يوم
القيامة غير انها تختلف في الحقائق لاختلاف النشأتين وكان الله على كل
شيء مقظرا

وليس التصديق والتكذيب في أنباء الآخرة معلقا على مطابقة المعقول
للمقول حتى يقال ان انباء القرآن ما كانت الا تابعة لخرافات المخرفين
التي لا يتصورها العقل كما زعموا . كلا . ولكن صحة التصديق لتلك الانباء
قائمة لصحة صدق الرسالة ليس الا لانها أنباء غيبية لا يؤمن عليها الا من
ثبتت أمانته وكان موثوقا به في جميع اقواله وأعماله ولقد جاء محمد صلى
الله عليه وسلم يدعي الرسالة بين قومه كما ادعاها عيسى وموسى والنبيون من
قبله وصدقوه وصدقوه من بعدهم المتابعون فلو اننا فتحنا على النبوة أبواب
الجدل الآن على النبيين لما كان لاسحاق عليه السلام اليوم من قدم ثابت
في طريقها . وكذلك يعقوب وكثير من الرسل الذين لم تكن لهم امم موجودة
الى الآن ولكن محمد صلى الله عليه وسلم هو أثبت الرسل قدما في طريق
الاثبات العقلي والنقلي ومن انكر رسالته فقد انكر كل رسالة لكل رسول
ومثي صح انه لا قدرة لمنكر على اقامة برهان على تكذيبه الا من طريق
المكابرة والمغالطة فلا يكون الشك في صدق أنبائه الغيبية الا مرضاهلها

وزيفا أوجده استعداد المنكر الشقي الذي طبع الله على قلبه وختم على سمعه
وبصره وما كان لعاقل أن يتصور في حال من كان هذا حاله غير الجنون وما
كان لنا أن نواجههم الا بما امر الله به نبيه في قوله (قل موتوا بغيظكم ان
الله عليم بذات الصدور)

وأما قولهم ان الآيات الواردة في القرآن الحكيم في شأن الميزان
مأخوذة من كتاب يقال له عهد ابراهيم وانه منسوب لاهل البدع وأنه
موضوع الى آخر ما زعموا فما هو الا قول قوم باغين يضاهون به أقوال
الفلاسفة الذين ينكرون البعث والنشور وانهم والله لكاذبون

وان المطالع البصير ليعلم علم اليقين من مطالعة أقوال هؤلاء الضلال أن
مسايقهم بذكر أسماء الكتب التي وردت فيها أنباء الآخرة من كتب
المتقدمين ما هي الا دفعا لما توهموه من أنهم لو انكروا أنباء القرآن لقام
من المسلمين من يقول لهم ان الكتب القديمة مشحونة بكل ما تكذبه فلا
يجدون اذ ذلك مخلصا فتسارعوا الى تكذيبها ودعوي أنها مخترعة مبتدعة
وما هي الا أقوال رسل كرام وأنبياء صادقين فما كان مثلهم في تلك المسارعة
الا كمثل جرير بن زيد في تهمة صادقة قد شهدوا قمتها شهود عدول فخاف
صولة القضاء وقبول شهادتهم فقام يختصمهم قبل التقاضي وما الباطل ليغني
من الحق شيئا ولكن اهل الافك في ضلال مبين

وما كان لعاقل ان يصغي لسفيه مضلال كما ألقى اليه قول قال انه
مكذوب رجما بالغيب فلو أننا طالبا هؤلاء السفهاء ببرهان التكذيب لما
وجدوا سبيلا الا ما هم عليه من السفسطة والزندقة والمكابرة من قولهم ان
المتقدمين كانوا مبتدعين وان العاقل ليقول لمن كان هذا قوله اننا لو فرضنا

أن كل ارباب الكتب كانوا مبتدعين فهل يستحيل على مبتدع أن يأتي بأقوال صادقة فيما ابتدعه ليقوم بها اعوجاج ما ابتدعه في اعين المطالعين اذ لا حجر على أي مبتدع في أن يخاط الصادق من اقرل بالمكذوب فيما ابتدعه ومتى كان الامر كذلك لا يكون له فيه أن يكذب صادقاً في أنبائه لموافقة المبتدع لها في بعض ما جاء به ان كان المبتدع متأخراً أو موافقاً ان كان المبتدع هو المتقدم لاننا قررنا من قبل أن الانبياء هم مصادر تلك الانباء الغيبية فيكون منكرها على محمد صلى الله عليه وسلم بين أمرين اما أن يكون جاحدا لجميع الانباء الاخروية فيكون من الكافرين وقد فرغ ربنا من تحذيرهم وتبشيرهم من عهد ما قبلت ابواب الرسالة والنبوة وقال لتبيه (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يوم يقال لهم ما حكاه بقوله (هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) واما ان يكون عالماً بصدق انبياء الآخرة مؤمنابها غير أنه من المكذبن لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا نلزم اذا باكراهه على التصديق لان الاعشي لا يجبر على معاناة الضوء الشديد وكذلك مريض القلب لا يقوي على تحمل قوة اليقين الثابت الذي لا يقوي عليه الاقلوب الاتقياء الذين ادركتهم العناية وأمدعهم الله بانوار التوفيق والهداية

وهل من الادب أن يواجه القرآن الذي هو وجهة كل مهتود دليل كل حائر الى سبل الرشاد بمثل ماواجه به هؤلاء السفهاء من المواجهة الوحشية اذ من الادب أن يقف المؤلف الذي أراد أن يلبس الحق بالباطل عند حدود الجدل المعلومة عند أهلها التي منها اقناع الخصم باثبات الدعوي بالبراهين القاطعة قبل الحكم . وهو لا يقوم قد حكوا بأن القرآن كاذب

الانبياء من قبل أن يشبوا أنه من عند غير الله . وهذا هو القرآن ومن جاء به والذين آمنوا معه كلهم يقولون هو من عند الله فعلى المكذب الآن الذي يدعي أنه من عند غير الله أن يأتي بالبراهين التي تؤيد دعواه لا من طريق تكذيب الانبياء ولكن من طريق أخرى يعتبرها العقلاء من الطرق المعتدلة كأن يأتي نبأ من طريق الرسالة التي كانت قبل القرآن يكذبه لأن عيسى عليه السلام كثيرا ما تكلم عن أشياء تكون في امته وقد كانت وكذلك موسى ولقد جاء بعدهم محمد صلى الله عليه وسلم بما لم يأتي به لا علما ولا عملا ولا آدابا وان بناء والله لعظيم كما هو معلوم فكان الاولي للرسول أن يحذروا أممهم من اتباعه ان كان كاذبا بأن يذكروا لهم اسمه ووصفه وشأنه الذي جاء به ثم يقولون ان ادركتم هذا فلا تتبعوه لان هذا هو الشأن الذي يعتد به ويستحق ان يحذر كل نبي امته منه ان كان مكذوبا او يبشر به ان كان صادقا . ولقد جئناهم بأدلة التبشير فأصروا على انكارها . فما لنا ان نصغى لاقوالهم مع ما هم عليه من المكابرة والاصرار الا اذا جاؤنا بآيات بينات من التوراة والانجيل مصرحات بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن ودالات على انها كاذبان

والا فتكذيب الانبياء مع صدق الرسالة لا يكون الا من فاقد التمييز وفاسد التصور واما تعر بضمهم بما وقع في زمن المأمون بالقول المجمل الذي جاؤا به من قبيل التمويه فليس من الجدل في شيء لان المأمون وان كان قد تفلسف واطفاه الزكاة وحادثة الذهن لانه ابن امة سوداء ولكنه لم يقل بأن محمد افترى القرآن بل قال انه مخلوق لانه يتلى بحروف واصوات مع أن كلام الله ليس بحروف واصوات فاستدل بذلك على انه مخلوق لله كباقي المخلوقات

انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهكذا كان اعتقاده في جميع الكتب المنزلة
واعتماد امثاله . وربما كان طبيعيا كباقي الفلاسفة الذين اتبعوا اهواءهم
فأنكروا كل شيء آمن به المؤمنون . ولقد قام الامام ابن حنبل في ذلك
الوقت مقاوما له مع غلبة سلطانه عليه فمات هذا بكرامة تقواه وحسن ايمانه
ومات ذلك بجحوده وقبح طغيانه . ان لم تكن ادركته العناية الربانية بالتوبة
قبل ان يموت وماربك بظلام للعبيد وايس هذا العمل الذي جاء به المأمون
بقادح في صدق الرسالة حتي يكون لهؤلاء السفهاء التعريض بذكره ضمن
أضاليلهم اذ مبدع الاكوان جل شأنه وتقدست أسماؤه لم يأت بوقت من
الاقوات من مبدأ الدنيا لم يكن فيه المكذبون ولا يأتي بذلك حتى تنتهي آجالها
ولو كان الايمان بذلك داخلا في النظام الابداعي لكان الاولى به اوقات
النيبين ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الاضداد متقابلة في كل زمن من النوع
الانساني وغيره وذلك لان قوام الحياة ماهو الا العناصر المتضادة فمن أين
يجي الاتفاق على شأن من الشؤون في أي زمن كان فلذلك ترى في
كل زمن ما يكفيه من كل فريق اذا فلا يكون قرب عهد المأمون بأيام الرسالة
قادحا في صدقها فلقد جاء اليزيد بن معاوية بأقبح مما جاء به المأمون وجاء
الحجاج الثقفي بما هوشر منها واتقد عبد قوم موسى العجل في زمنه ولقد فعل
اليهود ما فعلوه بعيسى مع مشاهدة الآيات اليبينات فهل كان هذا كله قادحا في
صدق النبيين . كلا ان هذا هو الضلال المبين . ألا يرى العقلاء منكم ان سفهاء
الفلاسفة الآن قد قاموا منكرين لكل ما صدق به المؤمنون من الجن
والملائكة وكثير من أنباء القرآن ولكرامات الاولياء ومستلين سيوف
الاسانة والسفهاء على المتوسلين الى الله بهم وذلك لما بينهم وبينهم من العداوة

والبغضاء التي أضمرت نيران الحقد والحسد في قلوبهم لان الفلاسفة ما
تعالت همهم ونطاوت أفكارهم الا الى حد لم يبلغوا فيه غير عقبات
الغرور والطغيان التي وقفوا عندها وقد حال بينهم وبين معارج السعداء
الطيبش واتباع الهوى فما كان لهم من حيلة يدفعون بها عن أنفسهم تلك
الحرارة الا انكار حال القوم وكراماتهم والخوض في أعراضهم بما لا يليق
بهم لانه لا يسلك طريق الفلسفة الا كل لثيم متمرد . ولا ينهج مع الاستقامة
منهج الاتقياء الا كل كريم متجرد . فما كان مثل الفريقيين الا كالأعمى
والاصم والبصير والسميع (هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون) وذلك لان السكرام اكرمهم الله بنور الايمان فتابعوا الرسل
وفازوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة . واما اللثام فرضوا بالحياة الدنيا
واطمنوا بها واصبحوا عن آيات الله غافلين فلو ان السفينة الشوها ذات
البذاعة وختش القول أحست بمنزلتها عند الله وفي قلوب أهل النظر من
ارباب البصائر لا نقت بنفسها من شاهق جبل أو من فوق منار مهجور
ولكن الله سبحانه وتعالى أتى عليها استار الافتنان والغرور . وسلط عليها
من الاغبياء من يزين لها حالها وعملها ليقضي الله أمرا كان مفعولا
واذا كان الامر كما ذكرنا فلا حاجة الى الكلام على صدق الانبياء
الغيبية الآن لان ثبوت صدقها متوقف على ثبوت الرسالة كما ذكرنا ولقد
أجلنا الكلام على الدين المحمدي الى الفراغ من ازالة هذه القدورات التي
ألقاها غلمان البقالين . في طريق الموحدين . والله على كل شيء وكيل
وما كان لذلك التأجيل من سبب الا ما علمتموه من أن مصادر تلك
الانبياء هو الوحي السماوي ولا تثبت امانة متلقي ذلك الوحي الا اذا

ثبتت رسالته وما انتصب هو لاء الضلال الا لنفي الرسالة المحمدية وانها
ثابتة الاساس قوية البنيان وقوية الاركان بما ذكرناه وما سند كره بعد
فانتظروا انا منتظرون

ثم تاوه الرجل كثيرا واطهر الاسف على حال الامة طويلا وقال انا
والله لتأسف على حال اقوام لا ينبغي أن يؤسف عليهم لانهم قوم قد تخلوا عن
حلل السكينة والوقار وتحلوا بملابس الطيش والافتتان وما منهم الا وهؤلاء
عن حاله وماله بما لا يتلهي به الا كل مفرور ومفتون فاصبحوا عرضة لسهام
الباغين ومطمح انظار المعتدين وصاروا لا يعتد بهم فكأنهم ما خلقوا الا
أنعاما في صورة بشرية ولو انهم كانوا رجالا مؤمنين واقياء متدينين لما
طمع هؤلاء السفهاء في اضلالهم وان في قوله تبارك وتعالى (الزاني لا ينكح
الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) لعبرة لكل
معتبر اذ لولا المناسبة التي بين الزاني والزانية في دناءة الاخلاق ما اجتمعا
وهكذا حال سفهاء أمتنا وأرادلها مع هؤلاء الضلال فلو ان المناسبة بينهم
في الاخلاق مفقودة لما جمعتهم المحافل الزينية والحفلات الجدلية سيما وقد
حكم عليهم الحق سبحانه وتعالى بالنجاسة في قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
المشركون نجس) ولا يتخالط النجس الا النجس وان لم يكن نجسا فلا بد
ان ينجس لان مجاور الشيء يعطي حكمه اذا ما كان لنا أن نأسف ولا
ان نخرق على سفهاء أمتنا الذين ضلوا عن سواء السبيل بشهودهم مشاهد
هؤلاء السفهاء التي هي اندية اهل النار ولا يشهدوا الا الكفار او الفجار
ومن كان هذا حاله لا يبكي عليه وسواء موته وحياته والله در القائل
اذا شئت ان تبكي فقيد أمن الوري • وتسديه ندبا بدمع معندم

فلا تبكين الا على فقد عالم • يبالغ في التعليم الغم لم
 وقد امام عادل صان ملكه • بأنوار هدى الله لا بالتحكم
 وقد ولي صادق العهد والوفا • مطيع لرب العالمين معظم
 وقد كريم لا يمل من العطا • بنفس عسر الفقر عن كل معدم
 وقد أخ يفتديك حيا بنفسه • ويقصيك بالمجبود عن كل مؤلم
 وقد شجاع صادق في جهاده • وقد رفعت اعلامه للتقدم
 كذا زوجة ترعى أمانة بعلمها • وان غاب عنها غالب العمر أوعى
 وقد تقي لا يزحزح قلبه • عن الرشد اغراء الغوي المهمم
 وقد الذي وافى الاله موحدًا • وما ظن ما ظنت عبيد ابن مريم
 فهم تسعة يبكي عليهم وغيرهم • (الى حيث القت رحلتها أم قشعم)
 ثم قال والله لولا سعة جاه محمد صلى الله عليه وسلم وحلم ربه وكرامته
 عليه لفعل بسفهاء امته ما فعله ببني اسرائيل الذين قال لهم كونوا قرودة
 خاسنين ثم رفع يديه الى السماء قائلاً اللهم افعل بنا ما انت اهل ولا تفعل
 بنا يا مولانا ما نحن اهله فانك اهل التقوى واهل المغفرة ثم قل لقد زعم
 السفهاء من القوم الظالمين أن كلام الله سبحانه وتعالى الذي حكاه عن
 المسيح اذ نادى أمه بعد ما وضعت (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك
 سر يا وهزي اليك بيجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) ما هو الا ما خوذ
 من كلام اهل البدع من المسيحيين وما انتحوه الا من كتاب بده كما
 زعموا وقالوا ان الانجيل الصحيحة لم تأت بذلك النبأ وان الحوار بين
 الذين كانوا يتكلمون عن الوحي ما تفوهوا بذلك الى آخر ما قالوا
 واني لا قول ان القوم والله لفي ضلال مبين فانهم ما وجهوا ما نشأ

عن جهالتهم من الاعتراض الا على الله فكانتهم يقولون له لما اذا ذكرت
هذا النبأ في القرآن ولم تذكره في الانجيل هذا اذا فرضنا صدق دعواهم
أن الانجيل الصحيح هو الذي لم يذكر فيه ذلك النبأ وما كان لما قبل
ان يثق بأقوال قوم امثالهم قاموا يلبسون الحق بالباطل ويخوضون في
آيات الله بغير حق بل الذي تتسابق اليه افهام العقلاء أن كل كتاب
مقتسه هو لا الضلال هو الحق وكلما أفوه أو أفوه هو الباطل واما
احتجاجهم بأن الحواريين لم يذكروا شيئاً من ذلك فما هو الا
ضرب من ضروب التفرير والتضليل لانهم ما اثبتوا نزول الوحي على
الحواريين بوجه من وجوه الاثبات وان يجدوا لاثباته طريقاً من
الطرق الجدلية على ان الحواريين ما شهدوا مولد عيسى عليه السلام حتى
يقال ان سكوتهم عن ذكر مولده وما جاء فيه من خوارق العادات دليل
على عدم وقوعها ولو فرضنا صحة نزول الوحي على الحواريين كما زعموا فلا
يكون سكوته عن ذكر ما وقع في ولادته دليلاً على تكذيب القرآن لان
الوحي ما كان خاصاً بذكر القصص والانباء بل كان يأتي الارشاد الى طريق
الاستقامة وما جاء القرآن بذكر ما كان من امر المسيح الا يعلم المسيحيون
الذي ظنوه لها أن المسلمين أعلم بحاله منهم فما كان اسفبه مفتون ان
يحتج على تكذيب القرآن الحكيم بما لم يكن ثابت الصدق والصحة اذ
العقلاء الآن لا يستطيعون ان يميزوا صحيح الانجيل من فاسدها الا بموافقة
القرآن للصحيح منها مع مساعدة التواتر والشهرة واني لا ادري سبباً لانكار
هو لا السفهاء عناية الله بمرم عند احتياجها للغذاء في وقت لم يكن عندها فيه
ما تقتات به وقد كان يأتيها رزقها من حيث لا تمنسب قبل ولادة هذا

النبي الكريم من عند ربها بلا واسطة وهي قوية قادرة على التكسب فكيف بها وهي في حالة احتياج شديد ألا سحقاً للقوم الظالمين
ولقد كان آخر ماجاء به هؤلاء الضلال في هذا الفصل أن قالوا ان حديث المعراج الذي ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى آدم وباقي الرسل هو مأخوذ من الكتاب الموضوع المسمى بعهد ابراهيم الى آخر ماجاوا به من قصة ابراهيم عليه السلام وقد زعموا أنها مكذوبة وان النبي ما حدث بما حدث به عن رأيه ولكنه اختلس معنى تلك القصة والقاء الى قومه الى أن قالوا ان قول الله سبحانه وتعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) مأخوذ من آية جاءت في الانجيل بهذا المعنى فوا عجباً لهؤلاء السفهاء كيف وصل بهم الجهل وطفيان الغرور الى حد أصبحوا فيه ينادون على كل نبأ غيبي انه مكذوب جهلاً وعناداً أ كانوا يظنون أن كل نبي جاء بأية من الآيات أو أنبأ بنبأ من الانباء يكون ملزماً بأن يأتي لكل سامع عليه ببرهان أو براهين تثبت صدقه لئلا لما وجب على من لم يره تصديقه اذا لزم أن نكذب أنباء عيسى وموسى حتى يقيا على صدقهما في الانباء البراهين لكل سامع يريدان أن يؤمن بهما وعلى هذا لا يكون ايمان الامتين بالتيبين قيا ولا صحيحاً حتى يكون ما ذكرناه

وان لم يكن ذلك الذي قلناه بلازم في أنباء موسى وعيسى فكذلك لا يكون لازماً في أنباء محمد و ابراهيم التي انكرها هؤلاء الضلال بعد ما آمن بها قومها وجاء القرآن مصداقاً لها بقوله تبارك وتعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) أي من

أهل الكشف والعيان وقوله (سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لتريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وما صدقه قومه عند الدعوى الا بالاختبار الدقيق وقد كان فيما بينهم يدعى صادقا امينا فأي داع ميز موسي وعيسى عن محمد وابراهيم وقد تواترت انباء الكل على نسق واحد وكان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من الخيار من لم يكن في أمة من جميع الامم ومن أراد البحث عن ذلك فعليه بالآثار فقد قال قائلهم

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وعلى هذا النمط يكون الانصاف في الجدل والمحاورة والا كان هذي أطفال أو هوس جنون أو مكابرة أعداء معاندين
أم يريدون أن الله سبحانه وتعالى كلما أراد أن يرى نبيا من انبيائه شيئا من بحائب آياته يجعل له ملكوتا غير الذي أراه لغيره اذا لكانوا بمعنى الملكوت جاهلين

أم ينكرون كل خوارق العادات التي كانت على أيدي الرسل كما أنكروا كرامات الاولياء انهم اذا لني ضلال مبين

وهل من المعيب أن يوافق القرآن الانجيل والتوراة والزبور في بعض الانبياء من الالفاظ أو المعاني او يكون موافقا للجميع حتي يقال ان آية (حتى يلج الجمل) مأخوذة من معنى آية الانجيل ويكون ذلك دليلا على اختلاق القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم فهل يقول ذلك الا الاغبياء الذين فقدوا الادب والعقل وارادوا ان يفرقوا بين الله ورسله وآياته أليس هذا حكم من احكام الله يسري مفعوله على كل كافر بأي رسول

وعلى كل رسول ان يذكر به قومه انذارا ونحوه بقاء. أليس مصدر الآداب والحدود والاحكام في النواميس الالهية واحدا وما جاء القرآن الا مصدقا لما بين يديه في معنى الانذار والتبشير والدعوة الى الله وبيان الآداب التي ينبغي بل يجب على كل عبد استعمالها فكفر هؤلاء الضلال بآيات الله ورسول الله واصبحوا من الخاسرين

ومن العجب العجاب الذي به يتذكر المؤمنون اقتدار القدرة العلية في تزيين الاعمال لعمالها مكررا واستدرجا ان جاء القوم معجبين بأقوالهم الزبغية ظانين انهم خدعوا الناس بتلك الخزعبلات فصوروا سوألا تصوروه مفاجا وجاؤا عليه بجواب يظن مطالعه انهم ما تركوا شيئا من البحث الا وأجهدوا نفوسهم فيه فما اشبه حالهم بحال المشعبد المعروف عند العوام بالحاي اذ ينادي صبيانه قائلا أما تعلمون اني احبي الموتى فيقولون وكيف تحيي الموتى ثم يتساءلوا فيما بينهم حتى يظن كل مشاهد وسامع انهم صادقون وانهم تكاذيب. فهل يظن هؤلاء الضلال ان ذلك السؤال والجواب يحدث للمؤمن الصادق ريبا في ايمانه كلا والله لو أن القرآن جاء موافقا لكل مباني الكتب السماوية لما شك شك من المسلمين في انه منزل سماوي وانه من حكيم حميد. ولو انه جاء يبيننا بقصة التظ والفار التي ذكروا ان سورة الكهف تشبهها لا من الناس بأنها واقعة لاشك فيها ولو كره المجرمون لهم بصديق نبينهم

ألا هل من قائل هؤلاء الضلال كيف آمنتم بالمسيح وكتابه مع علمكم بان الغالب من اسلافكم كانوا مبتدعين كاذبين وما وجدتم لدينكم ضابطا يحفظه من الباطل والضياع كما حفظ امة محمد صلى الله عليه وسلم دينهم فهلا

اشتغلتم بضبط آداب دينكم واتفق رؤساء ذلك الدين منكم على طريق واحد يسلكونها حتى اذا اجتمعوا على الحق القوا بالاناجيل المكذوبة في اليم واذا ذلك يكون لعلماء امة محمد صلى الله عليه وسلم ان يتادوهم بما امر الله به نبيه بقوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا ارباباً من دون الله) هذا اذا كان المقصد الاعم هو سلوك طريق النجاة اما اذا كان المراد المغالبة بين الامم والاديان والتفريق بين الرسل فما ذلك الا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ولا يكون لذلك العمل من عاقبة ينتهي اليها الا ان كل ذى فطنة من المسيحيين يتيقظ من سنة الغفلة التي جنب قلبه ناجية عن الهدى لان كثرة الجدل بيننا وبين هولاء الضلال تقدر شرر زندقرائتهم المتواري فيعلمون الحق على ما هو عليه ويكون مال الغالب منهم الى احد امرين اما ان يغدو فيلسوفاً طبيعياً لا يعترف بوجود الاله الا مداراة وخدعة كما هو دأب سفهاء الفلاسفة الذين افسدوا الاعتقادات بتوحياتهم واما ان يعتقد ما يعتقده اولو البصائر منهم ان الله الواحد فاطر السموات والارض تنزهت عظمته وكبرياؤه عن الحلول في البطون كلالجنة وعن ان ينام او يموت وعن مشابهة الحوادث وعن ان ينزل الى مقر ملكه فيصلب ثم يعود الى مقره كانه كان سواحاً تحمل المشاق ثم رجع الى وطنه ومتي سلكت افهامهم هذا المسلك جذبتهم جواذب التدقيق والتحقيق الى الوقوف على الحقائق فيرفضوا جميع المذاهب والاديان الا مذاهب اهل السنة التي سلكها الواصلون فاصبحوا عارفين مقربين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الكلام على الفصل الخامس

كتب بعض الادباء الى صديق له لينصح محتالاً يحامل ما لا يستطيع
ادراكه زماناً طويلاً وقد أعيتته الحيلة ولم يرتدع عن طلب ما حاوله
قل للمشعبين ان الناس قد ستموا أعايبك الآن فاستأنف لهم عملاً
أولاً فدفع عنك هذا الفن مشتغلاً بالقوت من وجه حل واختفى خجلاً
ظنوك يا وغد مصداقاً فبان لهم منك الضلال فخذ عن مضوا مثلاً
ان البهوق الذي أصبحت تجهله يصيب عين غيبي ينكح الجملاً
هذا مثل من أمثال العوام يضر بونه لمن أراد أن يقاوم من لا قدرة
له على مقاومته فيقولون وقد أيقنوه مغلوباً . من أراد أن ينكح الجمل
أصاب البهوق عينه . والبهوق عندهم علم على أطراف المعصي التي يضمونها
في الحوايا لحفظ الاحمال من الضياع بربطها بالحبال في تلك المعصي
ثم قال اعلوا أيها الاصدقاء وفقني الله واياكم الى طريق الهدى
وسبل الرشاد أن هؤلاء الضلال قد علا صياحهم وطال ضجيجهم وعجبهم
وقد تقلبوا في البلاد كجنود ابليس فأكثروا فيها الفساد حتى أفلقوا الحيا
وجيرانه . كأنما يتعمدون فقيداً وما فقدوا غير العقل والادب وانا وان كانوا
قد طال تعديهم واستطاعت أسنتهم بما يقلق القلوب ويزحزحها عن مراكز
الثبات لم نزل غاضين الابصار ومحولين الافكار عن الاشتغال بمناوشتهم
عسى أن ينجحوا أو يجدوا من أنفسهم زاجراً فما وجدناهم الا كامثال الاطفال
الذين ما بلغوا درجة التمييز وما كانت أعمالهم الا كاعمال السوقة السفهاء
الذين تمودوا أن يسخروا من الافاضل الاشراف من الناس ولو أنهم تصوروا
قبح أعمالهم لاقلموا عنها خزيها وخجلاً ولكنهم قوم استرسوا وراة

أهوائهم وغلبهم الطيش فأوقعهم في مصارع الفتن حيث نزل الاقدام وما
لهم من الله من ولي ولا نصير . فما علينا الا أن نلقي اليهم النصائح عسى
أن يصبحوا نادمين

لعل في الناس من يرثي لحالتهم فينقذ القوم من أيدي الشياطين
أو يهدوا برشادي حين أرشدهم الى الصواب فينقادوا الى الدين
ثم قال ولكنني أرى أن القوم قد استحبوا العمى على الهدى وأصبحوا
كما قال هدهد سليمان فيما حكاه الله عنه بقوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم
فصدهم عن السبيل فهم لا يهدون) فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

أيها الاخوان زعم هؤلاء الضلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقول القرآن واقتراه ثم قاموا يخوضون في آيات الله بغير حق خوض
ازدراء واهانة جهلا منهم بأسرار الكتاب الحكيم وعمى عن ضياء انواره
ونيرات اسراره التي انعمس في لججها الراسخون في العلم فأصبحوا بانين
وقازوا بكرامة الله ومحبة قلوب عباده أحياء وامواتا اذ هداهم الله الى معالم
الهدى من فواعد كتابه المجيد الذي هو من قلوب أحبابه في لوح محفوظ
وأضل عنه القوم الضالين . وخطف ابصارهم وبصائرهم عن ادراك حقائقه
ببوارق صواعق قوله (لا يمسه الا المطهرون) فأصبحوا كغيباء العوام
الذين اذا عثر غبي منهم على درة من الدرر التي التمت بها الدهور وحوادث
الايام في خبايا الارض المهجورة التي تسمى عند العامه أكواما كفرية
ظننها ألعوبة فتفتنوا لها الاطفال من يده وربما لمي عنها فاشتراها الخبير بها
من أيدي أولئك الاطفال بشمن بنحس وكانت سببا لسعادته وما ذلك الا للجهل

العائر عليها بقيمتها وعلم المشتري بما تساويه وما ذلك الاحكام سابقة
التقسيم الازلي ونفوذ تصرفات الاقدار الالهية كما قال القائل
وقاسم الرزق يعطي ذا ويمنع ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمك
فكذلك حال أهل القرآن الذين فتح الله اسماهم وأبصارهم وطهر قلوبهم
وحال من طبع الله على قلوبهم وجعل على سمعهم وأبصارهم غشاوة فهم لا
يعقلون تصديقا لمعنى قوله تعالى (كذلك نسلك في قلوب المجرمين لا يؤمنون
به حتي يروا العذاب الاليم)

ولقد فاقوا العوام في غرور الجهل والافتان بدعوي العلم والمعرفة
والخوض فيما ليس لهم به علم وتكذيب الله ورسوله حسدا من عند انفسهم
من بعد ما تبين لهم الحق تصديقا لقوله تعالى (وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هداهم حتي يبين لهم ما يتقون) فهدي هؤلاء الضلال الى معالم
الدين الاسلامي واوقفهم على حدوده . واطلمهم على احكامه . ثم اضلهم
عنه وصرف قلوبهم عن شهود انواره واسراره لتقوم عليهم الحجة فلا يفتنوا
بتابعة من مضى من اسلافهم الذين صادوا النبوة ووقفوا في طريق الرسالة
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين ما حكاه الله سبحانه وتعالى
عنهم بمثل قوله (وقالوا اساطير الاولين اكتبناها في تولى عليه بكرة واصيلا)
ثم ابطال دعواهم بما جاء به في آياته من البراهين القرآنية وما زالوا منكربين
عتوا واستكبارا كما كان من الامم الطاغية مع رسلهم وكما كان من اليهود
مع عيسى ومن فرعون وملائه مع موسى كما سبق بيانه قبل . فأصبح هذا
العمل القبيح والقصد السي . الآن مطمح انظار هؤلاء الضلال . ومضار
سباقهم ومرمى سهام اغراضهم واميالهم وما اكتفوا بحمائل أوزار انفسهم

بل الفوا بفتحة مشددة على اللام ما الفوه بلام مكسورة من الضلال والزيف
فصولا من باب واحد ليتوهم المطالع ان في البيض دجاجا ويظن السامع
ان وراء الصياح معركة ذات غنائم حتى اذا ما تسارع اليها المتسابقون لا
يجدون الا جنازة اقامها نساء ابليس فافقدت العقل والدين وما تصايح على
غير فقيده الا ليجمعن الصياح حباله صيد لا يقاع خوان الاخذان في شرك
الفتنة القتالة والفرور المهلك . والله لا يجب كل خوان كفور

الاهل يتبصر العقلاء منكم في شؤن هؤلاء الضلال الذين اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا وزعموا ان كل الاناجيل مكذوبة وأن من قدمائهم قوم كثير ون
اهل بدع وضلالات ثم قاموا على قدم وساق بأقوال باطلة وتمويهات عاطلة
يقاومون الحق بالباطل على غير مثال يهد حيث افتتحوا حوانيت خزري
مكتوب على أبوابها ما يشهد بانها مخازن الخزي والجدل ومجال الزيف والشيطنة
وما هذا الا من أفضع الشنائع التي ماسبتهم بها سفهاء الامم لاننا نرى
ان رؤساء الاديان ما اشتغلوا الا بمعاينة اديانهم والقائه النصائح الى افراد
اممهم واما هؤلاء السفهاء فقد تركوا افراد اممهم في طفيلانهم يعمهون
ويسجدون لما صنعت ايديهم من الصليبان ويعبدون نبيا كريما كان آدم اعجب
منه في الخلق والتكوين بعد ما زعموا ان قوم موسى اهانوه اهانة شديدة
ثم صلبوه وقتلوه ولقد فتنوا قومهم بما فتن به قدمائهم اهل القرون الماضية
منهم بقولهم ان القسيسين منهم يحملون الخطايا عن اهل الكباثر بمجرد
الاعتراف من الجاني وان ذلك لمن اعجب العجب اذ يقولون ان الاله لم
يحمل خطيئة آدم عنه الا بعد تسليم نفسه للصلب والقتل وهو شخص واحد
والقسيس الذي ربما كان من اكبر المذنبين يحمل خطايا كثير منهم بمجرد

الاعتراف أليس هذا بضلال مبين الي غير ذلك من الضلالات والبدع التي
أوردوا بها قومهم النار وبئس الورد المورد ثم اتصّبوا لاعابة هذا الدين
التقويم الذي كل من تصفح صفحات التواريخ وتبصر في احوال الامم وشؤون
الانبياء والرسل لا يجد من الاديان ما يشابهه أو يقاربه في القوة والتقويم
وحسن الاعتدال والاستقامة وانه لصراط الرسل الكرام الذي سلكه علماء
هذه الامة فاصبحوا كانبيا بني اسرائيل كما اخبر الصادق الامين

وأما أولئك السفهاء فقد تغفّنوا في فنون الزيف والسفسطة ورتعوا في
مرايع الجدل والزندقة فاصبحوا كأنعام لارعاة لها ترتع حيث تشاء بلا عقول
تردعها عن المرايع الضارة وقد هجروا مناسك الدين هجران المبعوض القالي
وجاؤكم بمجادين فيما ليس لهم به علم ليردوكم عن دينكم ان استطاعوا كما
كان يفعل اسلافهم عند نزول القرآن وطالما حذر الله المؤمنين اذ ذلك
منهم بمثل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون
اليهم بالموودة) وقوله (ولا يزلون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصعب النار هم فيها خالدون) الى غير
ذلك من الآيات التي لا تحصى كثيرة

فقام أحد الحاضرين قائلا ان الذي يطالع على مؤلفات هؤلاء القوم
ويتجول بفكره في مجال مباحثهم خصوصا في هذا المؤلف لا يشك في
أنهم على شيء من العلم والاطلاع فكيف اذا يظن انهم يعلمون الحق ولا
يتبعونه مع ما هم عليه من العلم والاطلاع . فقال له الرجل يا هذا ان القرّة
والطيش ليدعدو ان الانسان الى اقبح عمل توقمه فيه المحنة الالهية فيراه

حسناً لتسلط الجهل عليه حتي اذا استرسل في ذلك العمل وتعوده لا يفيد
العلم بقبحه شيئاً ولا يزجره عنه الا زاجر الخوف . ألا تري ان الفتاة الحسنة
التي قد تفوق في الحسن كثيرا من أندادها متى استرسلت في النفي مع
هواها وأطاعت نفسها وشيطانها قد تغدو راقصة أو باغية أو مطربة الى غير
ذلك مما يشين أحوال الفتيات حتي اذا تبينت قبح حالها يوماً ما لا
يمكنها الاسترسال وغرة الغرور من ترك ذلك العمل الذي صير حالها سيئاً
بل ربما كانت تفتخر وتباهي باتقان صنعها في ذلك العمل مع علمها
بأنه عمل قبيح . وهكذا كان حال هؤلاء الضلال فلقد حال طيش الغرور
وزيف الافتتان وسرعة الاسترسال في اعمالهم وراء هواهم بينهم وبين
الحياة والندم مع العلم بأنه عمل لا يرتكبه الا كل مجنون محروم من مزايا
الكمال والاعتدال والله لا يهدي القوم الظالمين

لقد زعم هؤلاء السفهاء أن القرآن من عمل محمد صلى الله عليه وسلم
وانه ما تناول ما فيه من الانباء الا من الناقلين واستدلوا على ذلك بأن
العرب كانوا يعلمون كثيراً من انباء الفرس وغيرهم وان منهم من كان
يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم بتلك الانباء فيتناولها منه ويجعلها قرآناً مع زعمهم
أنها انباء خرافية لا صحة لها ثم أخذوا يذكرون آيات من القرآن ويأتون
بما يشابهها من القصص التاريخية وكلما جاؤا بقصة عابوا من سطرها وسموه
مبتدعاً كاذباً وسموها خرافة من الخرافات الي آخر ما زعموه وأيدوه
بتمويهات تضليلية وسفسطة فلسفية وعن ذلك نقول

لقد تقرر فيما سمعتموه من قبل ان الله سبحانه وتعالى خلق السعداء
والاشقياء كل على حسب استعداده وقابليته لما يراد به ومنه اذا لا يكلف

الله نفسا الا وسعها بمعنى انه لا يجري على يد شخص عملا من الاعمال
الا ما يلايم استعداده وقابليته والا كان ظالما وهذا المعنى هو المشار اليه
بقوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) لانه ما أجري على ايديهم من
أعمال ولا اعانهم عليها الا وقد كانت مما يلايم قوايلهم فلا يسوق الى
الكفر والفسوق الا من كان اهلا لذلك ولا يشرح بالايان الا صدور
الاخيار فلذلك كان من المعلوم الضروري حتى عند العامة أن الانسان الذي
لم تدنس فطرته خباثة القوايل الشيطانية والاستعدادات الوحشية لا يكون
ميالا الا الى التفويض والتسليم والالتقياد لمن تعرض الى ارشاده ونصحه
متي علم منه الصدق في ذلك وهذه الحال هي مبادئ الفوز والسعادة واما
الذي غلب عليه شؤم استعداده وقابليته فلا يكون الا مصرا مجبولا على
العناد والمعارضة وعلى سوء الجدول وهذا هو مبدأ الشقاء وكلا الحالين يراه
الراؤون في طباع الاطفال قبل أن يبلغوا الحلم ثم تربوا مع كل طفل خصاله
بنمو قابليته واستعداده ليجري الله سبحانه وتعالى على يد كل انسان
ما خلقه لاجله ويسره له ثم يعينه على الاتيان به والى ذلك الاشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وبقوله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام (قال ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى) فلن يضل
عن طريق الهدى نبي او ولي ولا يهتدي الى معالم الرشاد شقي ولا تجرد
مؤمننا مكذبا برسول من الرسل ولا تجرد كافرا مصدقا لهم وان قال قائل
ان قوم موسى وقوم عيسى مصدقون بهما فكيف تدعون أنهم من الكافرين
نقول ان ذلك التصديق لم يكن طاعة لا امر الله سبحانه وتعالى بل هو
متابعة للهوى والشيطان فلذلك كان وبالاً ونكالا عليهم لانه لو كان من

قبيل الانقياد لا و امر الله لما تغالوا في التعصب الى حد التكذيب والكفر بين
ارسله الله من بعدهما مع ما تظاهروا به دينه على الاديان من الفتح والنصر المبين
والاعتدال وحسن الاستقامة وكمال الآداب فمن كان ذا زكاه و فطنة يرى ان
كفران من كفر برسالة النبي الاخير ما كان الا عن حكمة بالغة أسست فيمن
كفروا به تلك القوابل والاستعدادات عند التكوين لاحتياج النظام الى ذلك
وربما ظن سفهاء العوام أو أشرار الزنادقة عدم احتياج النظام التكويني
الى كفر الكافرين وايمان المؤمنين فيقوم معارضا بقوله ماذا على الله لو
خلق الخلق على استعداد وقوابل متفجرة وجعل الكل سعداء الم يكن قادرا على
ذلك وان هذا الاعتراض هو المصرع الوخيم الذي زات فيه اقدام كثير
من الامم الذين ابتلاهم الله بالدعوى وطيش الطغيان ليكون ما اراده بهم
ومنهم وكان امر الله قدرا مقدورا

وعن ذلك نقول ان هذا المعترض اذا سلك هذا المسلك الذي منشؤه
الجهل وفقد الآداب الذوقية قد يلزمه التشوف الى الوقوف على الحقائق
والتعطش الى استيفاء المرام واستقصاء المقاصد أن يقول لماذا خلق الله
الليل ولم يجعل النهار سرمدا الى يوم القيامة ثم يقوم آخر في مقابلته قائلا
لوجعل الله الليل سرمدا ومعنى آية النهار لكان أقرب الى الراحة فيقوم
مجادل آخر قائلا ولماذا خلق الدنيا وما فيها من الاتعاب والشدائد ولم
يترك الناس في راحة العدم الازلي ان كان الفناء بالموت محتما ولم يكن
بعد الموت رجوع للحياة ولا عودة أو لماذا لم يخلق الخلق من هذا النوع
جميعا في منازلهم الابدية بادي بدني حيث لا دنيا ولا دين الى غير ذلك
من الهوس الذي لو تبعه متبوع لمقت جميع الاعمال الالهية لقصر فهمه

وضيق فكرته وظلمة جهله اذ الانسان ما خلق الا هلوعا طاغيا جهولا وجاه
من مجل كما قال الخالق الاكبر للقوم الكافرين (خالق الانسان من عجل
سأريكم آياتي فلا تستعجلون) هذا هو حال الطاغين الباغين واما الذين
هداهم الله وفتح أسماعهم وأبصارهم فقد علموا عجز الانسان عن الاحاطة
بجكمة الله في خلقه فألقوا اليه قياد قلوبهم بانقياد التسليم والتفويض فأرهم
من آياته ورفائق اشاراته ما به علموا أن الالهوية لا تصح الا لمن اتصف
بالاسماء الحسني ولا يتصف بتلك الاسماء الا من كان كامل الاقتدار على
أن يعطي كل اسم حقه بغير تعب ولا تكلف ولو ان اسما منها تغلب على
غيره لا يطل مفعوله واضاع حقوقه ويكون ذلك قادحا في صفات الالهوية
ومبطلا لصدق مدعيها ومضيعا لواجباتها واذا كان الامر كذلك كان القاهر
يستدعي مقهورا والرحمن يطلب مرحوما وهكذا ولا يكون ذلك الا بهذا
النظام الذي وصفه الواصف بقوله ليس في الامكان ابداع مما كان ومن
سلم سلم ومن عارض خذل وندم فان شئت أن تعلم فتعلم وتبصر لتفهم والا
فسلم لتسلم والله يقول الحق ويهدي السبيل

فذلك نرى أنه لا يخلو زمن من الأزمان من السعداء ولا من
الاشقياء ونرى أحكام السابقة نافذة في كل من الفريقين رغم كل دفاع
ومعارضة فلقد كفر بنو اسرائيل بموسى بعد ما جاءهم بتسع آيات بينات
وكفروا بيسي بعد شاهدوا منه من الآيات ما توهم به المسيحيون انه كان
الها فلماذا ترى أن الفلاسفة في كل زمن يدعون أن كل متدين مخرف
وأن كل نبي جاء بأمور خارقة للمعادة لا أصل له حتى بلغ من فسوقهم
وكفرهم ان قال قائلهم الناس رجلان متدين لا عقل له . وعاقل لا دين

فجعلوا العقل والدين ضدان لا يجتمعان وانهم لصادقون من وجهه وكاذبون
من وجه آخر أما صدقهم فلأن العقل الذي زعموه ما هو الا اتباع ظنونهم
وأهوائهم وترك الاقتداء بالمهتدين وما من متدين يكون هذا حاله الا
ويفدو زنديقا بمقوتات ما كانوا صادقين الا من وجهة ان العقل الذي هم
عليه لا يجتمع مع الدين الذي اعتنقه الاتقياء وأما كذبهم فلأن الدين بلا عقل
لا يكون وليس العقل الديني الا النور الذي بشرح الله به صدور المؤمنين
ليقتفوا به آثار الرسل منقادين لاوامرهم مصدقين لا قوالهم متحققين
بأحوالهم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

إذا فليس من العجب أن يرى الناس في آخر الزمن بل في هذا
القرن الذي تطايرت شروره وتمات اسافله وانتشرت فيه الفتن اقواما
مثل هؤلاء الضلال الذين جاؤا بهذا البهتان والافتك العظيم ولقد أصبحوا
مكذابين لجميع أنباء القرآن تكذيب رجل عاش من عهد آدم الى الآن
وكان خبيرا بكل ما كان لا يفوته من أنباء الدنيا فانت لا من طريق النظر
ولا من طريق السماع ولو أنهم كانوا عقلاء لقالوا ان تلك ان الانبياء تتحمل
الصدق والكذب ولكنهم لتسائط الطيش والجهل على اقتدتهم ادعوا انها
كلها مكذوبة مفتعلة لا اصل لها ولقد قلنا فيما تقدم اننا لو أزمناهم باقامة
البراهين على أن هذه الانبياء كاذبة لما وجدوا جوابا يأتون به الا السفسطة
الفلسفية والانكار على قدرة الله ما هي عليه من الاقتدار وعمل ما لا تحيط
به العقول ولا يكون منهم الا المكابرة والاصرار كما تكون من البغال
القوية اذا ذلت لعمل من الاعمال وان كان فيه الفائدة لها وكان الله على
كل شيء مقتدرا

ولو انهم زعموا أن التواريخ التي بأيديهم تكذب تلك الانبياء قلنا لهم انما حفظتم تواريخ اسلافكم الفلاسفة الذين لادين لهم ولا مذهب الا اضلال المتدينين وازاعة قلوب ضعفاء الايمان لزعمهم أنهم مصلحون ولكنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وما كان لنا أن نتابع قدماءكم مع ما نراكم عليه الآن من تحريج أعراض العلماء العاملين والفقهاء المحدثين وعباد الله الصالحين والخوض في أعراض النبيين ومع ما نشهده منكم من تكذيب الصادق الامين واعابة القرآن الذي أعجزكم واعجز كل معاند كفور ولقد مضى على عهد نزوله ألف وثلاثمائة وعشرون عاما وما أتى آت بسورة من مثله فما كان لمنصف ذي ذوق أن يأتي بمثل ما جئتم به من الزيف والاحاد ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ثم قال أولم يعلم الزائعون أن الأدلة الشرعية والعقلية التي يستنجها العقلاء مما قالوه تكذبهم فيما زعموه وسنأتي بشي منها لا اقناع هو لا المجادلين لعلنا انه من يضل الله فماله من هاد ولكن يعلم العوام ظلمة مناهج الاشرار وقبح موارد الفجار فيجتنبوها لعلهم يفلحون

لأن من الأدلة الشرعية التي أرشدونا الى التمسك بها بغير قصد منهم بزخارف اقوالهم التي دونوها في هذا المؤلف تقويما لتقواعد الضلال الواهية. أن قالوا ان النضر بن الحارث كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يدعو فيه الى الله تعالى وتلا فيه آيات قرآنية وحذر قريشا ما اصاب الامم الماضية الذين عصوا رسلهم من الاخذ الويل خلفه في قومه ذلك الرجل في ذلك المجلس اذا قام ثم يحدتهم عن رسم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ويقول والله ما محمد بأحسن مني حديثا وما حديثه الا

أساطير الاولين اكتبها كما اكتبتها أنا فانزل الله سبحانه وتعالى الآيات التي ذكروها في مؤلفهم في هذا الموضوع ثم بعد ذلك قالوا انه لا يتصور ان العرب كانوا يجهلون خرافات الفرس ومعراج أرتاو ويراغ وزردشت ووصف الفردوس وصراط جينود وشجرة حوايه الى آخر ما جاؤا به من الاضاليل ظانين ان موافقة القرآن لبعض ما في تلك الانباء تكون دليلا على بطلان الدين الاسلامي وبرهاننا على أن مصادره خرافات كما زعموا

ونحن نقول ان ما ذكروه في شأن النضر بن الحارث ما جاءه الادليلا شرعا على صدق النبوة وصحة التنزيل فما كان حالهم فيما ذكروه الا كحال أحق جهول كلما عزم على الاصلاح أفسد وبالعكس (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المبطلون) وبيان ذلك أن الادلة الشرعية التي تقوم بها قواعد الدعاوي ما هي الا من الكتاب أو السنة أو الاجماع وقد جاء القرآن مشيرا الى صدق الاسراء والمعراج . وجاء أئمة الذين هم أهل السنة مصدقين على ذلك ومؤمنين به ولقد اجتمعت الامة لمحمدية على حصوله وكذلك باقي الانبياء التي اوردوها فلا يكون النزاع اذا الا في صحة التنزيل وصدق الرسالة ولقد علمنا مما ذكروه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث في قوم بسطاء جهلاء لا يعقلون شيئا حتى يقال انهم تناولوا تعاليمه قضية مسلمة وانه خدعهم بتناول تلك الانبياء وجعلها قرآنا لانه جاءهم بشيئا مسموعه من قبل فيكون ابن جاء وراهم من القرون من اهل الفطنة والزكاء ان يبحثوا في أمره بالبحث الدقيق حتى يتبين لهم الحق من الباطل (كلا) ولكنه بحث في امة كان فيها المدد الوافر من أمثال النضر بن الحارث ومن أمثال من هو أقوى منه شوكة واكبر مكر ودهاء وأقوى قلبا وم

تجزؤوا أحزابا وقد كانت لهم الاحاطة التامة بأنبياء الامم كما زعم هؤلاء
المبطلون وقد قام ابن الحارث يدعى اذ ذلك أنه أحسن حديثا من محمد
صلى الله عليه وسلم فما علينا الآن الا أن نطالب زعماء الضلال بسرد
ما جاء به ذلك الكفور المدعى من الاحاديث ومن الانبياء فنقابلها بالقرآن
وبالاحاديث النبوية حتى اذا وجدنا منها ما يساوي سورة من القرآن
كانت هي أقوى البراهين على أنه مفترى ومكذوب لان محمدا صلى الله
عليه وسلم ما أعجز الفصحاء الا بدعوى أنهم لا يأتون بمثله فلو تحققنا أن
ذلك الرجل الذي كان يخلفه في مجالسه أتى بأحسن منه كما زعم وجب
علينا ان نوافق المكذبين على ما هم عليه واذا لم يكن ذلك وعلنا أن ذلك
الضال لم يترك وراءه حديثا منقولاً ولا خبرا معقولاً وما ترك الا خزيا
وخبالا يرثه عنه كل من أعقبه في ذلك العمل . اذاً الا نشك في صدق
ذلك النبي الكريم

وذلك لان القوم الذين بعث فيهم لو علموا منه ما يشين حاله لما صدقوه
ثم لا يتصور متصور مهما بلغت به درجته من فساد التصور ان رجلا جاء
يدعو أقواما الى دين يخالف أديانهم وينادي بفساد أحوالهم واعمالهم
ومعتقداتهم ويدعي فيهم الدعاوي التي تحتل الصدق والكذب ثم يصدقونه
بغير بحث ولا نظر سيما وقد جاءهم بأنبياء غيبية لا يصل العقل الى مداركها
فكيف يتصور المتصورون انهم يقابلونه بالقبول والتصديق الا بعد جهد
جهد ودلالات واضحات . وآيات بينات . ولقد تبين مما قاله المتقولون في
هذا المؤلف انه كان منهم المجادل والمعارض ثم جاءت الانبياء التاريخية
في السير النبوية ان القوم ما صدقوا بالقرآن وآمنوا بالرسالة الا بعد

الاستكشافات النظرية. والمعارضات الجدلية. فأقنعتهم آياته السماوية
واخلاقه المرضية. واحواله الملكية وأحكامه العبدية. وكلماته الفصلية ونزاهته
القدسية ولقد كان من ضمن استدلالاتهم أن كانوا يستلون عند نزول
الوحي عن أشياء فيخبرهم عنها قسوسهم فأنزل الله تعالى النهي عن ذلك
يقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكن تسوءنكم وإن
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكن عفا الله عنها والله غفور حلیم)

فمن ذلك يعلم العقلاء أن مسألة النضر ابن الحارث قد قامت في وجوه
هؤلاء الزائعين مقام الدليل الشرعي على صدق ما جاء به القرآن وعلى
صدق الرسالة ولو أنهم كانوا من أرباب البصائر لما جاؤا بها دليلا على أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الانباء من العرب ويجعلها قرآنا أولم
يكن في العرب من هم المتيقظون فيعلمون مصادر تلك الانباء وكانوا اذذاك
يجهدون انفسهم في مقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم باستحضار المعلمين
له على رؤس الاشهاد ثم يقولون لهم لماذا قدمتم على هذا العمل الذي غير
ديننا وأضر بحال آلهتنا . أولم يكن للعرب بعد موت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يستكشفوا الامر على ما هو عليه ان كان رضوخهم لاوامره
ليس عن تصديق قاي و يقين جازم . أولم يكن لهم عند جمع القرآن في عهد
الخلفاء أن يقولوا ان هذه الكلمات تعاليم فلان وفلان في مكان كذا و زمان
كذا ثم يقيموا البراهين على ذلك اما سمعتم أيها الاخوان بما وقع لاعداء
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله تعالى له (انا كفييناك المستهزئين)
وقوله (فسيفكفكم الله وهو السميع العليم) فان كان منكم من يجهل ذلك
غليظا لم كتب التفسير حتي يتبين الامر علي ما هو عليه والله يهدي من

يشاء الى صراط مستقيم

أذا فلا وجهة الآن للباحثين عن صدق تلك الانباء أو كذبها بعد
ثبوتها في ذلك العهد الذي جاء بها فيه القرآن ولا يكون الاستدلال على
ذلك والنظر فيه في هذا الزمن الا خوفاً وتضليلاً وتشويشاً لافكار العامة
وتدليسا فلسفياً يراد به تلييس الحق بالباطل وازاعة القلوب عن مرا كز
ثباتها ومواقف يقينها لغلبة حال المكذبين الآن على حال المصدقين بحكم
الوقت الحاضر الذي أبحث فيه المحرمات. وفشت فيه المنكرات. وتطاوت
اللسن بفحش القول وانتشرت فيه الصحف الزيفية التي هي اعلام الفساد
الديني وبريد الكفر وكان هذا كله ملائماً لقوابل كثير من الوجاه
واستعداداتهم فقتت قلوبهم واصبحوا كافرين وظهرت فيهم اشارة قوله
تبارك وتعالى (ولو اننا نزلنا عليهم الملائكة وكنهم الموقني وحشرنا عليهم
كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا) وكذلك كان الامر في كفار قريش فلو
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن على حال ثابت في الصدق واعمال قيمة
في الاعتدال لما صدقه المصدقون منهم ولما خزل الله المناققين والكافرين
وأركسهم في جهنم جميعاً وان في قول القائل منهم لعمر بن الخطاب لو
وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا عند ما قام فيهم خطيباً وقال من
رأى منكم في اعوجاجاً فليقومني) لعبرة لا ولي الالباب اذ القوم الذين
بلغت الشهامة والحماس بهم هذا المبلغ لا يقال انهم خدعوا أو تمكن الجهل
منهم حتى اتبعوا رجلاً متصنعاً قد قلب منهم الاحوال. وغير الاعمال. وحول
الآمال. وانشأهم نشأة اخرى غير التي كانوا عليها (كلا) والله ان كيد
الكافرين اني تباب

والغاية المقصودة من كلامنا هذا كله ان كل من تتبع الكتب
الدينية والسير النبوية وتأمل فيما ذكرناه بعين الناقد البصير علم علم اليقين
أن العرب كانوا أهل شهامة ونفوس عالية ودراية تامة وكانوا من ذوي
البصائر والادراكات الذوقية وما انقادوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الانقياد الذي جعلهم طوع أو امره الا لما شهدوه من كمال اخلاقه
وصدق اقواله وسلامة احواله وصحة اعماله وما كان جباراً متألماً ولا خوراً
متكبراً بل كان يقول لهم لا تفعلوا بي كما تفعل الاعاجم بملوكهم ان انا الا
ابن امرأة كانت تأكل القديد ولقد أرشدتم في الزمن اليسير من طريق
الكمال التي استكمل آدابها الغالب منهم الى ما لم يرشد اليه من كان قبله
من الانبياء في الزمن الطويل ولقد كان مما ارشد اليه طوع أو امر ربه
اصلاح ذات البين بين المتدينين عملاً بقوله تعالى (لكم دينكم ولي دين)
وقوله (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فكان من شعائره
وشعائره ان لا يؤذوا من سالمهم من اهل الاديان الباطلة وان كانوا
عبدة أوثان وما ذلك الا من كمال الترية وحسن تأثيرها في قلوب الامة
حتى الآن واما الامة الأخر فقصد تركتهم الانبياء على أحوال لم يمس
عليها الا قليل من الزمن وقد تغيرت وما من امة الا وفسدت اخلاقها
بعد نبينا في اقرب زمن واما امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم تزل منهم الخيار
على ما كان عليه هو واصحابه الى الآن ولو احتج بمجادل بأحوال الفلاسفة
والمعتزلة وغيرهم من الفرق المخالفة لاهل السنة نقول له ان الزيف لشجرة
ثابتة الاصل في قلوب اهلها من قبل الرسالة وفيما بعدها اذا ما من خلق
حسن الا واهل من السعداء معلومون عند ربهم وما من خلق سيء الا

وله اهل من الاشقياء قد أحاط بهم الخالق علماً وما خلا زمن من الازمان
من افراد هاتين الطائفتين ألا ترى أن اشرار المسيحيين الآن قد
انتشروا في الارض لمحاربة هذا الدين القويم وتركوا دينهم تلعب به
سفهاؤهم وما استعانوا على هذا العمل الا بالزيغيات الفلسفية لاننا لانجد
من له عناية بطالمة التواريخ الماضية قديماً وحديثها الا الفلاسفة الذين
لم تشغلهم التقوى بأنفسهم بل دأبوا على التباهي والتفاخر فلا يجد مفتخرهم
ما يفخر به الا السعة الاطلاع والاحاطة بانباء الامم الضالة الذين هم اسلافه
وكل من ثبتت في ذهنه تلك الانباء تخيلها حقاً وظن ان انباء الانبياء ومن
تابعهم تخاريف لا ينبغي للعقلاء الاصغاء اليها كما يتحققه أولو الالباب من
تمويهات هؤلاء الضلال في هذا المؤلف الذي ما تركوا فيه مسلكاً للتضليل
الاوسلكوه ولكننا نقول ان من كان ذا ذوق سليم وفكر ثاقب وبصيرة نيرة
وقريحة وقادة وذهن حاد وكان ذا عناية بالوقوف على الحقائق وبحث
في السير التاريخية الصحيحة عن انباء الرسالة المحمدية وما وقع في مبدئها
من كفار قريش وفيما جاءت به الآيات القرآنية من البراهين القاطعة
وتبصر في ما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم من كمال الاخلاق ومحاسن
الاحوال والاعمال وما أوتي من جوامع الكلم علم أن الكافرين هم الظالمون
وتحقق أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق الامين وأن كل ما جاء به
من الاقوال حق لا ريب فيه وأن الذي كان يزاحمه بالباطل ويحدد رسالته
كان من الضالين والحق يعلو ولا يعلى عليه وما كان الجدل فيه الآن
الا وراثة عن موتى القلوب لانك لا ترى سارياً يسري الا في مسارب
أمته معها كان وكيفما كان حتى في أنواع الحشرات والوحوش والطيور

وكذلك النوع الانساني فلا ترى الضال الا وراء الضالين ولا المهدي
الا في سبيل المهتدين . وما ذلك الا للارتباط الاصلي بين الطوائف
بالمناسبات الاستعدادية . والقوايل التكوينية . وما ربك بظلام للعبيد
هذا هو الدليل الشرعي الذي به يتبين العاقل المتبصر أن كل نبياً
من الانبياء جاء به الاقدمون وجاء القرآن مصداقاً له لا بد أن يكون صحيحاً
واقعياً يجب على كل سامع تصديقه وان انكره المنكرون الذين ينسأ
احوالهم من قبل (ومن أصدق من الله حديثاً) وان من الادلة الشرعية لما
جاء في العهد القديم من قصص داود وسليمان ويوسف وغيرهم وقد كذب
بها هؤلاء المبتلون وزعموا انها كلها خرافات من خرافات اهل البدع
ولكنهم ما عرفونا ما هي البدع ومن هم اهلها وكيف كانت احوالهم ولكننا
قد علمنا من مخوي ما تقولوه أن اهل البدع ما هم الا المتدينون من كل ملّة
بالدين الذي تناولوه من الرسل لاننا الآن نرى أن سفهاء الفلاسفة يسمون
أئمة الدين من العلماء العاملين والفقهاء الحديثين والائمة المجتهدين واهل
الطريق المحققين كلهم مبتدعين ولا ينصرف عندهم وصف عاقل الا الى
من زخرف اقواله بالثبته المضلة وزين حاله بالاشتغال بالدينا وكان ذا
خبرة بالاحوال السياسية وترك الدين واهله وشعر ذلّه في مسابقة
المتشردين عن طريق الهدى الى معالم الضلال ولكننا وكل من كان له
الملم بالدين وفي قلبه مثقال ذرة من الايمان لعلي يقين من أن هذه الضلالات
كلها شؤن دنيوية لا تغني من الله شيئاً ولا يستعمل الله فيها الاكل مارق
من الدين لا نصيب له في الآخرة وكان الله على كل شيء مقتدرًا
واما الدليل العقلي فمعه تقول أيها الاخوان ليعلم العقلاء منكم أنه من

القواعد التي اتفق عليها كل من الطائفتين وهما طائفة المقربين الاخيار
من اهل الطريق المتصوفين وطائفة الفلاسفة الصالحين أن الرياضة التي هي
بمعنى كف النفس عن شهواتها تدخل الانسان في عالم الملكوت المعبر عنه
عند الفلاسفة بالعالم العلوي ولا خلاف في ذلك بينهما وانه لحق لأن
الانسان ما حمل ما لم تتحمله السموات والارض والجبال الا لما فيه من
الاسرار القدسية التي كانت الشهوات النفسانية والاغراض الهوائية حجاباً
حائلة بين الانسان وبين مطالعتها في نفسه ومتى زالت تلك الحجب
لا يكون بينه وبين الملكوت حائل هذا هو موضع الاتفاق بين الطائفتين
في المعارج القدسية وما تفرقوا الا عند هذا الموقف فمنهم من صعد الى
أعلى ومنهم من نزل الى اسفل ومنهم من وقف موقفه حتى جاءه الاجل
فأصبح من التادمين وسندين حال كل منهم بعد الفراغ من هذا الموضوع
الذي نحن بصدده الآن والله يقول الحق ويهدي السبيل

إذا فمن المحقق الثابت عند الطائفتين بل وعند كل ذي ذوق أن
الرياضة هي روح المعارج القدسية التي يتوصل بها الانسان الى الاختلاط
بالعالم العلوي حتى قيل ان الفلاسفة لقد تناولوا في ذلك حتى زعموا ان
الانسان لا يزال يتفقد المعلومات ويهذب نفسه بالاعمال الرياضية حتى يقابل
ربه وجها لوجه فيكون هو هو يفعل كما يفعل وسنأتي بايضاح ذلك عند الاتيان
بما وعدنا به من ايضاح احوالهم واحوال الطائفة الاخرى
وعلى هذا يكون حال المنكر للمعراج الروحي أو البدني كحال العوام
الذين لو قلت لهم ان النفوس القوية العالية لتفعل بهمتها في العوالم فوق ما
يفعل المعيان الحسود بسينها في محسوده ككذبوك لجهلهم بمواقع النفوس من عالم

الملكوت ولو انهم فقهوا الامر على ما هو عليه لعلموا انه لولا سر الربوبية التي سميت به النفوس نفوسا لما صح لها أن تتاقى ما تلهم به من الفجور والتقوى المشار اليه بقوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) ولكنهم لغلبة الجهل عليهم الذي منشؤه الحجب الشهوانية غفلوا عن هذا البيان الواضح بما اشغلهم الله به عنه من التعمية الواقعة في قوله تعالى بعد الآية السابقة (فذأفلح من زكاهوا وقدخاب من دساها) وما كان لنا أن نجول مجالا ما كنا من رجاله ولكن الضرورات قد تبيح المحظورات فلنرجع الى ما نحن فيه من الاستدلال فنقول

ان مفهوم هذا الدليل العقلي يعطي الباحثين في مسألة المعراج دلالة على أنه لا ينبغي لعقل تكذيب من كان قوي النفس عالي الهمة نزيه الاخلاق فيما يدعيه من العروج الى العالم العلوي اما بالروح أو بالبدن لان كل ذي عقل يعلم علم اليقين شدة ارتباط العالم العلوي بالعالم السفلي ارتباطا تأثيريا لا يمكن الانفكاك عنه من ايها مجال من الاحوال وما كان العالم العلوي الا دائرة محيطة بالعالم السفلي بينها وبينه تلازم وارتباط كلي فلو زال احدهما لزال الآخر بدليل قوله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) وقوله في آية أخرى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) وفي أخرى (خالدين فيها ما دامت الارض والسموات) اذ اقلما منع يمنع فردا من سكان احدها أن يسكن الاخرى الا اذا لم تساعده القوابل والاستعدادات التي هو عليها اما اذا توفرت القوابل والاستعدادات في اي فرد من الافراد صح له أن يزاحم سكان الموطن الذي توفرت فيه قابلية واستعداد للمزاحمة فيه وكما صح لجبريل أن يهبط الارض ويجلس في مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم على صورة ذحية الكلبى متجسدا فكذلك يصح لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يزاحمه في مقره الذي نشأ فيه وقد توفرت فيه القابلية والاستعداد واقتدار قال صلى الله عليه وسلم في حق عيسى عليه السلام وقد قيل له انه كان يمشي على الماء (رحم الله أخى عيسى لو ازداد يقينا لطار في الهوى)

وعلى هذا يكون كل ما ذكره الزائفون من المعارج الروحية والبدنية لا ينبغي تكذيبه لاي عاقل سواء كان المدعي العروج هو ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أو غيرهما من النبيين بالروح أو بالجسد اذ نزاهة النبيين وكالاتهم وصفاء قلوبهم لا بد أن توجد فيهم القابلية والاستعداد لكل ما يكون منهم من الترقى الروحي والبدني لانها نزاهة أصلية فطرية ساوية لارياضية ولقد جئنا بما يكون في طاقة أمثالنا من البيان وفوق كل ذي علم عليم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اذ الظآن ربما اروه من البحر مصة الوشل واما ذوا البطر الكفور فلا حاجة لنا بمواساته بالعلاج والله لا يهدي القوم الظالمين

ثم قال بعد طول تعجب واستغراب من ضلال القوم المنكرين وسيات ظنونهم وقبح اعمالهم وتجاربهم على تكذيب الله وآياته لقد القى القوم بأنفسهم على ابواب جهنم فما اصبرهم على النار وما أعجب ما يأتي به القدر من الاضلال على علم وكان الله على كل شيء مقتدرا

ايها الاخوان لقد ذكر هؤلاء الضلال المعارج الروحية التي عرجها أرباب الرياضات ممن ذكرهم ثم زعموا انها أثرت على القرآن تأثيرا عظيما وعلى الاحاديث حتى صارت هي احد مصادر الاسلام كما زعموا وما كان

ذلك منهم الا لجهلهم بما هو الاسلام كما سبق بيانه من قبل وكما سنبينه في موضع
آخر من هذا الكتاب ان شاء الله سبحانه وتعالى . ثم جاؤا بالمعراج النبوي
وقاموا مقارنين لما بقصه معراج ابراهيم الذي زعموا انه منقول عن
كتاب موضوع

ثم زعموا ايضاً انه مأخوذ من كتاب اسما (أرتا ويراف) . مؤلف باللغة
الفارسية وذكروا فيه قصة معراج شاب مجوسي مسمى باسم هذا الكتاب
وقالوا ان قومه قد ارسلوا روحه الى السماء فجاؤا به نبياً من فيها على المنوال الذي
ذكر في معراج النبوة وكذلك جاء بحكايات اخرى زعموها خرافات وزعموا
ان القرآن مقتبس منها وما تركوا كلاماً سمعوه أو طالعوه في التواريخ من
هذا القبيل الا وأوردوه مستدلين به على أن القرآن ما جاء بدعوى المعراج
الا متابعة لتلك القصص وأن الاحاديث النبوية التي وردت في هذا المعنى
لا منشأ لها الا تلك الخرافات وزعموا ان اكثرها تخريفاً هو كتاب عهد
ابراهيم وقد كان ذلك منهم بعد ما جاؤا بقصة المعراج وما ورد فيها من
الانبياء السماوية وبعد ذكر الخلاف الذي وقع في المعراج هل هو بالروح أو
بالجسد . ثم جاؤا بكلمات من تفسير الامام ابن العربي الذي قيل انه لبعض
أئمة الطرق الصوفية ولم يكن لابن العربي الى آخر ما جاؤا به من الاراجيف
تزييفية . والتعميمات التضليلية . ليكون في الشبهة لهم شأن عظيم وعن
ذلك نقول

أما ما أوردوه من مقالة الاسماء بالاسماء كقولهم شجرة حوابة وحواميا
وباراق . وعزازيل مما جاؤا به من المداعبات التي تشابه مداعبات الاطفال
أو هذي المجانين شاهي الا محاورات زيفية لا نستحق النظر ولا الالتفات

لأنها معالطات جدلية يأتي بها أهل السفسة الذين يحاولون في الشيء بأداة
ثبوتيه وذلك لانه من المعلوم أن كل أمة معها تقدم عهدا في القرون لا
بد أنها كانت مسبوقة بأمر قبلها كان منهم أنبياء ورسول فان الله سبحانه
وتعالى نبأ من النوع الانساني أربعة وعشرين ألفا وما في الف نبي وما
من نبي منهم الا وذكر من انبياء الآخرة شيئا وما كانت الانبياء التي
ذكرها الزائفون مخترعة لناقليها ولا مبتدعة ولكنها منقولة عن الانبياء وما
تنوعت الفاظها بأنواع مختلفة الا لاختلاف اللغات في الامم فلو ان الانبياء
كانوا كلهم من العرب لكانت الانبياء التي تناولتها الامم منهم متحدة اللفظ والمعنى
وقد قررنا فيما ذكرناه من العقبات في مبدء الكتاب أن سبق التواريخ
للقرآن بذكر انبائه او بعضها وان كانت متداولة بين قوم مبتدعين أو عبدة
او ثان لا يكون دليلا على أن القرآن غير منزل لانه ما من واقعة أو نبأ
الا وله أصل صحيح من طريق النبوة فعلى هذا يكون الهندي الذي ذكره
الزائفون الآن غير مقبول ولا منظور اليه

وأما مسألة المعراج وما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء في
السموات وفي الارض فليس يبعد عن ادراك التصور لا من جهة العروج ولا
من جهة روي النبيين اما من جهة العروج فقد علم مما قاله المبطلون أنه ليس
يبعد لانهم أثبتوا وقوعه لعيسى وايليا وغيرهما وأنكروه من محمد صلى الله
عليه وسلم ثم احتجوا على من صورهم محاجين لهم بأنه لا يوجد نقود زائفة
ما لم يتقدمها نقود صحيحة فان النقود الزائفة ما عملت الا على منوال النقود
الصحيحة ثم قالوا انه لا يجوز لما قل أن يرفض التعامل بجميع النقود لوجود
نقود زائفة بل قالوا ان وجود النقود الزائفة تدل دلالة واضحة على وجود

نقود صحيحة لا غش فيها ثم أوضخوا البيان بقولهم فكذلك يصدق القول
على المعجزات لانهلولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع بمعجزات
كاذبة ولو لم يوجد دين حقيقي صحيح لما وجدت الاديان الكاذبة ولولم يشتهر
صعود رجال الى السماء حقيقة لما رأينا هذه الخرافات ثم جاوا يفرقون بين
المعجزات الصحيحة وغيرها بقولهم ان صعود أخنوخ وإيليا والمسيح الى السماء
كان حقيقيا لأن أخنوخ ورد عنه في سفر التكوين في الاصحاح الخامس
الآية ٢٤ أنه سار مع الله ولم يوجد . ثم قالوا واما ايليا فقد ورد في سفر
الملوك الاصحاح الثاني في الآية ١١ و ١٢ ما نصه . وفيها ما أي اليشم
وايليا يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما
فصعد ايليا في العاصفة الى السماء وكان اليشم يرى وهو يصرخ يا أبي يا
أبي مركبة اسرائيل وفرسانها ولم يره بعد ثم قالوا أما صعود المسيح فقد
ورد في الانجيل أنه كان وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم الى آخر ما
ورد في الانجيل ثم قالوا ان هذه القصص الحقيقية اتخذها الناس عن الذين
شاهدوها بأعينهم وهي منزهة عن الحكايات الخرافية مما في السموات وقالوا
نه لا شك أن القصص الكاذبة تختلف اختلافا بينا عن القصص الحقيقية
الى آخر ما جاوا به من التموهيات التي لا يلتفت اليها العقلاء لانها محاورات
صيبانية ومكائد كمكائد النساء ولو أن العقلاء بحثوها لوجدوها مكذبة لمدعيها
كل التكذيب ومؤيدة للحق تأييدا قويا قويا . وذلك من وجوه
الواحد منها أن تصديقهم بعروج أخنوخ وتكذيبهم بعروج محمد
صلى الله عليه وسلم ما هو الا هوس بين اذ كل عاقل يعلم علم اليقين ان الذي
صعد ثم نزل وحدث بما رأي ثم جاء بدلالات واضحات على صدقه أصدق نبا

من الذي لم يعلم الى أين ذهب فان قولهم ان أخنوخ سار مع الله ولم يوجد
لا يوجد في النفوس أدنى أثر للتصديق بعروجه . وانا وان كنا لا نكذب ذلك
خوفا من الوقوع في ورطات الجحود والجدل فيما ليس لنا به من علم ولكن في
مقام المناظرة والمحاورة نقول ان اليزيد بن معاوية هكذا كان حاله بعد قتل
الحسين رضي الله تعالى عنه لانه قيل انه اختطف ولم يوجد فهل لعاقل أن يكذب
من عراج به ثم عاد وظهرت عليه علامات الصدق ثم يصدق نبأ من لم يعد
ولم يقل قائل اني رأيته وقد عراج به الى السماء ان هذا هو الظلم العظيم

الثاني من الوجوه أن قصة ايليا ان حكنا بصدقها نقول انها هي البرهان
الصادق المثبت لمعراج ابراهيم الذي أنكروه كما أنكروا معراج محمد صلى
الله عليه وسلم لأنه في حال صعوده نادي قائلا يا أبي مركبة اسرائيل
وفرسانها . اذ افل يتعجب المتعجبون من روغان هؤلاء السفهاء في معاوراتهم
كما تزوغ او تزوغ الثعالب المختاله فانهم زعموا أن قصة معراج ابراهيم هي
من الخرافات الوهمية التي جاء بها كتاب عهد ابراهيم الذي سموه خزنة
البدع والاختراعات المكذوبة وقد اثبتوا معراجه بنص الانجيل لان العربية
التي رفعت ايليا هي التي رفعت ابراهيم وما كانت من نار الا ليعلم ابراهيم
أن الاله القادر على أن يطوف به ملكوت السموات والارض في عربية من
النار لا يصيبه منها أدنى ضرر قادر على أن يجعل نار التبرود عليه
يردا وسلاما

الوجه الثالث اننا نقول انا لو تحاشينا تكذيب أنباء النبيين لمسا في
ذلك من الانكار على قدرة الله ثم صدقنا نبأ ايليا الذي لم يشهده الا شاهد
واحد من ذوي القرابة وما شهد منه غير ركوبه العربية ثم لم يعلم بعد الى أين

ذهب فما هو البرهان على عروجهم الى السماء اذ ربما كانت طبيئته التي دفن فيها في مكان بعيد وحمته تلك العربية اليها بدليل أنه لم يعد الى أهله بعد ذلك فان قالوا ان الانباء التي وردت هي صادقة في الانجيل ومصدقة بعد ما أثبتوه من وقوع التغيير والتبديل فيه نقول لماذا كذبتهم القرآن الذي لم يقع فيه تغيير ولا تبديل واستنكرتم العروج بمحمد صلى الله عليه وسلم وربما أن الله سبحانه وتعالى لم يكرم هؤلاء بالعروج بهم الى السماء الا تميدا للمعراج محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون لعاقل ان يكذبه وكيفا يكون محلا للاستغراب واستبعاد الحصول . فلو ان في القوم عقلا . أو عدلا . أو انصافا لما كذبوا هذا وصدقوا ذلك حيث لاحظ لهم في التكذيب ولا في التصديق بذلك بل هو مجرد عدول عن الحق الى الباطل لما في النفوس من الحقد وعلامات الشقا

الوجه الخامس أنهم زعموا ان هذه المعارج هي المعارج الصادقة ثم جاؤا بالسؤال والجواب الذي ضربوا له امثلا بالنقود الزائفة والنقود الصحيحة ثم قالوا لا يمكن وجود نقود زائفة الا بعد وجود نقود صحيحة . وانا لنقول ان المعارج التي ذكروها في عهد ابراهيم وما قبله وما بعده من التواريخ هي السابقة لتلك المعارج التي اثبتنا الانجيل . اذا فتكون ابناء المعارج المتأخرة هي المكذوبة تطييفا لصدق المثل المضروب

الوجه الخامس أن النقود الزائفة هي التي لا يتعامل بها المتعاملون ولا يعتبرها المتعبرون بما يدخر للانفاق بل يكون التعامل بها نادرا اذ لا يتعامل بها الا الاغبياء والنادر لاحكم له فلو سلمنا ان هذا المثل ينطبق مفهومه على المعارج الروحية التي وقعت لبعض المجاهدين من ارباب الرياضات . فهل لعاقل ان

يتصور بمد ما شاهد من صحة الدين القويم . انطباقه على حال نبي كريم . انتشر
دينه في الاقطار انتشار الضوء في الآفاق بأقوى مما انتشر به دين موسى
وعيسى كما هو معلوم ومشاهد . اذ لو تطرق الانكار لدينه بوجه من الوجوه
لتطرق لجميع الاديان . واي مانع يمنع العاقل الذي حسنت ظنونه وسلمت
عقيدته من الزيف ان يقول ان معراج ابراهيم ومعراج محمد صلى الله عليه
وسلم ما كانا ليلا الا لانهما معراجا تكريم وتثبيت وهداية وارشاد كما
وقع لموسى عليه الصلاة والسلام في مبدء البعثة اذ الليل هو ميدان الصفا
والخلوات بين المحبين فذلك لم يشهدهما شاهد . وما على محب اختلي بجيبه
خلوة نال فيها ما نال من الحظ من عدل العذول وسفه الرقيب من شيء

واما معراج عيسى فما كان الا معراج انقاذ واختطاف من أيدي
أشرارهمو بما هموا به بما لا طاقة له على تحمله وكان ذلك في وقت تركه فيه
كل الاحباب وما صحبه الا تلميذ واحد أنكروه وأنكر نفسه وامرأتان وهما
الام والحالة فهل لمثل هذا المظلوم المنلوب غير الله اذ ذلك منقذ فما عرج به
الا معراج وقاية . ولو أن الحق سبحانه وتعالى عرج به عروج عناية
ليريه من آياته كما أرى ابراهيم ايمود لتبليغ رسالته لما اشهد عليه مخلوقا
ولكن فاقد التمييز لا يفرق بين قاف الوقاية . وعين العناية . فلو أن للقوم
عقولا لعلوا أن الله سبحانه وتعالى ما رفع الانبياء الذين رفعهم الى السماء
ولم يدمهم الى الارض الا رحمة بهم لانهم ما ظهروا الا في أزمان الامم الفاسية
قلوبهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب وحكمت عليهم سابقة الشقا وانه لمن
المعقول أن صاحب الاخلاق الكريمة اذا وجد بين قوم فاسقين فاسدة
اخلاقهم يكون معذبا منقص العيش شديد النكد دائم الهم كثير الاحزان

فما كان لله سبحانه وتعالى أن يترك احبائه بين قوم قد تكاثروا اذاهم
وفسدت اخلاقهم يتقلبون على جمر الاسف ونكد العيش . فان قال قائل ان كل
الانبياء كانوا كذلك وما وجدوا الا بين امم طاغين وقد طال عمر نوح حتى
بلغ الالف من السنين بين قوم يسخرون منه فلماذا لم يرفع الله كل الانبياء
تقول ان الله سبحانه وتعالى ما خلق انسانين منذ خلق النوع البشري
متشابهين في الاوصاف خلقا وخلقنا من جميع الوجوه بل خلق كل انسان
فردا في مملكته الذاتية لا يشاركه فيها مشارك ولا يعادله فيها معادل ولو
ان عاقلا نير البصيرة بحث في احوال الرسل لعلم اختلافهم في الشؤون مع
اتفاقهم في الدعوة الى طريق واحد . ولقد قام نوح يدعو قومه زمنا طويلا
بالحكمة والموعظة وما تأذي وما تضجر الا عند حلول الاجل الذي كان
فيه موعد اهلاكهم بحكم القضاء المبرم فلو قارنا حاله بحال عيسى عليه السلام
الذي كان يعمل الاعمال التي بها توهموه الها اذ كان كثير الفرار من الناس
طويل العزلة عنهم . دائم التضجر من احوالهم شديد الشكوى مما هم
عليه من القسوة لعلمنا الفارق بين الرجلين وعلى هذا المنوال يكون القياس
عند العقلاء الذين يحبون ان يعلموا احوال النبيين فما كان لله سبحانه وتعالى
ان يخلق المسيح عليه السلام او غيره من النبيين الذين لا طاقة لهم بمعاناة
الشدائد ولا قدرة لهم على سياسة ارباب القلوب الغليظة على فطرة ليس لها قابلية
لمصادمة الاعداء ولا لتذليل الجبابرة ثم يتركهم بين خلقه في عذاب اليم . فذلك
كان اختلاف الشؤون الالهية في معاملة النبيين فمنهم من اراحهم الله بالموت
ومنهم من رفعه اليه ومنهم من اراحه بالقتل ليغتم درجة الشهادة وتكون
تبعيته على من ظلموه ومنهم من اقام صورته بقيومية جبروت سلطان قهره في العالم

ليظهر معه آثار رحمة التي بها يخرج السعداء من الظلمات الى النور وكان
الله عزيزاً حكماً . ومنهم من جعله لسان الفيرة وصولجان كرة الانتقام
فأهلك قومه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وان في
الاشارة . لما يعني عن العبارة . وما كان الخطاب الا لدوي الذوق والتميز
(وما عليك اذا لم تفهم البقر)

(الوجه السادس)

ان قولهم انه لولا وجود معجزات صحيحة لما ادعى مدع بمعجزات
كاذبة الى آخر ما قالوه وما أرادوا به الا تفويق سهام الطعن الى محمد صلى
الله عليه وسلم ولكن لجهلهم بالكفاية في الحروب وكيف تفوق السهام وعجزهم
عن تحديد النظر لاصابة الرمي قد أصابت السهام بطونهم فانفجرت وظهر
خبيثها وزيحها المنين (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) وذلك لان هؤلاء
السفهاء لم يشبهوا على حال واحد فيما هم فيه من الضلال والاضلال والفساد
والافساد لانهم في كل اكنههم أنكروا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا
لم يأت بمعجزة قط وعلى هذا القول يكون عيسى عليه السلام هو آخر
من جاء بمعجزة من النبيين فتكون معجزاته مسبوقة بمعجزات غيره فيكونون
بنك القول قد فتحوا أبواب الجحود لليهود الذين الى الآن ما صدقوا
عيسى وقد كانوا على يقين من كفرهم لما جاء به القرآن من التصديق على
رسالة المسيح وصدق نبوته والآن قد قام قومه مكذبين للقرآن فلا يجد
اليهود اليوم برهاناً قوياً يقاوم ما ادعوه من انه ابن يوسف التجار وانه
كفن ساحراً مبيناً ولنا الآن أن نقول لو كان نبياً لظهرت عليه علامات
النبوة ولما عدتها أعماله حتى لا يكذبه مكذب وحيداً كالتسود وهو

سفهاء المسيحين حيث لاجحة لهم يقاومون بها أقوال الامتين الا الباطيل
التي ابتدعوها في الاناجيل . التي اعترفوا بأنها باطلة ومنها ما هو مخترع
مكذوب ولما استطاعوا أن يقيموا الادلة على صدق ما ادعوه منها صادقاً
وحينئذ يكون لكل مسلم ان يقول لهؤلاء السفهاء انا معشر المسلمين قد
آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لا لانه جاء بمجزات ولكن لانه كان
اكل الناس وأفصح الناس واكبرهم همة وأوفرهم عقلاً وأقومهم عملاً
وأوسمهم علماً وأعدلهم احكاماً وأرقاهم في درجات التدبير سياسة وما
سممنا بثله في النوع الانساني من عهد آدم الى الآن فلمنا أن حكمة الحق
صيحانه وتعالى نتعالى عن أن تخلق انساناً كريماً مثل هذا الانمان وثركه
عملاً فلذلك صدقاً أقواله وتابناه في أعماله متقادين لاوامره التي لم نعلم
لها معادلاً في العدل ولا مقاومة في التقويم ولقد جئتم تجحدونه بما زعمتموه
من أنه ناول دينه من أقوال الامم السابقة ظناً منكم ان هذا يكون سبباً
لنقص محبتنا له ونقض اليهود التي بيننا وبينه فما ازددنا فيه الاحباباً وما
زادنا اقوالكم الكاذبة الا يقيناً حتى وان كانت عمادة لانكم ذلك قد
أثبتتم أنه جمع بين السلم الوهبي والمكبي وانه كان كثير الاطلاع واسع
العلم ولو انه جاء بهذا القرآن الحكيم من عنده الذي لم يأت بثله موسى
ولا عيسى ولا أحد من الخوقات لكان ذلك كفاية له في المدح وكال
الشرف ورفعة المجد الذي لا يعادله فيه معادل بل لو كنا أمم الكم في درجات
الجون لتوهناه الها لاننا لو قلنا القرآن بكل الكتب المنزلة له لهر لكل
مطالع مميز أنه هو الافصح والامع والاجمع للحكمة والاقوم في القبل وانه
لا حلي في مذاق أهل الذوق الافضل من كل ما يشتهي واذا ذلك يكون

فقالنا ان يقول لكم بعد ان يضاهي بين ما جاء به الهكم الذي زعمتم أنه هو وأبوه في السماء ان الذي جاء بقرآنا أقدر واكبر وأعظم من أن يكون بينه وبين الهكم أدنى نسبة يتوهم بها المتوهمون انه يجاريه في الحال والحكمة اذا فماذا تقولون ياسفها الاحلام وياسفها العقول ويا مرضى القلوب ويا أعداء المروءة ويا حلقاء الزينج ويا نساء ابليس انكم اذا لمن الخاسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنفاً وانا لتترك الكلام في شأن عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم الآن حتى نصل الى موضعه من هذا الكتاب في الختمه ان شاء الله تعالى ثم نمود الى ما كنا فيه فقول والله يقول الحق ويهدي السبيل لقد قلنا فيما تقدم ان الرياضة التي هي بمعنى تهذيب النفوس هي روح المعارج وسلم العروج لارواح المتريضين وقلنا ان طائفتي الفلاسفة والصوفية قد اتمتا على ان الرياضة تمكن المتريض من العروج الى الملكوت السماوي وقتلنا عنهم قد اختلفت في ذلك شواهدهم وواعدنا ببيان ذلك الاختلاف وقد ان أوار ذلك البيان فقول

لقد انقسم أهل تلك المعارج الى ثلاثة اقسام كما ذكرنا قبل فمنهم الصاعد ومنهم النازل ومنهم الذي وقفت به هتته فأصبح من النادمين والى الحاليين الاولين يشير قوله تعالى (كلا ان كتاب الابرار اني عابدين) وقوله (ان كتاب انفجار اني سجين)

وما كان اختلاف أولئك القوم في الشؤون الا لاختلافهم في النوايا والاحوال لاختلاف القوال والاستعدادات والله على ما أقول وكل بيان ذلك يشير اليه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من

يريد الآخرة) وقوله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من
خلاق) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم
جعلنا له جهنم يصلها مذبذباً ومدحوراً ومن أراد الآخرة ونسى لها سعيها
وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا عند هؤلاء وهوؤلاء من
عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)

فكان من القوم من راض نفسه بالكف عن الشهوات والأغراض
لكي ينتهي بذلك الى الإحاطة بالمعلومات الكونية فيكون في أرقى درجات
العالم الكسبي حتى اذا ما وقف على حقائق المعلومات كان له الحق في أن
يتصف بوصف حكيم الذي هو مدلول لفظ فيلسوف في لغة من اللغات
وهذا هو حال الطائفة التي اذا تعالت بهمة فرد من أفرادها وكان ذا نفس
قوية اتهم سبها به الى أعلى مؤثر في المؤثرات العلوية من طريق
التفكير والظن فظن انه هو الاله الأكبر وتعد تعرضت تلك المعلومات
لابراهيم عليه السلام في مبداء امره فتداركته العناية الالهية واختطفته من
هذه الطريق الخفية الملهيكة الى طريق النجاة كما حكى الله سبحانه وتعالى
ذلك بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي) الى أن قال
(لئن لم يهدني ربي لاكون من القوم الضالين) يريد من اهل هذه الطائفة
الذين اتبعوا الظنون . فخالطهم الجنون . وظنوا انهم هم المهتدون . وما كان لنا
أن نتكلم على أحوال هذه الطائفة الآن لانا في طريق نبتني الوصول
الى نهايتها بياناً وايضاً حتى يبين الرشيد من النبي والله سعي من يتشبه
الى صراط مستقيم

فمن كان هذا حاله كان من الذين ردوا الى أسفل سافلين بعد رقيهم في
المعارج الروحية واليهيم الاشارة بمثل قوله تعالى (ثم ردناه أسفل سافلين)
لان الذي يدخل دار الخلافة مثلاً بلا اذن ولا مرشد لا ينتهي أمره
الا الى الطرد والحرقان مما بلغ به السير والتجول في افئدتها بل ربما قوبل
بالنهر والزجر العنيف والله لا يحب المعتدين

وأما الفريق الثاني وهم الذين وقفوا مواقفهم العلوية وما سعدوا ولا
نزلوا فأصبحوا نادمين فهم الذين كفوا نفوسهم عن الشهوات حذر الوقوع
في المناهي الشرعية ليصلوا بذلك الى رضوان الله تعالى والى الاقتدار على
سلوك طريق النجاة التي هي سبيل الاخلاص التي لا يسلكها الا من امتطى
الجواد الذي ضربنا به المثل في كتابنا المنسمى (بمثبت العقل والدين في الرد
على سفهاء المبشرين) وما هو الا الدين الاسلامي الذي ارتضاه الله لاجبانه
أنبياء كانوا او رسلاً او مؤمنين من أول فرد من أفراد النوع الانساني
الى أن تنتهي آمام الدنيا فمن كان هذا حاله تترقى به اخلاقه الكريمة
من طريق الفتوحات الربانية الى نهاية قابليته واستعداده فيقف هناك
موقف الضعفاء عالماً بأن وراءه مرامى مواصل اليها مد بصره فيغدو
كظلمة عاقه عائق عن ورود ما علم أنه قريب منه من الموارد العذبة وقد
وردها الواردون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

وأما الفريق الثالث وهم أهل الاختصاص الذين منهم الرسل والانبياء
والكابر الاولياء الذين هم الورثة للنبين فهم الذين لا يزالون في رقي وصعود
حتى لا يبقى بينهم وبين مطلوبهم الذي هو أم المطالب الا قدم واحد
وذلك القدم هو المشار اليه بقوله تعالى ثم (دنى فتدلى فكان قاب قوسين

او أدنى) وتلك المعارج منها ما يكون عن رياضة وهي معارج أهل
المجاهدات ومنها ما يكون اصطفاً وهي معارج الرسل الكرام ومن
سبقت لهم العناية من المقربين الذين أصبحت سيئاتهم حسنات الايراد
ومن أراد أن يعلم كيف تكون حسنات قوم سيئات آخرين فليطالع من
كتاب الفتوحات مقابلة المقامات بأضدادها التي جاء بها ذلك الامام
الكامل الذي عرف بأنه مربي العارفين فقد جاء هناك مبدئاً حال التوكل
مثلاً ثم يرجع الى بيان ترك التوكل وهكذا فعل بكل مقام من مقامات
السالكين فمن سلك تلك المقامات كان من الايراد ومن رقى الى اضدادها
كان من المقربين فتكون تلك الحسنات بالنسبة لمن تحقق بها وراها
سيئات والله يقول الحق ويهدي السبيل

وما أوردنا هذا الكلام الا ليعلم أولوا الالباب أن المعارج الاصطفائية
التي دعى الله اليها أحباءه ليطلعهم على عجائب مملكته العظمى لا تقاس بها
المعارج الروحية التي ينالها المترضون على أي حال كانوا أي سواء كانوا
سعداء أو أشقياء وكذلك لا تقاس المعارج الاصطفائية بمضاهيها لما قررناه
سابقاً اذ قلنا أن منها ما يكون داعية العناية ومنها ما يكون داعية الوقاية
كما سبق بيانه وويل للكاذبين وما كنا مكلفين أيها الاخوان بأن نبصر
القوم الذين جعل الله على أبصارهم غشاوة حتى يتبينوا الامر على ما هو
عليه لما في ذلك من معارضة الاقدار الالهية في أعمالها ولكننا منوطين
بارشاد من شاء الله أن يهديهم والله لا يهدي من هو مسرف مرتاب
فليعلم العقلاء منكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كلن الا
سراجاً منيراً داعياً الى الله باذنه ولقد بينا لكم من قبل قلبلاً من قواعد

دينه وسناتكم بأكل ايضاح في النهاية والله ولي التوفيق والهداية فمن
 وجد منكم من نفسه شائبة ارتياب في دينه أحدثها تومعات هو لاء
 الضلال فليط لب هو لاء المنكرين برهان التكذيب فان مدعى الصدق منا اذا
 لم يجد برهانا يساعده على صحة دعواه الا الشهرة والتواتر والاجماع لكان
 له الحجية البالغة اذ لا يجد متدين بأي دين دليلا على صدق دينه الا ان
 الا هذا البرهان واما المكذبون فقد جاؤا بيهتان عظيم

فان قالوا ان نبينا ما عرف ما هو المعراج الا من انبأ المتقدمين كما زعموا
 نقول ليس الشأن هنا دعوى معرفة اسم المعراج ولكن الشأن هل عرج
 به أم لا وذلك أمر ادعاه بين قوم عقلاء فصحاء أهل نباهة وادراك وقد
 حازه في تلك الدعوى الغالب منهم وأقام لهم البراهين الدالة على صدقه
 وصدقوه وآمنوا بأنه ما حدث الا بما رأى وما كان الخلاف بين علماء
 الامة في المروج هل كان أو لم يكن ولكنه كان في حاله هل كان بالروح
 أو بالجسد وستكلم على ذلك بما يقنع كل مجادل

وان قالوا ان الامور التي شاهدها في انبياء لا يقبلها العقل وما هي
 الا منقولة عن خرافات المتقدمين كما زعموا نقول ان نبأ المعراج جاء
 من طريقين طريق القرآن وطريق الحديث فاما طريق القرآن فقد
 أجمل الله في الاخبار به كل الاجمال كما يعلم من مطالعة الآيات التي
 جاءت في موضوعه في سورة الاسرى وفي سورة النجم وقد علم العقلاء
 صدق القرآن من طريق اليقين التي لا يتخلها ريب بوجه من الوجوه
 الزيفية وما علينا من هذي المجانين من بأمن

واما طريق الحديث فقد ثبت منها صدق المروج والاسرى بكل

حديث منقول في هذا الشأن وما كنا مكذابين بأبي حديث صحتاه منها
سواء اتصل سنده أو لم يتصل لمواقفة كل الاحاديث للكتاب والسنة
وهذه هي القاعدة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم المتداولين
لحديثه الشريف وما عابنا من بأس في قبولها كلها اذ العقل السليم لا يجحد
مانعا من قبولها وذلك لوجوه منها ما ذكرناه قبل من ارتباط العالم العلوي
بالسفلي وجواز حلول من تتوفر فيه شئون القوابل والاستعدادات في
أيها حل كما سبق ايضاحه لان الله سبحانه وتعالى ليس بماجز عن
الايان بخوارق العادات ولو بحثنا في كل مصنوعاته لوجدناها كلها على
غير مثال معهود ومن زعم أو يزعم أن قدرة الله تحكم عليها الطبايع والعادات
فما هو الا كافر جهول ولقد أشار الحق سبحانه وتعالى الى عظم قدرته
بمثل قوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فمن
كان مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى هو الموجد لجميع الموجودات ثم بشك
في قدرته على أن يبدل حالها فليس بندي عقل ولا فكر سليم
إذا فليس من المحال رقي من اراد الله من البشر رقيه الى السماء
بأي حال يريد

وعلى هذا يسوغ لنا أن تناول جميع الاحاديث الواردة بالقبول
والتسليم وان وجدنا فيها تناقضا فما علينا الا التأويل الذي يزيل التناقض
ان استطعنا اليه سبيلا ولكن أهل المدوان ربما أولوا آيات القرآن
الحكيم التي لا تقبل التأويل الى ما يلائم أغراضهم واذا صادفهم حديثان
بينهما خلاف لفظي شنوا الاغارة على الزيادة ظلما وعدوانا وما الله بفاقل
عما يسئل الظالمون

ولكنها ما شهدت الا بما علمت . ولو قلنا انها لم تنم في تلك الليلة لكان
لقائل ان يقول ان قدرة الله سالحة لان تمثل لها مثال نائم كيلا يزعجها
تفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يتجدد كما انه لا حرج علينا ان قلنا انه
أسري به بروحه حاله كونها متجسدة كما تجسد الارواح النورانية ولا يهولنا
مسألة شق صدره وغسله بماه زمزم وافراغ الحكمة فيه فان ذلك امر كان
ملكوتيا لا يدري كيف كان الا من تولاه من الملائكة اذ من المعلوم انه
لم يكن عمل طبيب جراحي ولا فتكا بمعدة جازر كما توهمه اهل الفسوق
والجدل ومتى كان أمرا ملكوتيا لا يسبغ وقوعه للجسد البشري او للروح
المتجسدة الا كل غيبي مقتون لان الاله القادر على رفق فتق الاجساد
الطبيعي الذي يحصل بالآلات الجارحة وعود الجسد على ما كان عليه
بالحال التي لا يعلمها احد غيره الا من طريق الظن قادر على كل عمل
يريده ولكن الظالمين بآيات الله يمجحون

وانه لمن المعلوم ان المعراج ما كان له من داعية الا ما اراده الله
سبحانه وتعالى من اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على عجائب مصنوعاته
ليكون ايمانه الذي هو معنى العلم هنا علما عيانيا لا تتخالط أنواره ظلمات
الشبه بوجه من الوجوه وليخبر أمته بما هو الامر عليه في الشؤون الفيضية
التي ضل عنها أبو العلاء المعري فقال

ما جاءنا من قال منهم انه * في جنة من مات أو في نار
وما عني بقوله منهم الا الاموات ألا فاعجبوا لعبادة ذلك الضال وقد
كان أزكى أهل زمانه ولفساد فكره اذ كذب انباء النبيين وانكر البعث
بعد الموت محتجا بذلك القول الفاسد مع علمه بأن النائم لا تصل اليه انباء

من حوله من المتيقظين بحال من الاحوال كما لا يصل نبأ ما يراه في نومه اليهم وهو يجانبهم ونصب أعينهم مع أن روحه لم تقارق جسده مفارقة كلية فكيف اذا يكون حال الميت الذي انتقلت روحه الى عالم غير الذي كان فيه فهل يطمع طامع عاقلا كان أو معتوها في أن تصل انبأؤه اليه مع تباين الحالين تباينا كلياً فلذلك أرى الحق سبحانه وتعالى نبيه أرواح النبيين متجسدة بالحل التي شاهدها ليعلم هو وأمته علم اليقين أن البعث لا ريب فيه ثم تم له البيان بحال آدم عليه السلام الذي أراه آياه مع بنيه ليعلم كل من بلغته دعوة الرسالة أن الجزاء لا بد منه ثواباً وعقاباً وما كانت أعمال الله سبحانه وتعالى بخالية عن حكم عليه فويل يومئذ للكافرين وان من عجائب الصدف أن الامام ابن عربي محيي الدين رضي الله تعالى عنه كان يطوف حول الكعبة والناس في شديد ازدحام فرأى من طريق الكشف روحاً متجسدة في الطواف تتخلل أجساد الطائفين وهم لا يشعرون فغيب نقاره عليها حتى أدركها وقال لقدك الجسد من انت يرحمك الله فقال له أنا السبتي أخو هارون الرشيد وقد كان قلوب زمانه فسأله عن أشياء واجابه عنها ثم غاب عن بصره وما برح من مكانه وكثيراً ما يرى أولياء الله الأرواح متجسدة ويخاطبونها ولكن أهل الزيف في ضلال مبين

وليعلم كل منكم أنها الاخوان أن النوع البشري ما تحمل امانة أصعب ولا اشد خطراً من تبليغ الرسالة ولا يكلف الله سبحانه وتعالى بها الا من علم منه القيام بأداء واجباتها علماً وحالاً وقولاً وعملاً ولا يكون هكذا الا من علمه الله واطلمه على كثير من أصرار الرؤية اطلاقاً بما ينبت

ليكوني مثبثاً في أمره صادقاً فيما عزيمته داعياً اليه على بصيرة من الأمر
وما كان المعراج روحياً كان أو بدنياً الا لهذه الدواعي وعلى أي حال
كان به الموج فما كان الا محمولا حملاً ملكوتياً يجهله الزائغون وينكروه
المضلون وما كان البراق الذي حملة من الدواب التي تشارك المنكرين في
أوصافهم البهيمية من أكل وشرب وبراز وما كان مسرجاً ولا ملجأً
بما تسرج وتلجم به الدواب ولكنها شون ملكوتية لا يعلم كيف كانت
الا بارتها ومدعها (فلا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً
وضلوا عن سواء السبيل)

وان من أعجب ما وقع من هؤلاء الضلال أن قالوا ان بسم الله
الرحمن الرحيم مأخوذة من كلام بعض الكتب القديمة المحتوية على رسائل
كان أول كل رسالة منها بسم الله المعطي العافر الرحمن العادل فلوفرنا
أن البسلة كانت في كل كتاب منزل او غير منزل بحروفها والفاظها هذه
فهل يكون وجودها في القرآن قادحاً في صحته وهل جاء القرآن بطريق
في العبودية والآداب تخالف طريق النبيين والكتب السماوية وهل
افتتح صاحب تلك الرسائل رسالته بهذا القول الا بالهام من الله او نقل
عن رسول من رسل الله او تكون الرسائل منزلة

وعلى هذا يجب على المؤمن الحق ان يسأل اهل الباطل بقوله اذا
كانت البسلة كما تزعمون وقد علمنا بركتها واسرارها واتخذناها مفتاحاً
لكل عمل نرجو بركته والانسان لا يعامل الا بظنه ونيته وقد اصبح حالنا
في اعتقاد البسلة وجميع آيات القرآن يقينياً لا ظنياً انه من عند الله . فما
حالكم ايها السفهاء في كلمة الكفر التي افتسحتم بها عباداتكم اذ تقولون

بسم الاب والابن والروح القدس الله واحد مع علم كل عاقل ان تعدد
الالهة ممنوع وانه لا يكون الابن ابا ولا الاب ابنا ولا يجتمع الوصفان
في موجود واحد الا اذا كان الأب اباً ابنا لغيره والابن ابنا لغيره فمع التسلسل
والتسلسل يصح ان يكون الأب بعد ما كان ابنا صار ابا كما هي حال
البياتم والآدميين وجميع المخلوقات فكيف اذا تصورون كون الأب
ابنا و ابا ومعهما ثالث ويكون الكل واحدا فان كل التصور مقبولا
بدركة المتصورون قهروا لنا تقرير انهم كمن طريق التصور . وان
كان ذلك امرا وهميا فنبينوا بأي طريق فهمتموه

ألا قاتل الله الغي وقومه . ومن كان مبالا لغي غباوته
ولاسر يوما بالغي صديقه . ولا فرحت بالوغداخت لحالته
ثم قال الالعة الله على الظالمين الالهل من قاتل لهؤلاء الاغنياء
اتشكرون القيامة وما فيها ام تعترفون بها وما فيها فان انكروها علمنا
انهم من الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا . وغرثهم الحياة الدنيا
وظنوا انهم الى الله لا يرجعون ومن كان هذا حاله كان هو وعبد
الوثان سواء فلا حاجة لنا بجداله . وان اقرؤا بصدق القائلين
بالبعث والنشور فليسألهم السائل عن حاله القيامة كيف يكون ومن آمن
وصلتيم أنباؤها واذا لم يكن فيها نار ولا جنة ولا ميزان ولا صراط فاذا
يكون فيها فان اجابوا بوجود أشياء غير التي جاء بها القرآن فليقل لهم
بأي حال سميت أنباؤها كم عن انباء القرآن حتى يكون الوثوق بها أقرب
من الوثوق بآيات الكتاب الحكيم فان قالوا ان الانجيل صادق الانباء
فليقل لهم انه قد تشابه على الناس أمره بفساد بعض الكتب البصيرة

واعترافكم بأن من الاناجيل ما هو مصطنع ومكذوب ثم يقول يا أيها
السفهاء ما وجهكم في تكذيب أنبياء ما اطلتم على أصولها وما جاكم رسول
من الله بتكذيبها انكم والله اني ضلال مبين فهل كانت موافقة القرآن
للأنبياء التي ثابوها القدماء عن الانبياء سبباً في فتنكم ام اصح اقتنائكم
بالمسيح سبباً في كفركم بآيات الله ورسوله أم انتم من شياطين الانس
الذين الذين افتنوا بفلسفتهم الطبيعية فأصبحوا خاسرين

ثم قل وعجباً لطفيان من لا يستحي ولا يخف كيف يورده النار
وبس الورد المورد قام القوم السفهاء بزعمون أن سلمان الفارسي رضي
الله تعالى عنه كان أحد المعلمين لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان ملازماً
له فهل من عاقل يرد هؤلاء الضلال عن غيرهم بقوله اذا يكون سلمان
أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وأعتل منه وأوعي وأفصح كلاماً وأرق
منزلة فلماذا لم يكن عند القوم بمنزلة كمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم ولماذا
لم يدع انه صاحب الفضل ولماذا لم تأتونا بحقيقة من الحقائق الكثيرة التي
استفادها محمد صلى الله عليه وسلم من سلمان الفارسي كما زعمتم وكيف
يكون ذلك مع ما هو معلوم ان سلمان وغيره من كل الصحابة كانوا
يستفيدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يحتاجون اليه من
العلم والآداب وهل تكون اشارته له بأعمال المنجنيق دليلاً على انه
كان يعلم القرآن او لم يقل له ربه (وشاورهم في الامر) الأهل من
صاعنة كصاعنة عاد وثمود الذين جحدوا انبياءهم وسموهم خرافات كخرافات
المنجنيق تختلف كل من تعالى في البغي وتجول في مجال الجحود الى حد
لا يخف فيه لومة لائم (وما هي من الظالمين بعباد)

(الكلام على الفصل السادس)

قل للنزير وقد طالت اساءته • يامزعج الجار لاحتيت من جار
 أنرك هوك وكن للرشد متبماً • فظلمة النبي قد تلتيك في النار
 أتدعون وأنتم مظلون عني • تنوير أفهام أهل النور بالفار
 ثم نادى ذلك الرجل اهل ذلك النادي وقد غربت شمس ذلك اليوم
 ونادى منادي الصلاة ببي على الفلاح قنلا أيها الاخوان لقد أمسينا
 وأمسى الملك لله الواحد القهار وسنصبح ان شاء الله نحن وأنتم في كنفه
 الله وفي كنف رسول الله وفي كنف القرآن العظيم وفي كنف بسم الله
 الرحمن الرحيم

ثم قل لقد افتتحننا يومنا هذا باسم الله وبمحمد الله اختتمناه فبكروا في
 الغد بكور الغراب فما اجتمع جماعة من المؤمنين الا وفيهم ولي الله لاهو يعرف
 نفسه ولا القوم يعرفونه ثم انصرف قائلنا عند سماع الاذان اللهم ان هذا
 اقبال ليك وادبار نهارك وأصوات دعائك اغفر لي اللهم احينا مؤمنين
 طاهرين وتوفنا مسلمين تائبين واجعلنا يوم الفزع الاكبر آمنين وثبت
 اقدامنا على الصراط المستقيم وادخلنا برحمتك وكرمك في جنات النعيم
 يا ابر يا رحيم يا عالم يا كريم

ثم لم تشرق شمس الغد من هاتيك الليلة المباركة الا وقد تم لاحتمل
 واستقبل القوم قادمهم الى الجنة بشاشة التبدل وهشاشة الترحاب فجلس
 مكانه بالامس ثم استدعى ذلك الموائف وقال اللهم اني استلثك الآن
 أن تدفع عني كيد الحاسدين وظلم الظالمين وشر المعاندين واحمني تحت
 سرادقات عزك يا اكرم الاكرمين وباعد بيني وبين اعدائي كما باعدت

بين المشرق والمغرب وانخطف عني ابصارهم بنور قدميك واضرب رقابهم
بجبال مجدك واقطع اعناقهم بسطوات قهرك . واهلكهم ودمرهم تدميرا
كادمت كيد الحاسدين عن انبيائك . وضربت رقاب الجبابرة لاصفيائك
وقطعت اعناق الاكاسرة لاقبيائك واهلكت الفراغة ودمرت الدجالحة
لخواصك المقربين وعبادك الصالحين فأغثنى وأعني على جميع اعدائي
انك على كل شيء قدير . اللهم من كادنا فكده ومن قعدنا غلبنا فخذ
ومن اراد بنا وبالمسلمين ضررا او سوا فعليك اللهم به فانه لا يعظم عليك
يارب العالمين

ثم تأمل في ذلك المؤلف طويلا وقال بعد ما تبسم ضاحكا متعجبا
من سفة القوم وسوء افتنائهم . لقد صدق القائل ان اكثر مصارع
المعول تقعت بروق المطامع وما أرفع هؤلاء اقوم في درحات هذا المقت
الأبدي الذي اركسهم في جهنم جميعا فالبسوا الحق بالباطل الاخصة
المطباع التي الجشتم الى الطمع فيما لا طمع فيه بغير تمييز بين النافع والضار
واقدر قبل رأس العقل التمييز بين الجائز والممتنع واني لاعجب من هؤلاء
الانعام كيف يبرزون ولكن الامس كما قال الشاعر

ينال الفتي من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتي في دهره وهو عالم
ولو كانت الارياق فخرى على الجبابرة * هلكن اذا من جهلهم النيهام
ثم قال ما اقبح الحماقة وما اضربها بأهلها وما من حماقة اشد ضررا
من حماقة من جاء بهدم قواعد دين قوم متين مضى عليه ثلاثة عشر
قرنا وهو منبع الاركان قوم البنيان . وهل تعمل معاويل الزيف والتلففة
في قوائم الفتي القوم شيئا من هذا هو الضلال البميد

قيل لبعضهم ايسرك ان يكون لك مائة لاف درهم وتكون احق
قال لا والله قيل ولم قال لاني أخاف أن يجني علي الحق جناية تذهب
بالمال ويبقي الحق . وقال بعضهم من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة
هواه . ويهين نفسه في اكرام ديناه . وهل من عصيان اكبر من معادات
سيد المرسلين . وهل من اهانة أشد ضرورا من التقرب الى جهنم بافساد
عقائد المسالمين

ثم قال واعجبا لحليف المزابيل كيف لا يقع الا في أعراض الملوك .
وهل من الأدب أن يفخر جاهل بسعة جاه الانبياء وبنسبته الى بعضهم
مجرد انتساب ديني مع ما هو عليه من قبح الاخلاق وقد قال القائل
أيها الفاخر جهلا بالنسب انما الناس لأم ولأب
انما الفخر بعلم واجح وبأخلاق حسان وأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته (اعلمي يا فاطمة فان
محمدنا لن يفني عنك من الله شيئا) فكيف اذا يسوغ غلوه لاجله . التفاخر
بالانتماء . لدين المسيح وما علموا ما هو الدين ولو أنهم تدينوا بدينه الحقيقي
لا نزلوا الناس منازلهم ولما خاضوا في ما ليس لهم به من علم ولا لا بانهم
ثم اشتد غضبه فقال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)
وقد ورد في كلام النبوة . من لا حياء فيه لا خير فيه . واذا لم تستح
فاضع ما شئت

وقد علمت أيها الاخوان ما كان عليه المسيحيون والمسلمون من
الروابط الودية . من عهد النبوة للمحمدية . حتى الآن وعلمت ما كان منه
سفهائهم في هذا الزمن اذ جاؤا من السب وسوء الأدب بما لم يأت به من

أسيلا فهم الا لعض افراد كانوا من حلفاء الطيش والفتون وما كانوا الا
ممتوتين في أعين عقلاء تلك الأمة وما كان لهم من سيرة تذكروا ولا من
أخبار تنشر. واما صفها هذا الزمن منهم فقد قذفوا بأنفسهم في مهواة الهلاك
من حيث لا يشعرون وما كان لحالمهم فيما جاؤا به من الاضاليل من شبه
الاحال سفية جاورت كراما قد أحسنوا جوارها وعاملوها بما تقتضيه
اخلاقهم الطاهرة فكانت كلما مالوا الى اكرامها أضمرت لهم الالهانة حتى
قويت شوكتها فأطقت لسانها عليهم بالسب والقول الفاحش واستعمات
مهم كل قسوة وفظظة وخيانة وقامت تدبير كل حيلة لكيدهم والله لا
يهدي كيد الخائنين

لندجاء القوم في هذا الفصل السادس بما يضحك أولي الالباب وما تحصله
الا أنهم استدلوا على أن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا عقلاء وكان منهم في
زمنه من يسخر من الاوثان وعبادة العابدين لها ويعترف لله بالوحدانية
ومنهم من كان على علم بدين ابراهيم عليه السلام. وانهم كانوا يحشون كل
البحث على الاديان الصحيحة. وذكروا اياتا لبعضهم في هذا الشأن تدل على
أن صاحبها كان ذا خبرة بالدين الخبيفي وكان يوحد الله وزعموا أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتخذ عقيدة ذلك الرجل معدة في اقامة دينه وزعموا
أن آراء زيد بن سمر أثرت على دين محمد تأثيرا عظيما وأنه استنفر له ولم
يستنفر لآئمه وما ذلك الا لانه كان يساعده على مباديه الدينية الى آخر
ما زعموه. ثم اعترفوا لقبني صلى الله عليه وسلم بالمهارة والذكاء ووفرة العقل
ومحسن السياسة. ثم اعترفوا بأنه اتى من أحكام التوحيد بأمر نافعة بعد
ما جاؤا بما جاءت به صاحبة منار الحق الخاطئة من أن آيات القتال الواردة

في القرآن الكريم دالة على أنه من شترعات محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا كله دعوا الناس الى تلاوة الانجيل ومتابعة المسيح عليه السلام والاعتراف بألوهيته الى آخر ما جاءوا به من الخرافات التي تزري بقدر من يتفوه بها ان كان السامع عاقلاً وله من الذوق نصيب يدرك به ما أضمره المتكلم من خفي الكلام اذ الكلام ماهو الا صور تجسد بها ارواح ضمائر المتكلمين . فتجذبها اوعية الأذن لتعرضها على نقاد تصورات المخاطبين . فلا يقبل ما كان منها معلولاً لا من لا يحسن التصور والله يقول الحق ويهدي السبيل

زعم السفهاء من القوم فيما قبل هذا الفصل أن أنباء عاد وثمود واصحاب الفيل كانت من الخرافات المعروفة في قريش وانها كانت تذكرها العجايز في أنديةهن صباحاً ومساءً الى آخر ما زعموا وانه لكلام مدعش لا من طريق أنه ضرب من الجنون لا ولكن من طريق أنه صدر من قوم جاؤا بأنباء كثيرة من كتب متفرقة وأوردوها تنواريجاً ونمى ثبت صحة وجودها في تلك الكتب فأثبتوا بذلك أن لهم في الاطلاع والمعرفة التقدم الثابت والنظر الواسع ولكنهم لما ادعوا دعواهم الباطلة في أنباء عاد وثمود واصحاب الفيل أحدثوا في القلوب شكاً في حالهم يفيد أن النصوص التي جاؤا بها في مؤلفهم ما هي الا تبايع فيلسوف ماهر زنديق ألقاها اليهم ثم تركهم في خوضهم يلبسون لانهم لو كانوا أهل اطلاع ونظر وكانت لهم قلوب يفقهون بها لسبق الى فكرهم ما أدركه المطالعون لاقوالهم الزيفية الآن من أنه لو كانت أنباء عاد وثمود معلومة هنالك لقربش كما زعموا وكانت من تخاريف العجايز منهم فكانت هي الضربة القاضية اذ ذلك على رسالة من جمل قرآنا وادعى أنها من الوحي السمائي وكانت سبباً في نفور من آمنوا

به منه . ولقالوا له مقالة قوم موسى لموسى ما حكاه الله عنهم بقوله (قالوا
 اتخذنا هزواً) فأجابهم بقوله (أعود بالله أن أكون من الجاهلين) فهل
 لناقل أن يتصور أن رجلاً عاقلاً كاملاً شهدت له بالزكاة ووفرة العقل
 ومكارم الاخلاق وحسن الآداب اعداؤه . وشهدت برفعة من اتقى أثره
 الى ذروة المجد أحباؤه يصدر منه عمل كهذا العمل الذي زعموه فياتي
 بخرافات ميمها الاطفال من عجائز الحي كما زعموا ويدعيها وحياً بين قوم
 عادين منكرين متكبرين وبين أمة آمنت برسائله لما تحققوه من كمال عقله
 ونزاهة أخلاقه تالله ان هذا التصور لا يكون الا من ذي عقل مقفود
 وجنون مشهود أو اضلال مقصود (فإلهو لاء القوم لا يكادون يفقهون
 حديثاً) وان تعجب فعجب قولهم ان نبأ اصحاب الفيل من الخرافات مع
 أن تلك الواقعة الشهيرة النبأ ما كان بين الرمن الذي كانت فيه وبين زمن
 البعثة الا اعواماً لا يفترض فيها كل من شهدها وما كانت تلك الواقعة
 الا في مواطن قريش وبين منازلهم اذا فيكون تكذيب هو لاء الضلال
 لجميع الانبياء ما هو الا من هذا القبيل وانهم اذا لهم الكاذبون لأننا ما
 سمعنا عن كذب واقعة الفيل من كفار قريش الذين كذبوا القرآن والرسالة
 ووجدوا الألوهية وكانوا كلما جاءهم بآية قالوا ان هذا الا افك مبين .
 فكلنا هم الاحق بتكذيبه في دعوي وقوعها وبالوقوف في وجه فائل ذلك
 القول وقوف المجادل الحق وربما كانت تنهار دعائم دعواه اذا ذلك بتلاطم
 أمواج ذلك الاقتراء المتتابع الذي ما جاء بمثله مخلوق غير المشعبذين الذين لا
 حرفة لهم غير الا باطيل واختلاق ما لم يخلق . وهل لتصور أن يتصور أن
 انساناً يدعي دعوي باطله بين أقوام عقلاء أهل نباهة ثم يني قواعد دعواه الباطلة

على الا كاذيب والخرافات المتداولة بينهم ثم يفتدوا مؤيداً منصوراً في
الحياة وبعد المات ثم تمكث دعوته ألف عام وثلاثمائة عام . وهي مرفوعة
الاعلام كأنها غرة في جبهة الايام . أظن أن ذلك الهندي لا يحوم حول
دائرة التصور بوجه من الوجوه . الا هل من متأمل . الا هل من متبصر
قوي الشوكة ذي نعلين يصفع بهما وجه كل بطليل مبهول

قام القوم الضلال بين شبان أزمانهم وفي وجوه جهلاء العامة في اوقاتهم
قيام الغتيان الذين اغتصبوا حرقة الراقصات وأخلاق الباغيات فأصبحوا
عمقوتين في أعين الخلق والخائق وانها لحرقة تشين الاحوال . وتزري بالرجال
لا خجلين ولا خزايا يقولون ما نقله عنهم أصحاب هذا المؤلف . وما كان
لهم أن يتبعوا آثار هؤلاء السفهاء الذين جاؤا بما أوردناه مجملًا . وسنأتي
به مفصلاً . فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ذهب القوم الذين ما شبهناهم بين وصفوه العوام بوصف الخول الا
لجراته على الفظائع وعدم المبالاة والاكثرات بلوم اللاتمين . واعتراض
المنتقدين . الى أن قرىشا كان منهم من هم الموحدون والباغضون لعبادة
الاصنام وزعموا أن أولئك القوم الذين كان عددهم أربعة أشخاص كما
زعموا كانت اعتقاداتهم هي مبدأ أصول الدين الاسلامي ثم أوردوا شعر
زيد بن عمرو دليلاً على ذلك وأيدوا ذلك الدليل بأن النبي صلى الله عليه
وسلم استغفر له ولم يستغفر لآمه وقالوا انه كان ممن لهم اليد الطولي في
تعليم النبي صلى الله عليه وسلم

ألا فاعجبوا أيها الاخوان . من هؤلاء الخوان . كيف أودي بهم الجبل
وأدام الى أن لا ينظروا كيف تكون عاقبة مكرهم فكأنهم ظنوا أن

لا يصفى لما قالوا الا من لا عقل له فهو رابا باطيلهم تمويها لا يتوهم صدقه
الا كل غبي مقنون وذلك لان الشعر الذي اوردوه لا يوتى به برهاننا
الا على من يدعي أن الله سبحانه وتعالى ما كان معروفا قبل بمشة محمد
صلى الله عليه وسلم وانه ما كان على وجه الارض من موحد قبله اذا فيكون
لمورد ذلك الشعر أن يقول له كذبت لان زيد بن عمرو كان من الموحدين
وكان قبل محمد . ولكن هذه الدعوى لم يدعها مدع لافي زمن محمد ولا
في ما بعده اذ اليهود كانوا موحدين لا يعلمون الله شريكا وكم من أمم انبياء
ورسل كانوا موحدين قبل نبوة هذا الرسول الكريم وكما كان في الكون
من اديان مختلفة وكان الغالب من أهل تلك الاديان يعتقدون وجود
الله ووحدايته حتى أن عبدة الاوثان كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله
(ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) كما ذكرنا سابقا في وجه هؤلاء الضلال
في الاستشهاد بتلك الاشعار أو بعقائد هؤلاء الاشخاص الذين ذكروهم
أولم يعلموا أن الله الفاعل المختار كلما اقتضت ارادته ايجاد موجود يغير
حاله حال الموجود في الزمن الذي يكون قبل وجوده ما تعلقت الارادة والقدرة
باجياده يهيئ له استعدادات وقيمة تجري عليها احكام الوقت سواء كان
صلاحا أو فسادا فيما يراه الناس وان العقلاء يعلمون ذلك ولقد شاهدنا
وقائع ذلك في مثل واقعة المرابين التي جعلها الله سببا لضعف الايمان
في قلوب كثير من الناس وقلوب الغالب من الوجوه وسببها هجر المناسك الدينية
من القوم الذين أصبحوا لادين لهم فكنا في ذلك الوقت لانسمع من
الاطفال مما تلهج به ألسنتهم الا التفتي بقولهم
يا ديني يامه مناديلي يامه وكانت هي مفاتيح الاغاني المرابية في

ذلك الوقت وما كانت الا نمية للدين والمناديل التي تضعها النسوة على
وجوههن وروسهن عند استتر عن أعين الناظرين وما زالت تلك الاغاني
اغانيهم حتى استغنوا عن الدين والمناديل بالتمن والابتدال وكذلك اذا
اقلت اذ ارا بخير سابقتها الانطاف بيواده فما كانت بواعث الخير التي
بمشت زيد بن عمرو ومن معه الى تفقد الدين الحقيقي الا بوادر الطاف وعناية
اسعاف حتى اذا جاء صاحب النبوة وجد قوبا ملهوفة وافسدة مشفوفة
الى ماجاء به من الحق ولكن كثيرا من الناس لا يفقهون . ولن يتحقق
ما ذكرناه الا من كان ذا اذن واعية وقلب يقظان له عيون تبصر سر
سريان الاقدار الالهية في الاكوان والله على ما اقول وكيل

وما كان استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الا لما علمه
منه من صدق البرزمية على الرشد لو وجد مرشدا بدليل ما نقل عنه من قوله
له . اللهم لو اني اعلم أي الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكني لا اعلمه
وما كان هذا القول منه الا عن طوارق اذعان . وبوادرايمان فأني نبي
يسمع عن رجل هذا الكلام ولا يستغفر له وان في ذلك القول لذكري
لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وذلك لان ذلك الرجل الماقل
كان في أمة اجتمع فيها اليهود والنصارى وعبدة الاوثن فما ميز دينهم
الثلاثة عن الآخر ولو أنه وجد في احد الاديان الثلاثة خيرا لاتبه ولكنه
مارأى الا قوما ضالين فهجر الكل والتجأ الى جناب الحق سبحانه وتعالى
ليهديه سواء السبيل

فلو اننا قلنا ان الله سبحانه وتعالى بث في قلب ذلك الرجل وامثله
علائق الحق وبوادر الدين في دياحي تلك الظلمات الزينية متدمة لا تنوار

الرسول الكريم كما يكون الاسفار البين للنفس قبل بزوغها أيكون ذلك
تقصا في درجة النبوة أو عيبا في الدين (كلا) ان القوم لفي ضلال مبين
فيا ايها العقلاء سلوا هؤلاء المجانين عن الوعد والوعيد الذي جاء به
زيد بن عمرو في شعره بالجنة والنار من أين أتى بهما وعن توحيد الاله
من أين عرفه وعن المودة والتي حرما وأهلها اليوم علنا وهم ما
كان منشأ هذا كله هل جاء به زيد بن عمرو من تلقاء نفسه أم هو من
الروابط الدينية التي تدين بها الخليل عليه السلام وكذلك سلوهم كيف علم أن
الله سبحانه وتعالى له أسماء منها الغفور ومنها الرحمن هل كان ذلك من نبا
الانبياء أو من مخترعات زيد. أطن ان كل عاقل يعلم علم اليقين أن هذا
كله كان من الدين الخنفي الذي زعم زيد أنه لم يكن في ذلك الوقت من
القوم من هو على ذلك الدين غيره كما نقل عنه أولئك الضلال بقولهم انه
كان يسند ظهره الي الكعبة عند ما أدركه الكبر ثم يقول يا معشر قريش
والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم من احد على دين
ابراهيم غيري

ثم سلوا هؤلاء الاوباش هل خالف اسحاق ابراهيم في دينه الى
دين آخر أو خالفهما يعقوب أو خالف داود جدوده أو خالف موسى
الكل أو جاء عيسى مخالفا لدين داود وموسى فان زعموا مخالفة واحد
للباقين فقد كفروا وضلوا ضلالا بعيدا وان انطقهم الله جل جلاله بالصدق
واعترفوا بأن دين الكل واحد وانهم كانوا على دين ابراهيم فسلوهم ما هي
الدواعي التي اخرجت محمدا صلى الله عليه وسلم عن هذا النظام النبوي
والارتباط الديني وقد كان أشبه الكل في كمال الاخلاق بأبيه ابراهيم جل

كان هو الشمس التي علا نورها واشتد ضيؤها فاحتجبت تلك النجوم بكمال
ذلك الضياء (والله ذو الفضل العظيم)

أما الاخوان تأملوا في سفة هؤلاء السفهاء وقبح اخلاقهم اذ يقولون
ان العرب ما اطلقوا على زيد ومن معه وصف حنفاء الا لانهم تركوا
دينهم فوصفهم بوصف حنيف الذي معناه باللغة العربية والسريانية نجس
أو مرتد كما زعموا . فهل هؤلاء الضلال اعلم من محمد صلى الله عليه وسلم
بلغة قومه وبمقاصدهم ان كان كما زعموا انه هو محمّد القرآن أم هم اعلم أم الله
لذا كان القرآن من الله كما تحقّقه المسلمون فكيف يكون ذلك الوصف ذمياً .
ثم يصف الله به ابراهيم أو يرضاه محمد لانيه وصفا ان هذا هو البهتان
المظيم

وانه لمن علامات الجليل بمواقع الخطاب قولهم ان قول النبي صلى الله
عليه وسلم في زيد انه يبعث يوم القيامة أمة وحده هو بمثابة التصديق على
مبادي زيد ومدعاة تالله انهم لفاسقون
وذلك لانه مامن مؤمن ولا مؤمنة ولا نصراني ولا نصرانية ولا
من اليهود من يقول بخطأ زيد في اعتقاده ومباديه . وما كان قول
النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث أمة وحده الا لعله بأن الله سبحانه
وتعالى يجمع الرسل يوم القيامة ثم يقول لهم (ماذا اجبتم) فيكون كل
رسول شاهدا على امته وما كان زيد بتابع لرسول من الرسل وما كان
مخالفاً لرسول منهم بل كان حاله في الاعتقاد موافقاً لما جاؤا به بدون
مقابلة فلا بد أن يكون في المحشر امة وحده لانه ليس بماص ولا بطائع .
ولكنه كان على اعتقاد مطابق للواقع ومن كان هذا حاله كان قليل الخوف .

وضعيف الرجاء يوم القيامة لانه لارجاء الا عن عمل صالح أو معرفة تامة
ولا خوف الا عن قسوة وعصيان وليس في الموقف من يكون هذا حاله
الا من كان كزيد بن عمرو لانه لا عمل له يرتجي به رفع الدرجات والقبول
ولا اجرية يخاف عقباها فيكون وحده امة لا كلام لانه لا يجد امة يتحيز
اليه يكون حالها كحاله فكأنه يكون غريبا من جميع الامم فن عصاة
الامم التي أرسلت اليها الرسل معذبون وطائعوها مثابون بأعمالهم واهل
الفترة لا معذبون ولا منعمون واما هوفن المرجون لامر الله ولا ينال المفاض
والنعيم الا بحسن الظن وسلامة الطوية هذا هو معنى قول رسول الله
صلي الله عليه وسلم الذي كان لا ينطق عن الهوى ولكن الظالمين في
ضلال بعيد

ولقد جاء هؤلاء الضلال من الخزعبلات الزيفية بما لم يكن في حساب
المطالعين ولا تتصوره مدركات السامعين ولا يأتي بمثله الا سفهاء المتلاعبين
فما حاكوا بتلك الخزعبلات الا ذوى العيب من الاطفال الذين يتنادون
أو يتناجون بمثل قولهم لبعضهم حال التحاور الصدياني بالمناوشة الهزلية (تمتلك
مالفك وكنك خرى سنك) وما ذلك الا لجهلهم بما هي النبوة وما هو القرآن
وما هو القول الحق اذ لو كانوا ذوي أذواق سليمة وقلوب تفقه القول لما
قلوا أن سورة الكهف من خرافات العجائز كما سبق ايراده والتكلم عليه
بما تسمعه عقولهم اقتداء بقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اخاطب الناس
على قدر عقولهم وانا لنقول الآن ونقسم كل قسم اقسام الله به في القرآن
وانا لصادقون لو ان سورة الكهف او القرآن كله لم يأت بكلمات تحوي
من الاسرار ورقائق الاشارات ودقائق الحقائق الا قوله تعالى في وصف

حال اصحاب المكهف اذ قل (وضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عددا)
 فكانت هذه الآية الشريفة أقوم حجة وأقوى دليل وأوضح برهان
 على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب القول الحق المحكم لما حوته هذه
 الكلمات من الحقائق وما تحتها من الاسرار والاشارات التي لا يقف على حقائقها
 ولا يحيط بها علماً الا من علمه الله سبحانه وتعالى وأطلعه على أسرار صنعه
 ولطائف تكوينه ألا فسألوا لأطباء عن معنى الضرب على الآذان
 وكيف يكون وبماذا يكون ولماذا خص قائل هذا القول الآذان بالذكر دون
 جميع الحواس وكيف يكون حفظ الاجسام الزمن الطويل بوجود جميع
 احساسات الحواس فيها ما خلا الآذان ولذلك قال ذلك القائل الذي علمه
 الراسخون في العلم من هو (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) وهل
 كان ذلك التقلب لتلك الاجسام الا لتستريح الجنوب من طول الاضطجاع
 فكانت تنقلب بغير شعور كما يتقلب النائم اذ لو سلبت الاحساسات
 الحيوية لمارت كما تمر اجساد الموتى ولو انها كانت غير فاقدة الاحساس
 وطال بها الاضطجاع على جنب واحد لتمزق ذلك الجنب ولكن الحكمة
 الالهية قد فعلت بهم من الصنع البدع ما لا يعقله الا من هو العالم بأسرار
 التكوين (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ألا فاتونا بطبيب ماهر
 محرب عالم بفن التشریح وقد درس جميع العلوم والقنون الطبية فان جاءنا
 بما يوقفنا على حقائق هذه الكلمة واسرارها وما ذكرناه من الاستفهامات
 بكلام صادق ثابت الصفة واضح البيان اكون اذ ذاك اول معترف بأن
 القرآن جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه وان لم يأت بشيء
 من ذلك وادعى ما يدعيه الفلاسفة من ان حفظ الحياة على الاجسام الزمن

المطويل بالحال التي جاء بها القرآن غير معقول تقول له انك لجهول كفور

واننا والله لمؤمنون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

فمن اين محمد صلى الله عليه وسلم هذا العلم الذي صدرت عنه هذه

الكلمة التي لا يعقلها الا العالمون ولا يصل الى نهاية ما تشير اليه من

الحقائق التكوينية والابداعات التركيبية والنظامات الخلقية الا من

يرشده الله سبحانه وتعالى اليها بوحى او تلقى الهام فهل قالت له مارية القبطية

هذا القول او تعلمه من زيد بن عمرو وكلا ان كيد الكافرين في ضلاله

ثم قال لقد تخيل القوم خطاهم وعلموا عيبتهم وخافوا مقت القلوب

لهم فقوموا انه ربما رد عليهم راد بما قلوه من انه اذا كانت مصادر

الاسلام كلها لا قوام متفرقين فما لكم نسبتهم للدين لمحمد اليس ذلك من

الاجحاف بحق اهل هذه المصادر ثم انكم ان نسبتموها لاهلها وقلتم

ان محمدا نقلها عنهم فلا يتصور العقل ان هذا العمل كله مع ما هو عليه من

الظهور لم يكن لمحمد فيه اثر الى آخر ما جاوا به

ثم اجابوا عن ذلك الرد المتوهم بضرب مثال المهندس الماهر الذي

يجمع الاحجار والاختاب وغيرها مما تحتاج اليه المباني فيصورها قصرا

مشيدا ثم اعترفوا لله صلى الله عليه وسلم بالحنق والمهارة وكال العقل وسعة

المعرفة والعلوم وشدة الحنق ورقة البلاغة الى غير ذلك من الاوصاف

الكبالية ليتوصلوا بذلك الاعتراف الى اثبات اقتداره على الاختلاق والتصنع

ثم شبهوا ما زعموا انه تناوله من القوم من الانبياء والاعتقادات بياه متواردة

من جهات متعددة صبت في مكان واحد فصارت كنهز متغير اللون

والرائحة وزعموا ان دينهم كالنهر الصافي الذي ظهر من ينبوع واحد ثم

دعوا الناس اليه ليكون سببا لتجاتهم
ثم قالوا انه لم يخلص الحمد من آيات القرآن الا آيات القتال لانه
هو الذي ابتدعه من بين قومه بغير تعليم وجاؤا بغالب آيات القتال
الصادرة في القرآن كما اوردوها في بعض مؤلفاتهم التي قابلناها بما فسقها
واثبت ضلالهم في كل ما كتبه فيها والآن نقول على وجه الاختصار
ان القوم قد ارشدونا الى معالم الرشد بأقوالهم هذه فما على الحكم
الا ان ينصر والله خير الحاكمين

هذا هو النهر الذي جاء به محمد ما زال جاريا الى الآن وهذا هو نهر
السيح عليه السلام لم يزل بين جدران ديارهم فان ارادوا بالنهر الكتاب
أي القرآن أو الانجيل فليذوق الذائقون من كل نهر شربة حتى يتبين
العذب الفرات من اللح الاجاج من جميع الالفاظ والمعاني ودلائل الرشاد
والارشاد في الكتابين ومتي اغترف الحكم من كل نهر غرقة بيد الاطلاع لو
السماع فوصلت بما تلك اليد الى ذوقه تصور الصواب في الحكم وان كان غيبا
وان كان المراد بالنهر هو العبادات والآداب الكمالية فما على
الحكم الا ان يجمع بين أقوم ركن من حلة الرسولين الا وهو الفاتحة من
صلاة محمد صلى الله عليه وسلم التي علمها لامته . والدعاء الذي امر به عيسى
عليه السلام قومه ان يصلوا به الذي فيه قوله آتنا خبزنا ومتي تبصر الحكم
فحوي الخطاب من ركني الصلاتين علم مزايا القائلين وهم المصلين
وسياقي الكلام على ذلك بعد اجل قريب

واما آيات القتال التي ذكروها فقد يتناوَقها في كتاب مثبت العقل
والدين ردا على الحاطة صاحبة متارالحق وسنورد قليلا من ذلك القول

لينبه المطالع ان لم يكن متيقظا بصيرا فنقول

انما الدليل الشرعي على امر الله نبيه بالقتال هو وقوعه من الانبياء
السابقين من بني اسرائيل وغيرهم كما يشهد بذلك كل كتاب ساوي واما
الدليل العقلي فان كل عاقل يعلم علم اليقين انه لا يستقيم امر من الامور
قام به قائم وقاومه قوم عادون الا بالقتال متى كان ذلك الامر يستدعي
الدوام والبقاء دهورا سيما اذا نشأ ذلك القاسم بذلك الامر بين قوم
جبارين اقوياء اولي نفوس آية وأئنة وتعاضم وما امر الله سبحانه وتعالى
نبيا من انبياء بتال قوم ضعفاء قط اذ لا يكون ذلك من مقتضيات نزاهة
الحكمة العلية عن العبث في اعمالها الا ترى قول قوم موسى فيما حكاها الله
عنهم اذ قال لهم (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على اديباركم فتقلبوا خاطبين) فأجابوه بقولهم (يا موسى ان فيها
قوما جبارين وانا لن ندخلها ابدام ادموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون) وليس بجهول ان الندوة والحسد وشدة الغيظ
والحنق لا يربوا ربيها في قوم من تلبس بها الا اذا قوي المسود وارتفع
شأنه وتماثلت كلمته فكلاما زداد كالا ورفعة في مراتب المجد اشتد حتى
حساده وتجمعوا على معاداته وايصال الاذى اليه ومن المعلوم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لم يكن من الرسل من هو مقارن له في صفاته واعماله
وانتشار دعوته وقد كان كثير المرص على ايمان القوم الكافرين شديدة
الحرز على شدة جحودهم لانه كان مأمورا بتبليغ الدعوة لكافة الخلق
فلذلك كان جهاده وقتاله الشديد وما كان ذلك الا عن امر الهي اذ
ليس من الحكمة ان يأمر الله نبيا بتبليغ دعوة الحق لكافة الناس ثم ينهاه

عن اقتال او يتركه وشأنه كلا ان اهل الجحود لفي ضلال مبين اذ لو
كان الامر كذلك لما ايد الله موسى بآياته البينات ولا اعان عيسى على
اعماله الروحانية ثم لما كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا عربيا قرشيا كامل
الهمة على النفس شريف الحسب لم يكله الى خوارق العادات بل اسعفه
بافتح والنصر المبين ولولا ذلك لبطش به وبقومه القوم المجرمون والله
در القائل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذي حتى يراق على جوانبه الدم
فان للقوم عقولا يعتلون بها احوال الرجال . او اذواقا يميزون بها
مراتب اهل الكمال . من أعمالهم واحوالهم واقوالهم لملوا الفارق بين محمد
صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام بمجرد الاطلاع على سيرة كل
متفهما اذ الكلمات البشرية والاخلاق الشريفة والهمم العالية لا تخفى على
من يتبصر في سير الفاضلين ويتفقد ما ترمم وان هذا لمصداق المثل الذي
اشتهر بين العامة حتى في افواه اطفالهم اذ يقولون من جهل اصله فدلائله فعله
وليس من المعارف الاصلية والادراكات الذوقية ان يحكم المميز بين اهل
الكمال بالفضل وكمال الشرف لمن جاء يشفي مريضا أو يبرأ اكمه او ابرص
او يخلق من الطين طير افاق هذا وما شابهه ليس من الكمال في شيء لانها
اعمال روحانية تابعة للاختصاصات التكوينية التي خصصتها الارادة لافراد
من النوع الانساني موافقة لمقتضيات النظام التكويني فلقد سمعنا من العجائب
التكوينية ان امرأة تظهر في كل عام في فيافي بعض الاقطار شديدة النور
عمن يراها ومن خواصها ان من ذبحها وشرب من مرقها يخبر بالمغيبات الى
غير ذلك من الاحوال التي جاءت بها عصا موسى وجلد بقرة قومه وعمل بعض

العقاير التي اذا وضعت على مرض زال وكذلك الشون التي تصدر على أيدي
أرباب المجاهدات الرياضية الحارقة للعادة وما يصدر من المعيان أي المسود
الذي ربما آفات من قصد موته في الحال حيث يتكبد من المشاق غير نظرة
واحدة ومن كان ذا عقل واعتدال وانصاف في الموازنة اذا تأمل في شون
الرسولين يرى أن عيسى عليه السلام ما جاء في أعماله واقواله بأكثر
مما جاء به كثير من أتقيا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا ربايين
ولا تكون كثرة العمل دليلا على التفاوت في الفضل فقد قال الله تبارك
وتعالى (انه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما
أحيى الناس جميعا) ولكننا مع المشابهة في كثير من الأعمال والاقوال بين
المسيح عليه السلام وبين كثير من اكابر هذه الامة لان نجد بدا من حفظ
حقوق النبوة له عليه السلام اذ لا يوازي ولي نياقظ والا لكان الاولياء
الذين جاؤا بما جاء به عيسى من الأعمال كهيسى وليس كذلك وكان
الواعظون من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين جاؤا من بلاغة القول
وثمرات الحكمة بما لم يأت به نبي من نبي اسرائيل مقارنين للمسيح في
الشرف عاذا أن يتصور مسلم عاقل ذلك كما لا يتصور من له ادنى
احراك ذوقه أن رسولا من الرسل يساوي محمدا صلى الله عليه وسلم في
كالاته ومبوهته كما سيق يسانه ولا ينكر علينا ما نقول الا كل صمدوك
جهول

ثم قال ايها العقلاء أما دعوى الوهية المسيح أو بنوته فقد سقطت
شراطات قواعدها وجدانها ارضية من عهد الرسالة المحمدية وسقطت منزلة
دعوتها من اعين الخلق والخالق بما جاء به الذكر الحكيم من البراهين

القطعية والدلالات العقلية والقول الفصل الذي لا يمارضه الا كل أفك
أثيم وانها لدعوى باطلة مهزولة القوي لا تقوم لها قائمة الا اذا ادعاها
المدعي بين اقوام ضلال جهلاء استولت على عقولهم بساطة العتة وغفلة
الغبابة أولئك القوم الذين طبع الله على قلوبهم واصمهم واعى ابصارهم
فاصبحوا في مفاعد افتنانهم وديار جهلهم جائئين الذين اطاعوا افرادا
سفها يتركونهم في مظلمات منازلهم ليحملوا خطايا النساء بمجرد الاعتراف
وربما كان الحمل بينهم متبادلاً واستغفرا الله والله على كل شيء شهيد

ثم قال ولقد نقرر لكم في تصحيح الترجيح ومثبت العقل والدين ما فيه
الكفاية لبطالان تلك الدعوى ولو كنتم على يقين ثابت وايمان صحيح
صادق لما طلبتم بعد الكتاب الحكيم دليلاً ولا اتخذتم الى البحث في هذا
البحث سبيلاً . فليس بعد السراج المنير بيان . ولا وراء العقل السلم
ميزان . ولكن الشأن كما قال الله سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين في
سورة الكهف التي كذب بها المجرمون (من يهدي الله فهو المهتدي ومن
يضل فلن تجد له ولياً مرشداً)

ثم قال وأما ما ذكروه من أمر اسماعيل واسحاق عليهما السلام فلا
يعد عند العقلاء الا من قبيل مثل العوام اذ يقولون (قرعة تباغت بشر
بنت ابن خالها) وما كنا ممن بلغ بهم الحق وسوء الافتان الى الخوض
فينا لا يعني من الفضول في القول الذي لم يعلم له عالم من حقيقة الارب
اسماعيل واسحاق سيما وقد نهانا الله عن مثل ذلك الخوض بقوله (فلا
تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) ولو أن الفضل يكون بين الفضلاء
بالبركة في النسل لكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه الذي

ورزقه الله بمائة ولد من صلبه يجاهدون في سبيل الله ببركة دعاء النبي له
أفضل من عيسى عليه السلام الذي لم يأت بولد واحد ولو أن كثرة
الانبياء في نسل الافاضل يحدث أفضلية لكان آدم افضل من كل مخلوق
سواء عيسى عليه السلام فانه مامن نبي ولا رسول ولا ولي ولا مؤمن ولا
مؤمنة الا وهو من نسل آدم عليه السلام وعلى زوجته الكريمة رضوان
الله وصالواته ورحمته وبركاته عليهما وعلى من صلح من ذريتهما وكان الله
بعبادة خيراء بصيرا ثم ان كل ذي ذوق سليم حتى من العامة يعلم علماً
أدبياً أنه لاحظ للمسلمين ولا للمسيحيين في تفضيل أحدهما عن أخيه ولا يجب
ان يبحث في هذا المبحث الوخيم الذي لا يبيل الى البحث فيه الا كل أخرق
مخروم العقل لا يدري أي الحاصل اكمل ولا يميز من الاعمال ما هو
القيح والاحسن وأما ما جاؤا به من ضرب الامثال وزخرفة الاقوال
فقد قام الحق في مقابلتها من قبل أن تقاومها في قلوب أهل الايمان يدافعها
بقوة اليقين وصدق الايمان ونور المعرفة حتى زهق الباطل (ان الباطل كان
زهوقاً) ثم قرأ ذلك الرجل قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة
أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا
على آذانهم نفورا) ثم مرق ذلك المؤلف بأشد ما يمزق به الثوب الذي
سبب النار بذيله أو الكتاب المملن بحروب . من ضيف ممقوت لتقوي
محبوب . وقال

أقول وقد شاهدت أسنى المشاهد وما كنت خصماً لا ولست بشاهد
ولكنني مثلت حالي وحال من رأيت يجاسوس سعى خلف رائد

وما رزق الا من اراد اختانهم
فجئت ارى ماذا وياشوم ما ارى
اى اليوم افوا ما اذا قلت ما لكم
يقولون ازمنا على هدم دينكم
وتخفيض اعلام الديانة كلها
وجئنا الى التثليث ندعوا شيوخكم
فنادت هل في القوم يا قوم مطمع
فقالوا وجدنا الكل في هجر دينهم
ومتهم اناس ساعدونا بزيفهم
فقمنا لتدعوم سراعا لديتنا
وكي يسجدوا والاسم الصليب ويخضعوا
فقلت ومن عيسى فقالوا بقده
فقلت وهذا الخلط من أين جاءكم
ولو أنهم كانوا ثلاثا لعاقبهم
واى يكون الاب والابن واحدا
ومن ذا الذي منهم اى متجسدا
فان كان حشر الكل في بطن مريم
به كانت الاكوان من غير حاكم
وان كان ابن الله قد حملت به
فقول لماذا ما تشابه حاله
ومن لم يشابه أصله كان غلاما

وخية سمام بيت المفسد
وانى اتاحي الان اهل التشهد
فقد تم لنا في حيننا كل مرصد
وتخريب ما تدعونها بالمسجد
ودفع مقانيها وتلك الماهد
وصيانيكم كي يطهروا بالتمجد
وعلى لكوني فعلكم من مساعده
كذات ملال اعرضت عن مواعد
وزخرقة الاقوال ضد المعضد
عسى أن يفوزوا بالتعميم المؤبد
لعيسى اله الناس في كل معبد
هو الاب والابن الوحيد التعدد
وما من اله لاورى غير سيد
بسايقه التدبير خلف المقاصد
أسهل ثبوت اثنين في ذات واحد
وقد كان محكوما لطور التجسد
فياشومه حشر بأضيق مرقد
اذا التدت مثل الهباء المبدد
ولم يك خلفا للاله الممجد
يجل أبه في امتناع التوحد
لمن حملته حين قذف التردد

وستان ياروح الغباوة بين من
وبين عظيم قد تعالى سموه
الا فاذكروا وجه التشابه انه
والا فلم يولد كذلك لم يلد
وان خلتموه كلمة قد تكونت
اذ الكل من كل الوجود كلامه
الم يتكلم ربنا غير كلمة
تعالى اله العرش عما طنتمو
الاهل لرويا كم ترون معبرا
يدس لكم سم الضلال لتهدوا
وأكل خمير خمرها ليسحروا
فيا شوته تعسا له من معبر
وسحقا لوغد يدعي العلم كاذبا
يظن كثير النفع ضارا وعكسه
فخير لكم أن تقبلوا النصح والهدى
فما ينبغي في الدين جعل تعصب
فما أهلك الباغين الا غرورهم
ألا قل لمن قاموا يقولون اننا
أيا معشر الاشرار يا عصابة الخنا
ضلتهم ضلالا ما سمعنا بمثله
أسأتم اله الصلب شر اساءة

اذا ما ارتوى بالامس يظأ في الغد
عن الماء والماعون ياشر معتدي
بعيد عن الادراك فأتوا بمسند
يدودان ريب الشك عند التردد
تقول كلام الله غير محدد
ومن لم يصدق كان اجر جاحد
اذ اكلن وصف العي وصف الاما جد
وما ظنكم الا كاحلام راقد
سوى ذي ضلال مفسد متعمد
لما ابتدعوه من ضلال التعمد
بتخميرها من بكروا للمعايد
يمبر عن رويا الخصي بمولد
وما علمه الا كطيش المرديد
ويفسد بالاضلال حال العقائد
ولا تعبوا بالدين من غير مرشد
ولا سوء تصميم لضال ومقتدي
ونقلد اهل الزيف اقبح مورد
أتينا لهدم الدين دين محمد
ويا جمع الاوباش من كل شارذ
ولا في خرافات الوهيدي بن معبد
واسننوه للمدو المعاند

وبالقلم قلمتم ثم بالموت تومنوا
 لمصلب رب فصلته يد العدا
 ألا قبح الله الجهول وجهه
 فما ذنب طه يا مجانين عندهم
 وما عيب قرآن حكيم تكاملت
 أتى ساترا عوراتكم وعبوبكم
 سوى فرد تليذ تخوف فاخفتي
 وما جاء جبريل المقدس كاذبا
 وأصدق قوال تنزل موحيا
 ألا تنجلوا يا أخسر الناس صفقة
 من الزور والتزوير والافك عندما
 وان عبيدا يصلبون الهكم
 فحكموا عيسى يماكي تماسة
 كتاب أبي شادوف ينشكم به
 ولكنني يا قوم أقبلت ناصحا
 فقد جتكم أنبي التودد زائرا
 ألا فامخوني لفنة من قلوبكم
 لعل فئات الهي منكم اذا رأت
 تميل لارشادي اذا جئت ناصحا
 والا فما زلت حميرا ولم يزل
 عليكم عذاب الله أضعي محتا

فيا ام حنا كيف يا حن تجدي
 وظلما أعدوه لأشنع مشهد
 وألجأه للتخزي لا للتمرد
 وما كان الا خير هاد ومرشد
 به كل آيات الرشاد لمهتدي
 بنبي الذي لم تثبتوه بشاهد
 وخائفة بني العدو المهدد
 ولكنه والله أخبر رائد
 الى خير مبعوث بأكل مرشد
 اذا قيل للاعضاء في الموقف أشهدي
 تقولون ان العبد بالرب يفندي
 ويؤذونه بالقتل يا شر أعبد
 محبة حلاف صبا للنفد
 فما أنا بالراوى ولا بالمؤيد
 لكم فاقبلوا قولي بغير تردد
 مشوقا لرواكم على غير موعد
 لما قلته عن حسن ظن ومقصد
 محاسن أقوالي وصفو مواردني
 وتعلمني في عينها شبه ائمة
 بكم كل ضال للتحرفات يهتدي
 ولعته في القليل والامس والنفد

أبي الله الا ان تكون جهنم
التيها فسيروا كيف شتم فانما
ويا معشر الاسلام ما ضر دينكم
سوي زيفكم عنه وبعد قلوبكم
وعن فهم آيات الكتاب كآتت
وما ضركم الا الذين تفلسفوا
نراها قوي فعالة بطبيعتها
وهذا هو الكفر الصريح وانما
وقد الجأؤكم للجهود جهالة
فكانوا كائنصار النصرارى عليكم
ومنكم كسالى قلدوا كل زائف
سهوا بالملاهي غفلة عن صلاتهم
كان فروض الدين تحت اباحة
وما هي الا واجبات تحتمت
أما علموا أن الصلاة مواقف
الا هل لمن ينسى الاله فضيلة
أضاعوا حقوق الدين حتى أضاعهم
وقال لهم حنا وبولس تابعوا
فما حالكم في الجهل الا كمالهم
فما عوج سير في الفساد كسيرهم
وما اكثر ثروا بالمهلكات أما علمهم

كفينا اظاها مؤنسل التمره
يجازى بما يتوبه كل مجاهد
وأطمع فيه كل ضال ومفسد
عن الرشد والايان كل التباعد
وعن منهج الناجين أهل التبعيد
وزاغوا فقوالوا لا تفر لوجود
نسي عقولا فعلها لا بمنصد
طوياتهم نخفي على كل نافذ
برخرفة الأقوال في كل مشهد
وما كلن منكم غير طول التجملد
وقد قابوا الداعي بنوم التقاعد
لكيلا يكونوا في المقار كسعد
يخبر في اتينها أي قاصد
على كل يقظان قوي ورشد
ينال مزايها كرها كل وافد
وهل لكسول حظوة بمقاصد
وحتى دعاهم للمس كل قائد
الها صلبناه ومات لفتدي
الأساء حل المدعي والتملد
وقد قفلوا ففند الحذر المقيد
ولا ما يلاقوا عند ضيق المراقد

فله ترك الاوباش منكم وشأنهم
 لأن ظلام الجهل أعمى قلوبهم
 ألم يقولوا ان الذي اوجد الوري
 وهل ينزل الجبار من فرج صريم
 فمسح عنه ايمه من برازه
 وياليت شعري ان رأيتاه خاريا
 بماذا اذا ندعوه يا عصى الخنا
 ألا هل لعبد أن يقول لأمه
 فدعا لقوم ما احسوا بخزيم
 فلو أنكم ياملون عقلمو
 كذا لو تدبرتم من الذكر محكما
 لكنتم على بعد نفرون منهمو
 ولكنكم تستهزون بما به
 وكم من يموض يؤلم الفيل مصه
 فصونوا عن الاوباش واطي نعالكم
 وتوبوا عباد الله عن ذنوبكم الذي
 ولا تأمنوا مقت الاله وسخطه
 وقيل ابشوا بالهجرمين وجازم
 فما بالكم من بعد ما أن قد هذا كمو
 توافون اهل النار من حيث لا ركسوا
 فوالله لو أن البصائر نهدت

لكانوا لعيسى اليوم أول ساجد
 فاميزوا الموجود من حال موجود
 تنزه عن اكل وشرب ومولد
 وقهره رغما شون التمهيد
 قدورات ما يلقيه في الامس والند
 على نفسه اذ ذاك في كل مرقد
 الى الرشدها هودا عسي اليوم نهدي
 الى سيد الخارين يا مريم اسجدي
 وقد سجدوا للجهل في غير مسجد
 معاني حديث مستند عن محمد
 أني يرشد الصادق الى خير مورد
 فرار أنيس من تعيس معربد
 يناجونكم جبلا بكيد المعاند
 وقد يفسد البرغوث احلام راقد
 ولا تدخلوا حان الخنا والمفاسد
 بخاريكم بالكر لا بالهند
 فكم ضر حال الزائفين بهتدي
 وبطش شديد البطش ادهى مبدد
 واكرمكم بالمصطفى خير قائد
 حوالي مبانيتها تلك المشاهد
 شاهده كل شر تلك القاصد

ولكنها حجب على الناس أسدلت
بك اليوم يا مولاي لذننا تبرأ
وياربنا يا مذهب الحزن والعنا
أزل عن ضياء الدين ظلمة جهلهم
وبين لعباد المسيح ضلالهم
عهدناك يا مولاي باراً ومحسناً
ألا هل يحول السخط يارب بيننا
وتركنا للمقت والفوت والجفا
نظف تخنن يا الهي تكرماً
فنحن نثام يا كريم فبعد ما
ترينامن الاعراض والمقت ما نرى
فصل الهي بكرة وعشية
وموسى وعيسى والنبين قبلهم
ووصل جبالي بالمحبين واهدني
وقوم بسيف النصر حالي وحبلي
عليك صلاة الله ياخير مرسل
وارجوك يا كهف الليف هشاشة
وبالله فاشفها بحسن شفاعه
واكرم أبي والام ياخير شافع

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ثم جلس الرجل مستريحاً واستدعى بكاً من من الماء القراح فلما روي

قال لاحول ولا قوة الا بالله العظيم مالي ارى الناس يتقبلون في شوقهم
 طوع أهواتهم واغراضهم تقلب الانعام في مراتبها كأنهم حشرات هائمة
 على وجوهها لا يهتدون الى الرشاد بالارشاد ولا يميزون الغوي من الهادي ولقد
 مالت قلوبهم الى زعماء الزندقة بأشد مما كانت تميل به قلوب المتقدمين الى
 الهداة المرشدين . ومال الوقت قد صار مظلما واهله يتخبطون في مساعيهم
 تحبب المشواء في الغياهب الحالكة مع ان السراج الذي اهتدى به
 السابقون لم يزل شديد الضياء كثير الحفاظ يتلى في مجامعهم غدوا وعشيا
 وما زالت مؤلفات المرشدين الذين شيّدوا قواعد الدين بين ايديهم وفي
 خزائنهم ومل مكاتبهم وهم اليها لا ينظرون . كأنهم عمي لا يبصرون . فواعجبا
 لصنع القدرة ذات الاقدار . وواعجبا لسرعة نفوذ الاقدار . ويادهشة
 العاقل من رؤية هذه التقلبات الوقية . وسرعة حلول انقاديير الالهية
 ورضي الله تبارك وتعالى عن صاحب الحكم المطائبة في مناجاته حيث يقول
 الهي ان اختلاف تدبيرك . وسرعة حلول مقاديرك . منعا عبادك العارفين بك
 عن السكون الى عطاء . والياس منك في بلاء ثم تغير حال الرجل واضطرب
 واصفر لونه وارتعدت فرائصه خوفا من الله سبحانه وتعالى وطال شخوص
 الحاضرين اليه حتى صار كل شاخص لا يكاد يرتد اليه طرفه وقد استطاع
 كل من القوم من حال ذلك الرجل دهشة الموقف الهائل وشدة الكرب
 يوم الفرع الا كبر ثم قام ذلك الرجل با كيا متحبا يترنم بقول القائل
 فرض على الناس ان يتوبوا لكن ترك الذنوب اوجب
 والصبر في الثابتات صعب لكن قولت الثواب اصعب
 واللهم نصريفه عجب وغفلة الناس عنه اعجب

وكل ما يرتجي قريب والموت من كل ذلك اقرب

ثم اتبعه بما سمعت به فربحتة فقال

ونكته الطيش لا تحاكي وخزي يوم المعاد انكبي

يساق المصنف كل من فسد غدا له الطيش شر مركب

للجهل صرع غدا بهايا لكن صرع العلوم اهدب

وليس يغني طلاع من لم يفسدو بتأديتنا مؤدب

ومن يغير الفروض اضحى يبغي التذاني فسا تقرب

وصكل راحي الاله عفوا بلا متاب فذاك اشعب

فيلزقني وآل ودي ومن عليهم أخشى وأرعب

اعمل الملاهي تنافسوها وحاولوها من كل مذهب

والقوم قوم الهدى قليل منهم وحق النبي المذهب

وما تحامي بلا اعتزال من خاف جار في الناس أجرب

فلا توالوا من لم يوالي كل الولا النبي والرب

ولا تصابوا من قد أجازوا على الاله الميت والصلب

فهم لدينا عبيد سوء لهم ترى في الشرك مأرب

فأذروهم وخاصمهم ان واجهوكم في أي مسرب

ومم جندام جنبوم فشر عدسوا وهو محسرب

ولمن تحبوا الفرار منهم فما سوى الله فط مهرب

لئلك ربي وجهت وجهي واليوم ربي لئلك أرغب

فصل ربي علي حبيب لكل أهل الوفا محب

ولا تدعني أعين حسلا ولا تكلفني الى المذنب

من لم يفقه في الناس فرد سوى نقي البك هرب
فيا الهي أنت ترضى وما قلبي سواك مطلب
لمن تراه ارتضاك ربا مع المسيحي الشقي يمدب
حاشاك يا من عهدت عدلا أن ترضى طرد الحب كالكلب
فيا الهي قول قلبي فأنت متى اليه أقرب
واقبل متاب الذين تابوا واخرس لسنان الذي قد يذب
وصب ربي البلا حبا على المعادي من أين يذهب
ثم نادى وأسفاه وامصيتهاء واحسرتاه ويا حر كيداه على بقايا حظه
الامة العظمى التي لم يشهد الله سبحانه وتعالى لامة من الامم في كتاب
من كتبه السماوية بمثل ما شهد به لها في محكم كتابه المجيد اذ قال وهو
أصدق القائلين (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله) ويقوله (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس) ولا معنى للوسط الا الاعتدال في السير والاستقامة كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها وقد وصف الله السابقين
من افرادها بكل وصف جميل في آيات القرآن وبين ما يكون عليه الخيار
منهم من الاخلاق وقد كان الغالب على حال المتقدمين منهم التقى والخوف
والحياء واجتناب ما نهى الله عنه واتباع اوامره وكثرة الذكر والتجمل بمحاسن
الآداب ونقاشي الشبه الزينية . وبعض الفلسفة المنطقية . وأهلها وتكفير
الطبيعيين والتباعد عن المحدثين والاحتفال بما يعني وترك ما لا يعني من
القول والعمل الى ما لا يسع المقام استقصاء . هنا ومن الاخلاق الاذوية
والاعمال المرذوية حتى كانوا في اعين عقلاء الامم كالا سادة الضل بغير الاقار

التيرة لا يكاد يواجههم أن يطيل النظر الى وجوههم مما يخجله ويرهبه
من سطوة الجلال وهيبة الوقار فكانوا كما قال الامام البوصيري رضي الله
تعالى عنه في برآته النبوية

أحل أمته في حزر ملته كاللث حل مع الأشبال في أجم
والآن قد هاجرت الى الله أوصياؤهم . وتسارعت الى الاجداث
اقتياؤهم وأمناؤهم . وما تركوا فينا الا بقايا خلف خلف من بعدهم قياشؤهم
من خلف ما سارعوا الا الى الله وما هم الا اوباش احداث اضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات وركنوا الى خزعبلات السفهاء منهم الذين تدينوا بالتمدن
واحتضنوا الحضارة فصاروا كناقصات العقل والدين . وقد عمدوا الى ما
شبهه اسلافهم من الدين فهدموه . ثم تعاونوا على اعانة الباطل فسادوا
قواعده بخزعبلات تمويهاتهم واقاموه . فلا تسمع منهم اعتراف معترف
بفضل المتقدمين . ولا ترى الا عائبا لا أعمال افاضل الأئمة المجتهدين .
ولا ترى من صفه المامة الا مغرورا بزخرفة اقوال اهل الزيف والزندقه
ولا من اهل الجدل مزدريا بكالات الدين السابقة واللاحقه . حتى اصبحوا
مسرح افكار القائل والله دره

يا حسرة الآباء في اجداثهم اذ اختلجتم خيبة الابناء
يادهشة الاموات لنردوا ولم يجدوا الذي ظنوه بالاحياء
ان لم نشيد ما اقام جدودنا تبالتا والله من خلفاء
ثم اتبع ذلك بقوله

يا اهل هذا المصر يا فصحاءه والمالمون ومعشر النيهام
ايلىق بالانسان بعد شهوده سبل الرشاد ومنهج الادبائه

ان يعدو خلف ذوي الرذائل هائما
حتى اذ اربت الشرور بقلبه
تربو الشرور مع الغرور متى ربا
ما اسرع الطغيان ان ضرب الغنى
ما اقرب الشيطان للانسان ان
ما اوقع المفتون ان سمحت له
او بالتعالي بعدما اتضعت به
او ان تطاول في الفنون مطالعا
وليوسموه اذا غدا متكلم
ما اغتر المخروم ان دانت له
ما اغدر المغرور ان سبقت له
ما اجرأ المفتون ان لم ينه
ما اقدم الغاوي على اغوائه
يا قوم ويح صغيركم وجهولكم
هم زخرفوا ما صنفوا بعبارة
دسوا سموم الزيف فيما دونوا
لكنها شبه تضل ضجيعا
اولم ينجمكم مرسل بيانه
اوصى بان لاتعدلوا في سيركم
نحجرتمو تلميحه ووقفتمو
وغدا التمدن والحضارة دأبكم
في الغي طوع ثقلب الاهواء
جحد الميمن موجد الاشياء
وتهيج حي الطيش في الاعضاء
او تاده في مرئع اللوماء
آذانه صمت عن النصحاء
صدف الظروف بهجة الرقباء
حشرات معشرة لذات خفاء
ليكون معدودا من العلماء
فيقال هذا خاطب العلياء
بعد الدناءة عالة الضعفاء
نعم الاله بوفرة ورقاء
عند التغالي زاجر العقلاء
ان لم يخف من سادة فضلاء
من شقشقات اسافل البلاء
في طى زخرفها اشد بلاه
فظنتموها نفحة الخفاء
وتدوده عن مشرب الطرقات
كالبدر شق غياهب الظلماء
عما يوافقكم مع الامناء
طوع المذبذب موقف السفهاء
وهما وربى ديدن الحقهاء

فبدا لنا من معانكم ما لو هذا
لكنكم عمي القلوب تقودكم
قل للبشر يا مبشر انما
شرك خفي في جنون ظاهر
يا ليت امك لم تلدك ولينسا
لمن الوباء اخف منكم وطنة
انتم شياطين الزمان وعندنا
يا فيلسوف وانت اجرم من طفوا
افسدت احوال العوام بما به
وعدوت حربا للمقاتد معلنا
انكرت كل كرامة لمقرب
مازلت تعمي بالجرائد ديفنا
حتى استخفوا بالفرائض كلها
فقدوت قوادا تقود الى الزنا
ولكم ذميم يستحل محرما
لا كنت يا هذا ولا كان الذي
انضيت دين الله بعد ظهوره
تكلتك امك يا كفور ألم تكن
وهو الذي ينهى ويأمر في الورى
ونهى الافاضل عن متاعه الهوى
ولعله ان ابن آدم لم يكن
لاخى الرشادات بالاغما
لغني كل غيبة عشوا
بشرتنا يا ذا العمى بهمة
وظنون سوء جالبات عناه
لم نأت في زمن انتشار الداء
يا موطئا لا صاعر الجهلاء
من هم لكم منا من التصراء
أتكون عوناً لقطريد الثاني
أصبحت تهذي يا أخا المرضاء
يبحود غالب صادق الانباء
وظفقت اجر مارق ومراني
وتبغض الاموات للاجباء
واستحسنوا الايمان بالفحشاء
والى المعاصي الكل كالأجراء
اذ كنت قدوته واكل رباها
برايك عطف محبة وولاء
حتى لنا وصلت يد الجراء
عبد المجري الشمس والجوزاء
وهو الولي ومعلم العلماء
كبلا يملوا طوع كل هوا
ذاتي علم وهو في الاحشاء

هل أخرجوه من البطون كأنه
وعلى التوالي عرفوه كما ترى
أوصاه ان لا يستل برأيه
فلم اثبتت عن الرشاد لما به
جاه الكتاب بمجزات لم تكن
فقدوت تنكرها ووجت مؤولا
هل نار ابراهيم تعصى ربا
أوليس من جعل الحرارة طبعها
أبجاهل انكار ما لم يدره
فوكنت شاهد خلفها اذ كونت
انا وقد كنت الكذوب لو اننا
أوصح ذالاً قمت حجة قائل
اذ ليس في الامكان ارشاد الشقي
فاعتل اذا قولي ولست بما قل
ان يحضروك تقول اني مؤمن
وتقول قول المؤمنين وتثني
تبا لمن درسوا العلوم على عمي
سحماً تقوم يشهدك كأنهم
قتربق في افواههم ما احرزت
يامسبون تفتنوا وتمقلوا
قالامر للمقلاب صار مقلبا

مقدوف مروج أو فيد عره
هل انت أعمى يا قليل حياء
فيظل طوع جوازب الاغواء
صرنا نمذك اتمس الخطباء
الا لخرس السن الخصية
آي الكتاب بشقشات شفاء
ان قال كوني رحمة كالسقاء
ذا قدرة فماتة طلياء
هل كنت منه واقفا بجذاه
عالج فؤادك يا شقي بدواء
ملنا الى التضييل والاعتراف
شوم القوائل قادم للظاء
انصح حكم الطبع في الاشياء
لن التلون صبغة الحرباه
واذا خلوت كفرت باسئزاز
للزبغ كاللهوفة المجلاه
وتبصروا ببصيرة عياه
ولدان ام بادرتهم بغذاء
اذم على ظملاً لا يرواه
لني لكم من ارحم النصحاء
ما بين اثبات ونفي الياء

من قوله بي كلن ماقد كان في
فاذا علمنا انه هو عالم
وهو المدبر للورى وشؤونهم
قلنا اقتدار الحق جل جلاله
واذا جهلتم ما نرى وتواردت
وعلى القلوب سطا الجحود يجنده
قلنا لكم يا ويلكم من عصبه
يا جبرتي يارقتي يا اخوتي
ووعيتوا ما التي في آذانكم
اني اعبدكم بمن رفع السما
من ان تسوقوا للبلاء نفوسكم
اشقاء شوتم هواه واستعداده
ان ابن آدم كيف كان ميسر
لا يلهكم عن ربكم تمويه من
فصر موا عنه لهدمى نبيكم
ايسوع ان تصفوا لغرور طغى
خوف وخسران وخيبة طامع
ايضل ضالكمو بخدمعة زائغ
ونبيكم والله اكرم مرسل
فاستكشفوها من مآثر اهلها
لا من خطابة زائغ ومدبذب

بدء وبى ماقد يراه الرائي
بمعالم الاموات والاحياء
تدبير مولى محكم لولا
يأتي بما يخفى على النجباء
ريح الفتون توارد الانواء
والم جيش الطيش والخيلاء
سقتم الى البلاء كل بلا
هلا حفظتم لي حقوق اخائي
قلوبكم للرشد خير وعاء
وأزال ظلمة ليها بضياء
بخداع محال شديد دهاء
طوع المشيئة بل وسبق قضاء
ومسخر ككواكب العلياء
اضحى يواصلكم بشر اذا
وقفوا مواقف رشده بازائي
فندا يقود لما وراء الحياء
وخطيئة عظمت واكل خراء
يدعو لخوض بلية سوداء
لكموا بان طريقة السعداء
من اصبحوا في الناس كالغرباء
يطغى لينغدوا اعظم العظاء

لكنه عند العظيم محقر
 ماجت أعنى مارقا من بينهم
 لكن أوجه كل لومي للذي
 ان الفسوق تمكنت أطنابه
 ترك المناسك وامتطى من فكره
 فتأملوا وتجميلوا بمتابكم
 وتحببوا وتقربوا بوفائكم
 وتحفظوا من زائغ ومبشر
 غوغائكم بالسباب تجملوا
 ويل لهم يوم المعاد اذا دعوا
 ورأوا العذاب فأصبحوا في حسرة
 وعموا فكانوا كالذي يخطوا على
 ودعوا فصموا ويلهم للعرض اذ
 اذ تنجل الجاني حقارة حاله
 ذرم يخوضوا يا أخي ويلعبوا
 واصبر فان الله أجل خزيمهم
 صلى الاله على النبي وآله
 عد الرمال مع الحبوب كذا النوى
 والاك والصحب الكرام ومن أتى
 ثم قال اني يا قوم لا أعجب كل المحب ممن لا يعترف بوجود موجد
 مع مشاهدة عجائب آياته . والعجب العجائب ممن يعترف له ويعرفه ثم

ينكر اقتداره على جمع أجزائه واحيائه بعدماته . والاعجب من ذلك كله قول
من يقول انه كان والدًا ثم أصبح مولودًا . وانه مكث في بطن مريم وفي
حجرها زمنا محدودًا . وانه كان يأكل ويشرب وينام . وانه تقلبت به
أطوار البشرية ما بين جنين وطفل وغلام . وما علينا من بأس أن نقول هذا
هوس أو ضرب من ضروب الجنون . وكم في الناس من غبي ومعتوه ومفتون
ومجنون . على أن العبث في القول والعمل مما لا عقول لهم ليس بالامر
العجيب ولا اشراك الذين أشركوا بربهم لظلمة قلوبهم بأمر في الاقتدار الالهي
مريب . ولكن العجب ممن يدعى أنه متدين بدين الاسلام . وما نرى حاله مع
ربه الا كحال بهيمة الانعام . فأما في أمر دينه فما هو الا في جبن وجهل
شديد . واما في أمر دنياه فما تحقق الا بحقيقة قول جهنم يوم القيامة هل
من مزيد . فياقومنا ما هي العلامة التي تميزتم بها عن المخالف لدينكم .
وما هي الحقيقة التي تحققت بها من حقائق ايمانكم . أتظنون انكم بمجرد
الايان وقراءة القرآن تدخلون ملكوت الرب كما يزعم ضلال المسيحيين .
أم تتوهمون انكم بمجرد الشهادة لله بالوحدانية تكونون من خيار المسلمين .
كلا ان الامر وراء ما تظنون . وان الحق والله خلاف ما تتوهمون . اما
سمعت قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فأروني
أي طريق اتخذتموها مأمنًا من ذلك العذاب . وأي واق يقيمكم من
كل وعيد أتاكم به محكم الكتاب . لقد اشتغلتم والله عن ما لكم بما نراه
فساد أحوالكم . وما من حسن الثفاتكم الا الى مسابقة من هم في الضلال

من أمثالكم . ولقد أوقفكم الجهل في موقف الخيرة والضلال حيارى
القلوب . وما منكم الا وهو في ريبه يتردد كأنما هو مجرد من العقل مسلوب
فمن قائل ان المؤثر الاكبر خلقي وخيرني في أعمالي . وجعل همتي
هي المنوطة بآربي وآمالي . وهذا هو الذي زعم العقل والمعرفة . واشتهر
فيما بينكم بأنه من زعماء الفلسفة . ولقد بينا لكم غلظه في غير موضع من
كل كتاب . وعرفناكم انه حليف الشرك الخفي وانه ممن حقت عليهم
كلمة العذاب . ومن جاهل فتح فاه باهتا حينئذ شخص يبصره في مجامع
المبشرين . حتى كأنه انما تربى بين أقوام من عبدة الايغال أو الوثنيين
. ظاناً أن هؤلاء الضلال على علم بصحيح الاديان . لانهم جاؤا بمجادلين
في كثير من آيات القرآن . ألا يتبصر الجاهل منكم بأمر دينه في شؤون
هؤلاء الاشرار . ثم يتذكر أحوال القوم الذين سبقونا بالايمان من
الاكابر والاخيار . أيها الجهلاء أخير انتم أم أبوا بكر الصديق أخير
انتم أم الفاروق ابن الخطاب عمر رضی الله تعالى عنهما أخير انتم أم باقي
الخلفاء الراشدين أخير انتم أم عمر ابن عبد العزيز أخير انتم أم مالك
ابن أنس الذي كتب الشعر على بشرته بقلم القدرة مالك حجة الله في
أرضه أخير انتم أم محمد ابن ادريس الشافعي الذي كان من الاوتاد .
أخير انتم أم أبوا حنيفة النعمان الامام الاعظم الذي صلى الصبح بوضوء
العشاء أربعين سنة أخير انتم أم الامام ابن حنبل الذي فدى شرف
القرآن بروحه وجسده . أخير انتم أم خيار الامة الذي عبدوا الله حتى
صاروا ربانيين يقولون للشيء كن فيكون ألم يأن لكم أن تتفقدوا آثارهم
حتى تعلموا كيف تكون الرجال وتفقهوا مزاياد الدين انكم والله لفي

شك مريب فعلى ماذا عكفتم وفيم ترددتم أتعكفون على أصنامكم الذين
نطق الشيطان في أفواههم وتمكن من قلوبهم حتى أضلوا كثيرا وضلوا عن سواء
السبيل . أم ترددون في أمر دين ملأت أنواره الاقطار . وكم اودع
قلوب المتفكرين فيه من انوار واسرار حتى بهر العقول ام تشكون في امر
نبي ما احاط بكنه وصفه الجليل واصف . ولا تمكن من الوصول الي
ادراك حقيقة ذاته الشريفة عارف . ومن جهل منكم شوته صلى الله عليه وسلم
فليطالع صلوات العارفين به عليه الذين منهم الامام ابن مشيش عبد السلام
رضي الله تعالى عنه اذ قال اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت
الانوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءت
الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله موفقه
وحياض الجبروت بفيض انواره متدققة الى آخرها وانها لمسطرة هي وكثير
من صلوات العارفين في صلوات الاستاذ الشيخ احمد الدردير رضي الله
تعالى عنه . او يتبصر في صلوات ابن عربي الامام محيي الدين رحمه الله حيث
قال اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليمت على اول التعينات المفاضة من
العماء الرباني وآخر التنزلات المضافة الى النوع الانساني المهاجر من مكة
كان الله ولم يكن معه شيء ثاني الي مدينة وهو الآن على ما عليه كان
محصي عوالم الحضرات الخمس في وجوده وكل شيء احصيناه في امام
مبين وراحم سائلي استعداداتها بنجاحوده وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
الي آخر ما جاء به من الدر المنظوم والمعاني التي لم يحاكيها من قبلها من
القول منطوق ولا مفهوم وما أوجد الله امثال هو لا . وفتح لهم ابواب
خجواته الربانية الا ليكونوا قدوة لامثالكم وأمنأ من الشك والشرك

لضعاف افئدتكم ومرضا قلوبكم فلم لم تطلبوا سبل النجاة من ما آثرهم
الفاخرة وماذا لم تبركوا بمطالعة سرارهم العاطره انكم اذا لانفسكم لمن
الظالمين ثم اجل ذلك القوال بقية القول الى الصباح واستجمع أطراف
ردائه عازماً على الرواح وقال لاخوانه استودعناكم الله الذي لا تخب
لديه الودائع ثم انصرف مستغفراً وقال ليكن كل منهم اذا اصبحنا بعون
الله لباب هذا المكان اول قارع وانصرف خلفه القوم حيث لا مسرب
لهم الا المتاب والتقوى . ولا ما آرب لطويات عزائمهم الا التمسك من
الدين بالسبب الاقوى (والله يهدي من يشاء . والله ذو فضل عظيم)

فلما أدير الليل بد ياجيه وجنوده . واقبل النهار بما فيه من طيب
مشهده ومؤنس شهوده أقبل القوم على موعدهم مسرعين مثني وفرادى
وما تواصل مددهم وتكامل عددهم الا وقد أقبل ذلك الزاجر زائر ابراهيمية
وقاره وسكينه سكونه وانكساره وقد كان يناجي ربه بمناجات صاحب
حزب الشكوى فما وافي القوم حتى وصل الى قوله اللهم انا أصبحنا لاناك
لانفسنا دفعا ولا رفعا ولا ضرا ولا نفعا فقراء لاشي . لنا ضعفاء لا قوة
لنا واصبح الخبير كله بيدك وأمر كل شي . راجع اليك اللهم وقتنا لما به
أمرتنا واعنا على ما به كلفتنا واغنا عن كل شي . بفضلك ورحمتك واجبر
كسرنا وما فات منا بعنايتك وكرمك وأيدنا بالتوجه اليك بمحولك وقوتك
ياملك ياقدير يا سميع يا بصير يا قريب يا مجيب ثم مازال يتضرع ويكي الى
وصل الى قوله الهى قد عجزت قدرتي وقلت حيلتي وضعفت قوتي وتاهت فكرتي
وأشلتك قضيتي وساءت حالتي وبعدت أمنيته وعظمت حسرتي وتضاعدت
زفدتي واتضح مكنون سريرتي وساءت عبرتي وانت ملجئي ووسيلتي

واليك أرفع بثي وحزني وشكايي وارجوك لدفع ملتي يا من يعلم سري
وعلانياتي الهي بابك مفتوح للسائل وفضلك مبذول بالنائل واليك متعجى
الشكوى وغايه المسائل الهي ارحم دمعي السائل وجسمي الناحل وحالي
الحائل وشبابي المايل يا من اليرفع الشكوى يا عالم السر والنجوى يا من يسمع
ويرى ويامن هو بالمنظر الاعلى يارب الارض والسما يا من له الاسماء
الحسني يا من له الدوام والبقايا يارب عبدك قد ضاقت به الاسباب وغلقت
دونه الابواب وتعذر عليه سلوك طريق أهل الصواب وزاد به الهم والنعم
والاكتئاب وانقضى عمره ولم يفتح له الى فسيح تلك الحضرات ومناهل
الصفو والراحات باب وتصرمت ايامه والنفس راتعة في ميادين
الغفلة ودنى الاكتساب وانت المرجو لكشف هذا المصاب
يا من اذا دعي اجاب ياسريع الحساب يارب الارباب يا عظيم الجنب
يا كريم يا وهاب رب لا تحجب دعوتي ولا ترد مسئلتى ولا تدعني بحسرتى
ولا تكفني الى حولي وقوتي وارحم عجزى وفاقى فقد ضاق صدري
وتاه فكري وتجبرت في امري وانت العالم بسري وجهري المالك لنفسي
وضري القادر على تفرج كربى وتيسر عسري رب ارحم من عظم مرضه
وغز شفاؤه وكثر دأؤه وقل دوائه وضعفت حيلته وقوي بلاؤه وانت
ملجأه ورجاؤه وعونه وشفاؤه يا من غمر العباد فضله وعطاؤه ووسع
البرية جوده ونعاؤه وما زال يبكي ويتضرع حتى تم تلك المناجاة ثم تلاها
بجديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال . تم نورك فهديت فلك الحمد .
عظم حكمتك فعموت فلك الحمد . بسطت يدك فاعطيت فلك الحمد . ربنا
وجهك اكرم الوجوه وجاهك اعظم الجاه وعظمتك افضل العظيمة واهنا

تصاع ربنا فتشكر وتعصى فتغفر وتجيّب المضطر وتكشف الضر وتشفى
السقيم وتغفر الذنب وتقبل التوبة ولا يجزي بآلائك احد ولا يبلغ
مدحتك قول قائل سبحانك سبحانك ثم قال اللهم اجعل اول يومنا هذا
صلاحا واوسطه فلاحا وآخره نجاحا ثم اشرقت الشمس فقال اشرق نور الله
وظهر كلام الله وثبت امر الله ونفذ حكم الله استغيث بالله ماشاء الله لا قوة الا
بالله تحصنت بنجى لطف الله وبجميل ستر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة
سلطان الله دخلت في كنف الله واستجرت برسول الله صلى الله عليه
وسلم برئت من حولي وقوتي واستعنت بحول الله وقوته اللهم استرني في
نفسي وديني واهلي ومالي بسترك الذي سترت به ذاتك الاقدس
فلا عين تراك ولا يد تصل اليك فاحجبني من القوم الظالمين بقدرتك
يا قوي يامتين وصلى الله على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه اجمعين

ثم قال ان من الفوائد الماثورة والفرائد الموفورة أن من كان له الى
الله حاجة يحب قضاها فاليجلس مستقبل القبلة على طهارة بدنية وتوجه
واخلاص ثم يقول اللهم صل على النور الساطع الذاتي الاحدى يا مددي
خذ يدي وعليك معتمدي بألف الف كبعص حمسق بدوح بدوح بدوح
وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة ثم يسأل الله حاجته فانها تقضى كائنه ما كانت ثم
قال وبها الاذن والاجازة لكل داع

وقال أيها الاخوان انكم لتشاهدون برأيا العين ما نحن عليه من
الحزن الشديد والهلم المديد والاسف الزائد والحسرة المدهته واظنكم
تظنون ان منشأ ما نحن عليه من هذا الحال المحزن هو تعدي العادين

وبنى المعاندين وجرثة المجرمين من السفهاء الذين قاموا غرورهم واستطالت
شروهم بما جاؤا به من الخزعبلات الخرافية والتمويهات التضليلية كلا
والله ذلك لم يكن عندنا في حساب العناية بمعدود ولا فيما نحن بصدده بالامر
المقصود لانكم تعلمون ان العاقل لا يحزنه حال المخترعين لضروب الملاهي
والشعوذة لعله بأن استعداداتهم وقوابلهم لا تقبل بفتح التاء ولا تقبل
بضمها الاعلى ما يلايمها وما خلقت له فلا لوم على اهل الاستعدادات والقوابل
فيا ابتدعوه من الملاهي ولكن اللوم على من يحوم حول حاناتها ويتلاهي
بملاعبا عما يعنيه

ان تسمعوني فإني الكون لاهية الا الغرور وشوم الطبع والشبق
ألا ترون ان المشعوذ قد يضع ألعابه في افواه الطرق ليستميل اليها
قلوب المتفرجين فلا يقبل عليه الا الصبيان وجهلة النساء وأوباش الرجال
الذين فقدوا مزايا العقل والمعرفة وهل كان حال هؤلاء السفهاء وحال من
يأوى الى مجامعهم الزيفية الا كحال من ذكرنا فما كان لنا ان نهتم
بشؤونهم ولا أن نشتغل بشعوذتهم ولكننا نضرر وتتضرر شدة الضجر
من حال من كان منكم قليل المعرفة بامر دينه عديم الثبات في ايمانه
ويقينه فما حالنا معكم الا كحال رجل عاقل يرى في حال أخيه الشقيق
آثار مبادي الجنون فيحزن عليه فمن شام منكم من نفسه شبهة في ايمانه أو شكاً
في صدق رسالة هذا النبي الكريم فلينادي ربه بما حكاها الله عن بعض
الانبياء بقوله (رب لا تشمت بي الاعداء ولا تجعاني مع القوم الظالمين)
ثم قال لقد وعدناكم وعدا صادقا فيما سبق ان نبين لكم بعضا من مزايا
دينكم القويم حتي بمقابلتها بمزايا الاديان قبله تعلمون فضل نبيكم المأمون

وصدق رسالته فنقول

جاء كل رسول من الرسل يدعو أمته الى طريق النجاة ومعالم
السعادة الدنيوية والاخروية بما يليق به الله اليهم من التعليقات الاديوية والاحكام
التشريعية اما بوحى أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما
يشاء فطلب نوح عليه السلام ومن بعده من الرسل التي تعاصت عليهم
أمهم من يعظوه بما تلقوه عن ربهم فلم يجدوا في أمهم من يعي ما يقولون
فكان من امرهم ما كان من استحقاق العذاب وانصباب البلاء عليهم
حتى جاء موسى عليه السلام قومه بما جاء به وأيده الله سبحانه وتعالى
بتسع آيات بينات فآمنوا به وبما جاء به من الاحكام الشرعية ولم يجد
فيهم من هوذوا قابلية تقبل التخلق بالآداب الكمالية ففارقهم عند ما جاء
أجله وهو في شدة أسف وكآبة احزان وأشهد الله وآياته عليهم وكان
ما كان منهم بعد موته وحال حياته ثم جاء عيسى عليه السلام قومه بما
جاء به من الآيات البينات وما كانوا الا من بقايا بني اسرائيل الذين
كثيرا ما قتلوا من انبياء كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم في كتابه الحكيم
فقام يخاطبهم من الوعظ والارشاد بما تسمعه قلوبهم بضرب الامثال التي يراها
المطالعون للعهد الجدي وما وجد فيهم من يتلقى عنه اسرار من الاسرار المملوكة
الا الحواريين الذين سموم رسلا وما كان من أمته من له ادراك ذوقى
يسترشده به عن امر دينه وعن طريق الوصول الى الغاية الابدية بل
كانوا أقواما جهلاء لا يأتونه الا بالمرضى والعمى وكل أكمة وأبرص
لينالوا الشفاء ببركته وربما فارقه بعد ما يروا الآيات وهم في شك مرىب كما
يتبارد للمطلع على الانجيل من فحوى كلامه . وما زال يتعهد الصيادين

للسمك بالمواغظ وبطرف البلاد وحيدا أو في شذمة قليلة من المتفرجين
الذين لا هم لهم الا الاحاطة بحاله كيف يجي الموتى وكيف يبرأ الا كنه
والابصر وذلك لانهم كانوا من أمره في شك مريب وكان الغالب
منهم اقواما متمسكين بشريعة موسى كتمسك العوام بما نقلوا عن اسلافهم
ووجدوا عليه آباؤهم حتى فارقه برفعه الى السماء كما يقول القرآن المجيد أو
بالموت والصلب والموت كما زعم سفهاؤهم

ثم بعد ذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم رافلا في حلال كاله مرتديا
رداء سكينته وجلاله قائما في قومه مقام الغربا متخلقا فيما بينهم بأخلاق
الادباء حتى جاء ابان نبوته وقد كانوا يشاهدون منه علاماتها التي تناولوها
من الرهبان والكهنة مثل الشامة والعلامة التي كانت بين كتفيه الشريفين
ففجأه الوحي الذي جاء به جبريل عليه السلام وضرب الرحمن جل
جلاله بكفه الذي لا يعلم كيف هو الا هو بين كتفيه فوجد برد انامله
في صدره فعلم علوم الاولين والآخرين فقام يبلغ دعوته وينشر رسالته وقام
الاطفياء منهم في مقابله يقاومونه طورا بتعنت السؤال وتارة بقبیح
الاعمال حتى عاجله ربه بالنصر والفتح المبين كما هو معلوم من القرآن ومما
سطر في كتب التواريخ والسير المشهورة المتواترة ولا حاجة للاطالة بذكرها
فجاء صلى الله عليه وسلم في رسالته بأكل الالتقاء والتلقي لمساعدة ظروف
الاحوال له ومعاونة الاقدار ولكمال استعدادات قومه وقوايلهم فكان كما قال
لهم حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم وقام فيما بينهم يدعوا الى ثلاثة أشياء
بثلاثة أشياء يدعوا الى الله بالحكمة لذوي الالباب الذين استنارت قلوبهم
والي اصلاح الاحوال المعاشية بالموعظة والى الايمان بالآخرة والعمل لها

بالتي هي أحسن

وما كان جهاده فيمن جاهدهم بقوة قتاله لغرض من الأغراض الدنيوية كما يظن زعما الفلاسفة وسفهاء القوم الضالين الذين ما علموا من الدين الا ظاهرا من القول . ولكنه كان ليتمكن من تأسيس قواعد الدين في قلوب القوم بحال لا تبيدها الدهور ولا تفنيها الايام ولا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لقوله تعالى (وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما حدد هذا المكث بأجل فذلك كانت غايته القيامه وان قل عدد القارئين له والعاملين به مع طول الامد ولذلك قال جل شأنه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) يريد من النسخ والضياح الى يوم ينفخ في الصور وتذهب الريح اللينة بارواح المؤمنين قبل تلك الصيحة التي أشار الله اليها بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى اصلاح الاحوال المعاشية التي لا قوام لها الا الاكل الحلال والاعتدال في جميع الاحوال بمعلومات تعلمها عن ربه وحيها والهأما ما بين أوامره ومناهيه قد أحاط بها الامام الغزالي علما فجمعها في كتابه المسمى باحيا العلوم ثم فصلها تفصيلا فابتدأ الاوامر بالتوبة التي معناها الرجوع الى الله اجماليا وهذا الرجوع يشمل الاقلاع عن الشرك وعن المعاصي وعن كل ما يبعد عن مكانة القرب والتمكين وعمما يشعر بنقص في احوال الكمل المقربين فكانت توبة كل تائب على قدر حاله مع ربه ثم تصورها رضي الله تعالى عنه مركبة من علم وحال وعلم كما هو مقرر في ذلك المؤلف الذي هو ضالة كل مسترشد الى طريق الفوز والتجاة والله يهدي

من يشاء الى صراط مستقيم

ثم بين رضي الله تعالى عنه كل ما أمر الله به سبحانه وتعالى عباده في كتابه العزيز من الاوامر التهذيبية وسماها مقامات يقيم بها السالكون السائرون الى الله بالتدرج ثم ينتقلون من مقام الى مقام بعد التحقيق بالمقام الذي ينتقل منه السائر الى غيره فمن أراد ان يقف على حقائق تلك المقامات فليدرس ذلك المؤلف الشريف بتحقيق وتأمل حتي يهتدي الى نهاية ما ترمي اليه سهام أغراض ذلك العارف الاكمل والامام الافضل

ولقد كان من تلك المقامات مقام التوكل الذي تشير الى وجوب التحقيق به آيات كثيرة من القرآن الحكيم وقدمته القوم الضالون من الفلاسفة وسفهاء الامة الذين اتخذوا الحضارة وسيلة الى الحقارة عند الله وعند الصفوة من عباده وجعلوه علامات الكسل ومجلبة الفقر والتقهقر الذي قابله بالتقدم ولا أعلم لذلك التقدم من غاية الا ادراك دركات السعير التي خير الله فيها عباده بقوله (لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر

ثم بين ذلك الامام رضي الله تعالى عنه المناهي وسماها موبقات وأوضح ضرر كل موبقة منها وعلم المطالعين طريق الفرار من غوائل تلك الموبقات فمن شاء ان يتعلم التقوي ويعرف كيف يكون تخلص الانسان من حباثل أشراك الشياطين فليتبصر في ذلك البيان فانه تبصرة وذكري لا ولى الألباب ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

وما كان ذلك الامام رحمه الله نبياً ولا رسولا ولكنه فرد من افراد الاقبياء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تتبع آثاره واقفني اخباره واهتدي بجماله أنواره وتحقق بأسراره فعلم ما هو الذي جاءت به الرسل فاصبح

وراشدا مرشدا مهتديا هاديا والله يقول الحق ويهدي السبيل
ثم لما أصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب من صحبوه بما ذكرناه
استنارت بصائرهم وتنزهت افئدتهم عن محبة الدنيا والتكالب عليها
قام يرغبهم في الآخرة بالتي هي احسن بمثل قوله لماعذا ابن جبل رضي
الله تعالى عنه لما سأله بقوله يا رسول الله بم أتق النار فأجابه بقوله بدموع
عينيك وبمثل قوله لاصحابه لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وقوله لو تعلم البهائم ما تعلمونه من الموت ما أكلتم منها سمينا وقوله ركعتا
الفجر خير من الدنيا وما فيها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من الترغيبات
القوليه والحاليه والعملية حتى غدا الغالب من قومه كأنه يرى الآخرة وما
فيها بعيني رأسه كما يشهد بذلك قول سلمان الفارس له عند ما سأله كيف
اصبحت يا سليمان فقال أصبحت كأني أرى عرش ربي بارزا وأرى أهل الجنة
في الجنة يتنعمون فيها وأهل النار في النار يتعاونون فيها فقال له صلى الله عليه
وسلم عرفت فالزم ثم لما استبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم باستنارة
بصائر قومه وعلم شهادة الله سبحانه وتعالى لهم بما سبق بيانه قبل واستأنس
بكمال الأمان وثبات اليقين من احوالهم جاء يقربهم الى مقامات القرب
والتمكن بالحكمة التي القاها اليهم في مثل قوله لي وقت لا يسعني فيه
غير ربي وقوله عن الله سبحانه وتعالى ما تقرب اليه عبدي بشيء أحب
الي من اداء ما افترضته عليه ولا زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يخطش بها ورجله التي يمشي بها . فلو انه صلى الله عليه وسلم جاءهم بمثل
هذا الحديث في مبدأ أمره اذ كانوا كاهل هذا الزمن في حالة ايمان لا حقيقة

لهما فقهوا لهذا القول معني ولكذبوه كما كذبه اغبياء الفلاسفة الذين ما ذاقوا
للقرب طعما ولا علما هو القرب الذي يكون من الله لعباده الاخيار الاصفياء
وكذلك كان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يا ابن
آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملاء
ذكرتك في ملاء خبير منه وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان
دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا وان مشيت الي سعيت اليك وان سعيت
الي هرولت اليك وان سألتني اعطيتك وان لم آسأني غضبت عليك فكان
كل ذلك وامثاله من طريق الحكمة التي أشار اليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله لا تعظوا الحكمة لغير أهلها فظلموها ولا تمنعوا أهلها
فظلموهم وما لها من أهل الا الاقياء الذين يعلمهم الله ويجعل لهم من
ظلمات الجهل مخرجاً ويرزقهم المعرفة من حيث لا يحتسبون وما أحسن
دقيق اشارة الصديق رضي الله تعالى عنه الى نهاية المقامات القرية التي
يتحقق بها الصديقون التي تفتن لها العارفون من قوله العجز عن الادراك
ادراك . وذلك لأنه اذ اتقرب العبد من ربه بالنوافل حتى أحبه وتولاه
كما يتولي الصالحين باتحاد الارادات والمرادات والأخذ بناصيته الى معالم
السعادة لا يدري العباد ذلك من هو القائم به لأنه شاهد في نفسه ما لم يكن
يمهده فيها من قبل وقد أحيط به من كل جهاته ومعالمه الحسية والمعنوية
وزج به في موج من الانوار القدسية فصار كمنور الله على كل شيء قدير
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاء به من التنزيل والذكر
الحكيم وتكلم بما تكلم به في قومه من الاحاديث الصحيحة وحفظها عنه
قومه بغاية الدقة والضبط لانهم هم أهل لا اله الا الله وكانوا أحق بها

وأهلها كما قال القرآن وما كانوا أحق بها إلا لان استعداداتهم وقوابلهم قابلة لكل كمال وخلق حسن بدليل شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهم بقوله رحم الله أبأذر لو لم يخف الله لم يعصه وبدليل أن عمر بن الخطاب لم يعص الله في الجاهلية ولا في الاسلام وبدليل ان عليا رضى الله تعالى عنه ما وصفوه بقولهم كرم الله وجهه إلا لأنه لم ينظر الي عورة مدى عمره حتى ان عمر بن العاص ما افتدي منه عند القتل إلا بكشف عورته فحول بصره عنه وأقاله وهكذا كانت استعداداتهم كلها كإلية فلذلك ضبطوا قواعد الدين وأركانها من بعده وحفظوها حتى تناولها التابعون وتابعو التابعين حتى الآن بكل دقة وصيانة فجاء العلماء الذين هم ورثة الانبياء من بعده فيما دونه استنباطاً من القرآن الحكيم ومن أقوال الذي كان لا ينطق عن الهوى ومن أحواله وأعماله بما لم تأت به أمة بعد رسولها كما هو مشاهد ومعلوم لمن يعقل ومن لا يعقل وما سمعنا من عاب هذا العمل الصالح الذي لولا توفيق الله سبحانه وتعالى لمن قاموا به وعنايته بهذه الأمة لم يكن كما ترونه الآن فقد جمعت أبواب المعاملات الفقهية جميع ما يحتاج اليه الانسان في حفظ الآداب الانسانية وصيانة روابط المنظمات الاجتماعية مما لو تعامل به المتعاملون ما بنى خصمان على بعضهما ولقد أحاطت فصول العبادات من الآداب القريبة بما لو استقصاه متجمل بأنوار الهداية واسرار التوفيق لكان صديقا ولقد طالعت من أنباء أتقياء المتقدمين ما به علمتم صدق وسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله علماء أمتي كانوا بني اسرائيل ولكن شياطين الفلاسفة قد القوا اليكم ان المحققين من أتقياء هذه الأمة الذين اشتهروا بالتصرف في عوالم الملك والمملوك كانوا

في اعلى طبقات الجنون وطلما كان الكفار يقولون هذا القول في رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما ورد به القرآن الحكيم وما كان بالمجنون كما قالوا ولا
كان اتقياء أمته مجانين كما زعم السفهاء الضلال ولكنهم قاموا داعين الى
الله على بصيرة كما أخبر بذلك الله سبحانه وتعالى في قوله لنييه (قل هذه
سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وما كانت سبيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحضارة والتمدن الذي دعى اليه المقوتون الآن
حتى يقال لهم هم ورثة الانبياء ولكن طريقه القويم وصراطه المستقيم
هو ما عليه اهل التحقيق الذين كانوا قليلا من الليل ما يهجمون وبالاسحار
هم يستفرون واذا مروا باللغو مروا كراما الذين لا تلهيهم اموالهم ولا
اولادهم عن ذكر الله الذين اذا ذكروا الله وجلت قلوبهم الذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما الذين هم في صلاتهم خاشعون الذين هم من عذاب
ربهم مشفقون الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة الذين لا يخشون
الا الله الذين وصفهم الامام البكري صاحب ورد السحر بقوله

الهي باهل الانكسار وحقهم ومن بك قد نالوا المقام المعظما
ومن اطلقوا الاكوان جبا وطلقوا السمائم ولم يشكوا الزاد ولا ظما
ومن مرغوا للحد في ترب ارضكم ومن للهوى بالسقم والحال اسقما
عييد ولكن الملوك عبيد وعبد هو اضحي له الكون خادما
وما كانت الملوك عبيد الا مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم من اطاع
الله اطاع الله له كل شيء وما ورد في بعض الكتب السماوية عبيدي اطلعني
تكن ربانيا تقول للشيء كن فيكون فهو لا هم الذين عناهم الله بقواه (ومن
اتبعني) ان كنتم تعقلون

وما كانت عناية الله بهم الا لانهم هم محط نظره من خلقه خلقهم
واختارهم لخدمته . ووالاهم بحبته . وخصص وجودهم في زمن هذا النبي
الكريم لما بينهم وبينه من المناسبة الاستعدادية فصداقوه وآمنوا به ايمانا
لا تزلزل ثباته حادثة من الحوادث ولا عارض من العوارض فلو اننا قارنا
بين ايمان جميع من عبدوا العجل في أيام موسى عليه السلام وبين ايمان
عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حينما كان في الجهاد في خلافة أحد
الخلفاء الراشدين وحاصروا مدينة من المدن ومكث الحصار أياما فقال
لقومه ضعوني في منجنيق وارموا بي على أعلى السور وأنا أقاتلهم حتى
افتتح الباب فقالوا له الاتخاف الموت اذا رميناك قال لا قيل ولم ذلك
قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته أسر لي أني سأكون
واليا على مصر والى الآن ما وليتها وما كان رسول الله كاذبا فانظر الى
ايمان ذلك الرجل الكامل كيف أداه الى المخاطرة بنفسه لشدة يقينه بصدق
هذا النبي الكريم وما ذلك الا لما شاهدته من شؤن كاله . وصدق حاله ومقاله
تأمين حال هذا المؤمن من حال القوم الذين عبدوا العجل وقالوا لنبيهم لما
رأوا قوما يمكفون على أصنام لهم (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون) وانكم تعلمون أن في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هو أكل
من عمرو بن العاص ايمانا وأشد منه يقينا فقد قال علي ابن أبي طالب كرم
الله وجهه لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقينا ومن كان هذا حاله كان
سعيدا في الدنيا والآخرة ووجبها ومن المقربين كما كان عيسى عليه السلام
وكا كانت أنبياء بني اسرائيل

ثم غلا دم ذلك الرجل فاحمرت وجناته واقشعر جسده فارتعد

وارتعش وكان كما قال القائل

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتعش العصفور بلله القطر

وكما قال آخر

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء * نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى
ثم قال أيها الإخوان إن نبيكم صلوات الله تبارك وتعالى عليه نبي لا
كالأنبياء ورسول لا كالرسل وعالم لا كالعلماء وأديب لا كالأدباء وظريف
لا كالظرفاء وخليفة لا كالخلفاء وأمه أمة لا كالأمم وأصحابه أصحاب وأنصار
وأحزاب لا كالاصحاب والانصار والأحزاب وخلفاؤه خلفاء لا كالخلفاء
ومن تفقد توارى الخ الأثم وأنبيائهم والكتب المنزلة عليهم وأمعن النظر
وأثقن المقارنة وحقق التأمل وكان ذا بصيرة نيرة يعلم الفارق بين الفريقين
ويتحقق حق اليقين إن الله سبحانه وتعالى اتخذ هذه الأمة ورسولها صفوة
خلقهم واختارهم من خيرة عباده وجعلهم زينة للديار وعراس الآخرة وما عنيت
بالأمة من كانوا أمثالكم وأمثال علمائكم وفقهائكم الذين عناهم النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله (شفاعتي لأهل الكباثر من أمتي) ولكني أعني بالأمة
القوم الذين أشار الله إليهم بقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) والله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا
شهادة من كان عدلاً مقبول الشهادة ولا يكون العدل إلا مؤدباً ظريفاً
معادياً للعدول والميل إلى طريق الشيطان والشهوات كما كان القوم الصالحون
منهم فلو أنكم ذوو أذواق سليمة وأفكار ذات موازين صحيحة لخطبتم
من نسبتكم إلى هذه الأمة عند ذكر الخيار منها
ثم قال إن من كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أيها الناس

أجلوا في الطلب فالرزق مقسوم وفي التنوع بلفظة والزمن الآتي يفوت
كالذي مضى والذي مضى كأنه لم يكن وكل ما هو آت قريب
ولولا أني أميت بدعة وأحيي سنة ماسرني أني أعيش فيكم ساعة واحدة.
فأين هذا الخطيب المرشد من ضلال خطبائكم وعلماكم الآن الذين لا
يحثون الا على الحضارة والتمدن ويزعمون أنهم أبغ القوم قولا وأهداهم
الى الرشاد ارشادا انهم والله لكاذبون وما كانوا الا كما قال الشاعر
تميم لطرق اللثم أهدي من القطا

أولئك قوم كانوا ناطقين بالحق هادين الى الصواب ومع ذلك كانوا
يستغفرون الله من وعظهم خوف الخطأ والنسيان أو معارضة الاعمال
للاقوال وأما الواعظون منكم الآن فيخوضون في الخطأ خوفاً ويفرقون
في مراحل الضلال عرفاً ثم اذا هجعت قرائحهم واختبت في زوايا أشداقهم
ألسنتهم أخذ منهم التفاخر والتباهي والخيلاء والاعجاب بأنفسهم مأخذاً
عظيماً وما أقيح هذا العمل وما أسوأ حال من كان هذا حاله

ثم قال ان من وصايا بعض السلف الصالح لبعض الوعاظ قوله اذا
أحسن القول فأحسن العمل ليجمع لك مزية اللسان ومزية الاحسان
والقوم الآن لسان طويل وخير قليل وحال وييل ومن كلام الحكماء اذا
أراد الله بقوم سوءاً امنحهم الجدل ومنعهم العمل فكان هذا القائل كان
مع علمائكم التمشدقين وخطبائكم المتفلسفين الا لعنة الله على القوم
الفاسقين

قيل للتفضيل ابن عياض ما أعجب الاشياء فقال قلب عرف الله ثم
عصاه ثم قال الشهوة خادعة القلوب وغادرة الالباب ومستحسنة للقبائح وما

من عطب الا وهي له سبب ثم قال القلوب المعلقة بالشهوات محجوبة عن
الله تعالى والقوي من غلب هواه . والكريم من كف أذاه . وانا لنرى
من عقلائكم الآن أقواما يؤذون الله ورسوله متابعة لاهوائهم وتنفيذا
لاغراضهم فأصبحوا موضع اشارة قول القائل

اذا رزق الفتى وجهاً وقيحا . نقلب في الرقاعة كيف شاء

فأين أنتم اليوم من أولئك القوم أولئك كانوا قوما عدولا أمناء
أدباء اتقيا . أصفيا . أبرياء . شهد الله لهم في كتابه بما سبق ذكره قبل من
الآيات القرآنية التي تشير الى أوصاف المؤمنين وما وصفهم القرآن الا
بأوصاف مجلة حفظا لنا موس البلاغة وقواعد الایجاز ومن أراد ان يعلم كيف
كان حال الخيار من هذه الامة فليفتقد ما أثرهم من مؤلفاتهم

حكى عن ذي النون المصري أنه وصف له عابداشتهر بالزهد والتقوي
فذهب لزيارته فلما أقبل عليه وجده يبصق تجاه القبلة فاشنى راجعا وقيل
له لماذا قال لأنه فاقد الادب ولقد اشتهر القطب الجيلاني بالاعراج لانه
مد رجله يوما في محرابه فموتب على ذلك فثناها أربعين سنة لا يرسلها
تأديا لنفسه وتنصلا من هفوته حتى ظنوه أعرجا ولو أننا جئناكم بأنباء
كثير من أنداد هؤلاء الاطباب لما وسع الوقت قليلا من كثير وما هي
والله ممن يريد أن يحيط علما بها ببعيد فما خلت منها خزائنكم ولا اكلتها
كنسأة سليمان مكامنكم ولكنكم عنها راغبون وبها مستهزون ومن يضل
الله فما له من هاد

وأما نبيكم فما احاط بكنهه اوصافه الشريفة الواصفون وما تمكن من
أدراك حقيقة ذاته المقدسة العارفون والله در ابن عربي حيث يقول واصفاه

في صلواته عليه بعد كلام قد اتينا به فيما سبق نقطة البسملة الجامعة لما
يكون وكان . ولفظة الأمر الجواله بدوائر الاكون . سر الهوية التي في كل
شيء سارية . وعن كل شيء مجردة وعارية . امين الله على خزائن الفواضل
ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل . وموزعها كلمة الاسم الاعظم . فاتحة
الكنز المطلق . الى ان قال الطود الاسم الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام
التمكين . والبحر الحضم الذي لم تمكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين
الي آخر ما جاء به من القبول الذي لا يعقله الا العالمون وما كان ابن عربي
ولا كنت داخل في حوزة قول القائل (كل فتاة بابيها معجبه) كما عليه
سفهاء الامم الاخرين ولكنها لفته متبصر أرشدته اشارات التوفيق والهداية
وأوقفته عبارات التحقيق من بوادر الحق على البداية والنهاية . وان كل
عقل ليعلم علم اليقين أن لام القسم من قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم)
قد أحاطت بكل وصف من الاوصاف الكمالية (ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم)

شكا موسى قومه لربه عند ما تعاصوا عن القتال فعذبهم بالتيه أربعين
سنة وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قاومه المشركون (وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم) الى غير ذلك من التكريمات الحنانية والتعطفات
الرحموية التي لم ينلها غيره . ولم يحظ بها سواه ومن أراد استقصاء ذلك
فعليه بكتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الشامل وما شاكلها فاما من أعصى
الا ويجد قائدا . كلما اقام مسترشدا . وما ضر أهل هذا الزمن الا التعاصي
والتعاضى فكانوا كغفال قويه منها ما هو شمس ومنها ما هو جرح فكانهم
حمر مستفزة فرت من قسورة والله بما يعملون محيط

ألا ان العاقل المنصف لو تفقد أحوال الرسل وتعليقاتهم وأعمالهم
 ومزايا حركاتهم وسكناتهم لعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان علي حال
 كمال فوق طاقة البشر . ولعلم ان الذين عابوه من سفهاء المسيحيين لا
 ميزان لهم في افكار العقلاء . ولا منزلة لهم بين الفضلاء . لانهم لو قارنوا بين
 قول الله تعالى لموسى (وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا) وقوله
 تعالى لداود على لسان الخصمين المستغربين لعتابه (وان كثيراً من الخطاء
 ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)
 وبين المرأة التي ظلقها زوجها بارادته واختياره لبغضها له ثم تزوجها رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على محبة لانها كانت قرشية لما وجد بين الاحوال
 نسبة ولما شهد لهؤلاء السفهاء بغير الجنون وهوس الخبال فلو أنه صح أن
 القليل من الهفوات البشرية التي لا تصدر عن غلظة طبع ولا فسوة قلب
 ولا عن مقصد سيء يخرج الآتي به من دائرة النبوة لمحا الله اسم موسى
 عليه السلام من دفاتر الانبياء وكذلك داود كما وردت به التوراة
 ولا وقف سير المسيح الذي أعرض عن أمه وأنكرها عند ما قيل له في مجلس
 الوعد ان أمك ومن معها في انتظارك لان هذا يخالف لامر الله سبحانه
 وتعالى الصادر في شأن بر الوالدين فأين هذا العمل من عمل الرجل من أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم الذي سأله أمه ان يسقيها فلما جاءها بالماء وجدها نائمة فوقف
 عند رجليها حتى اصبح خوف ان تتيقظ ظمأنة فلا تمجده وما جئت بهذه المقارنة
 تحقيرا لتقدر المسيح الامجد ولا اعابة لعمله لانه ربما كان ذا مقصد لاندرية
 ولا يحيط بأسراره امثالنا ولكني جئت بها لاطهر لهؤلاء السفهاء ان اعمال الرسل لا
 ينبغي للجاهل الخوض فيها ولا اعابتهما بحال من الاحوال وما كان حال من يفترى

على الله الكذب في حق الرسل ويقوم بينه وبينهم بالنيمة التي لا تصدر
الا عن فسوق وكفران وخبث طوية الاحمال الاحق جريء فاقد العقل
والادب نقل له ان بعض خاصة الملك جني ذنبا وعاتبه الملك عليه وعفا
عنه فبادر ذلك الاحق الى مصارع حنفة ومواقف خذلانه بالخوض في
عرض ذلك المقرب واغراء الخدم بازدرائه فتمعجب الملك من جرثة ذلك
الاحق السفية وامر ان يكون تحت المراقبة حتي يأتي اليوم الذي تعاقب
فيه المجرمون

ثم قال تالله لولا ان الجزاء من جنس العمل لما جوزي رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عفافه وكتمان محبته وصبره ورجوعه الى ربه بقوله سبحان
مقلب القلوب بالتمكن مما احبها بالامر العالي القرآني الذي لم يعارضه في انفاذة
معارض ولا يتبعه فيه متبع بأقل انتقاد الا القوم الخاطئون الضالون كعجائز
النساء اللاتي لا حرفة لهن الا اعاابة اعمال العالمين لما يتوهمنه من انهن بذلك
يكبرن في اعين جهلة النساء

ثم قال ألا فانظروا بعين التأمل في احوال الرسل كيف كانت مع
أمهم اذ كانوا لا ينظرون لهم الا بعين الازدراء والاحتقار كما يشهد بذلك
قول موسى عليه السلام لقومه فيما حكاه الله عنه اذ قال (يا قوم لم تؤذوني
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) ثم أعقب الله ذلك بقوله (فلما زاعوا
أزاع الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وكذلك كان حال عيسى
مع قومه كما يشهد بذلك الانجيل واما هذا الجليل الذي تجمل جماله بالجلال
فقد كان من أمره مع قومه ان قال لهم (لا تفعلوا بي كما تفعل الاعاجم
بلوكم ان أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد) ولقد وصف حاله

معهم الامام البوصيري بمثل قوله

كأنه وهو فرد في جلالة * في عسكر حين تلقاه وفي حشم
ولقد علم الله سبحانه وتعالى قومه الادب معه بقوله (يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وبقوله (ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم لكان خيرا لهم) الى غير ذلك من الآداب الكمالية التي
اختصت بها الامة المكرمة

ولقد كان من تواضعه وأدبه صلى الله عليه وسلم مع ربه أن كان اذا
صافحه مصافح من الفقراء لا يتجاذبه يده حتى يكون ذلك المصافح هو
البادي بالانصراف عملا بقوله تعالى في سورة الكهف التي زعم القوم أنها
من خرافات المعجز (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغفلة
والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا
تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً) ولقد كان
من أدبه الكامل ونزاهة اخلاقه أن قالوا له حينما أثار الحصار في جنبه
الشريف هلا اتخذنا لك وطأ فقال أفلا اكون عبدا شكورا ولقد بينا المعنى
المشار اليه بهذه الكلمة الشريفة في كتاب نشر الاسرار البشرية فلا حاجة
لايضاحه الآن ولو اننا أردنا ايراد آدابه صلى الله عليه وسلم واحصاء مكارم
اخلاقه لأعيانا ذلك اذ لا طاقة لامثالنا بالا حاطة بتلك الآداب الكمالية
ولقد قسمت مزاياه الادبية على اتقياء أمته كل على مقدار قابليته
واستعداده فكانوا لها لوحاً محفوظاً حفظها الله بهم من الضياع ولا تزال

محفوفة حتى تقوم الساعة لانها هي القرآن ولذلك اثني الله عليه بقوله
(وانك لعلى خاق عظيم) وقال له ولائته اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وما كان اكل الدين
الا تنوير البصائر وانقطاع الوحي عن التنزيل وما كان اتمام النعمة الا بيان
الاخلاق الكمالية التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لتتميمها واما الاسلام فما هو
الا الدين الذي ضربنا له المثل في مثبت العقل والدين ولكن الظالمين
بآيات الله يجهلون

ثم قال وانا للتمس هو لاء الضلال عندي في جهلهم مقدار ما أوتي
هذا النبي الكريم من انواع الكرامات الاحسانية والمواهب الصمدانية
والعلوم الدنية لانهم قوم يجهلون ولكننا لانجد لكم عندي في شهود
مخالفهم وعدم الاعراض عنهم اذا خاضوا في آيات الله مع قول الله
سبحانه وتعالى لئنبي (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) اذا فاهي الضرورة التي تلجئكم الى
مجالسة هؤلاء الفساق والاصغاء لخرعبلاتهم فوالله لانجد لحاكم معهم
شبهاً الا حال جهلة نساء القرى اللاتي تأتين المرأة المختالة من نساء
الانجبار فتنادي بينهن بقولها (نين زين ونصمر زين) فيترامين عليها
ظانات انها تعلم الغيب وتخبر عما في الضمائر فتناجي الواحدة منهن وقد
قبضت على كفها بقولها أضمر لك ضمير تعني في البير قولي ان شاء الله
فتقول كما لغنتها لجهلها وغباوة فهمها فهكذا هو حاكم مع هؤلاء المختالين
الاغوياء وانه والله لحال سي لا ينبغي أن يتلبس به المؤمنون سيما وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يلذغ المؤمن من جحر مرتين) ثم قال

اني لاضحك والاحشاء باكية * من لهو قومي ومن تهويل اعدائي
اذذكروني بانثي البوم اذنهضت * تريد قنص خيال النسر في الماء
فقابلتها قطاة وهي قائلة * هل صيد لعمية بنت عمياء
وهل لمثلك والاضواء تولمها * أن تحسن الصيد أو تسطو بظلماء
فهل تخيلت أن النسر الجأه * كسر الجناح الى وكر من الماء
حتي همت به ياشر خائنة * هامت على وجهها تهيام حقاء
أو ان قوته بالسقم قد وهنت * فليس يقوى على ادراك عرجاء
هلا رفعت لفوق الفوق طرفك كي * يبدو لك النسر في انحاء علياء
هلا خجلت وجند الطير ما وصفوا * من أفرختك بوصف غير شوها
أليس هذا ملك الطير يحذره * أولوا الجناحين من صقر لعنقاء
فلم تزل أم حرب في غوايتها * حتي دهاها دوي الدال والياء (١)
من ضارب زاجرات الطير تفرعه * فليس يبقي على الداني ولا النائي
وهذه حال قوم لا خلاق لهم * قد حاولوا هدم مجد الطاء والهاء
مثلتها للسذي بالذوق يفقه ما * أهمته بأشاراتي وإيمائي
وادهشتي من ملاهيكم وغفلتكم * عما أسر حليف الشين والراء
فيا ذوي السقم قد جثنا نعالجكم * بالمشتهي من فكاهات كحلواء
فما زهاكم سوى تشخيص ذى مرض * أضحى يداوي عضال الداء بالداء
فأسأل الله ان يجلي بصائركم * بنور مشرق شمس الميم والحاء
وان يقيض لليوم الرماة وان * يرمي بها من مساوئها بأسماء

(١) يشير الى ما يمثل به الصبيان عمل الآلة النارية القتالة اذا ما تشابهوا

بالتحارب بين ومدوا عصيهم الى الهوا قائلين دي هاها

ثم اعرض ذلك الخطيب بوجهه عن القوم اعراض المار علي ذات
الرائحة الكريمة وقد عارضته في طريقه قائلان اين هو لاء الضلال واين حقارة
قدرهم وغباوة جهلهم من عظمة جلال مقدار محمد صلى الله عليه وسلم
الذي لم يضارعه مخلوق في كمال مزاياه وعظم جاهه وارتفاع مجده
كلان القوم لني ضلال مبين

كل ذلك والقوم باهتون خاشعة ابصارهم لانتظار عودة اقباله فما لبث
ان اقبل بوجهه قائلان

(يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) ان الذين صادموكم
ليصدوكم عن دينكم ما كان حالهم معكم الا كحال كاذب محتال نصاب
حاول فتنه كريم ذي مال وعيال عاش في اهله مسرورا بما له وولده متمتعا
بنعمته وداره التي ورثها عن سلفه الذين كانوا اهل وجاهة وجاه عريض
فكان من حسد ذلك الخائن وحقده وخبث طويته ان قال له يا هذا هل
أدلك على أب اوجه من ابيك واوسع منه جاها ونعمة فلو انك اتهمت اليه
بمجرد انتماء لكان لك اكبر نفعاً وارفع مجدا فقال له يا هذا وكيف يكون
ذلك وما نفعتني من قبل مجرد انتمائي لساني بل الذي أعلمه اني ما حرزت
ما تراه من النعم الا بعد مشاق الخدمة وحسن الاخلاص والعمل بكل
وصاياهم فقال له ان الخطب لهين وان مجرد الانتساب لهذا الاب ليجعلك في
أرقى درجات النعيم فأطعني والا كنت من النادمين . وقد كان ذلك المحسود
المنصوح غبي الفهم فاسد التصور لا يفقه خبايا خدع المحتالين فأوشك أن
يميل الى فتنه ذلك المحتال وخذعة ذلك الفرور المغرور فناداه أخ له يا هذا
هل وصل بك العتة والغباوة الى حد تكون فيه حليف الضياع صريع

الاقتان مغلوب الغرور مكبلا بقيود الشقاء فاقد التمييز فاسند التصور
لا تحسن التصرف في حالك اذاً يجب على كل عاقل أن يحجر عليك
فقال وكيف ذلك قال لان أباك الذي يريد هذا الفضال منك أن تقطع
انتسابك اليه ما كان جاهلاً بجال ذلك الأب الذي يذكره لك هذا
الكذاب المضل ولا بجال أبنائه الذين أشبعوه عقوقاً وهم لا يشعرون ولقد
تبرأ منهم فلا تركزن الى خزعبلات هذا الكذوب فإنه مقتون وان أطمته
كنت قد ألقيت بنفسك في مهواة الهوان وفقدت ما بين يديك وأصبحت
صفر اليدين مذموماً مدحوراً وخسرت خسراً مبيناً ثم قال

إذا أنت للاعداء ألقيت مسمماً • وكنت غبي الفهم غير بصير
رجعت من الخذلان والحزى والبلا • ومعظم انواع الاذى بكثير
فما خدعة الاعداء الا حباله • لا يجاد أخطار وقد نصير
ومن لم يجاذر من عدو مخادع • قوي احتيال مفسد وغرور
غدا مضغة للماضين وان عسى • يكون اسير الغم بعد يسير
ومن سره أنس ابتسامه ذئبه • فما احتل الاموحشات قبور
ثم قال أيها الناس من كان منكم في ريب مما قررناه فليلق على
مسامعنا ما حاك في صدره لنذود عن قلبه رائد الشك وظلمة الشرك ان
الشرك لظلم عظيم

وإذا برجل قام من بين القوم وقد تزيأ بزوي سكان البلاد المغربية
الذين اتخذوا ثياباً من صوف أبيض لها فوق اكتاف اللابسين قطعة
مجوفة مستديرة قد نسجت من ذلك الصوف على هيئة التاج قائلًا وهو يلوي
الى لغة اهل الغرب لسانه ليظن السامعون أنه مسلم مغربي الاصل وقد تنصر

أيها الخطيب الواعظ لقد اطالت الوعظ على غير طائل وأتيت الينا
ملا تقبله القلوب الواعية ولا تميل اليه العواطف لانه بعيد عن الصواب
فأدهش القوم قوله وقاموا على أقدامهم صارخين في وجهه بالزجر
العنيف وهموا أن يبطشوا به فأشار الخطيب اليهم ان يكفوا أذاهم عنه
وان يجلس كل قائم مكانه فجلسوا داهشين وقد أخجل الرجل حالهم
وأخافه ماشاهده منهم من حماس الحمية وغلظة الغيرة الدينية وهاله قيامهم
على قدم واجتماعهم على كلمة واحدة فلما رأى الخطيب عليه علامة الخزي
والخوف لاطفه باللين والتعطف قائلاً

يا هذا الابهولك ما رأيت من اجتماع الجماعة على مقابلتك بمولات
الزجر العنيف فانهم ماسموا مناما حاد عن طريق الصواب ولا ما يضاعف
الكلمة التي ضرب الله لها في القرآن المثل بقوله (مثل كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تأتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب
الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) وما كان ما كان منك من
الهدوء ما اهديناه الى مسمعك الا لامر يعلمه الله فسكن روعك والحق
على قلبك ملحفة الاطمئنان وروح فؤادك بروحة الهدوء والسكون لينطلق
لسانك بما اكنه صدرك وتخرج ما اخبأته في طوابع سريرتك من العقائد
التي هي مصادر الاعمال الدينية من كل عامل ولا يتخف من القوم
بأسا ولا رهقا

فاستحضر ذلك الرجل المغربي من عقله ما غاب في فيافي الدهول
وأودية الدهشة التي فاجأته من حيث لم تكن في حسبانته ثم تهيأ لاستخراج
مقدوفات قريحته بمنطلق لسانه فقال

ايها الخطيب اني كنت مسلما صالحا ثم ان ابني وامى كانا مسلمين
وطالما كنت اذكر الله في الجلوات والخلوات وفوق السقف من
كثير من المساجد المشهورة بالبركة بين المسلمين وكنت كلما ازددت
ذكرا ازددت ميلا للسرور ثم استعملت كثيرا من الرياضات لعلي اصل
الى نيل ما تلجج به الالسن من كرامات الاولياء فما شمت رائحة قبول
ولا توسمت علامة وصول . حتى جاوزت سن الاربعين وانا كثير العمل
طويل الامل . الى ان طرق قلبي طارق القنوط والياس من نيل مارجوته .
مع بقاءي على تلك الحالة فأطلت البحث في الاديان فما وجدت ديننا
اقرب للفوز والنجاة ودخول ملكوت الرب غير دين المسيح الذي وصفه
قومه بأنه الاله المجد الذي هو الآن عن يمين ايه فبادرت بالتنصر
ووافيت البطرك متعمدا وها انا الآن من اكبر المسيحيين وهذا هو
الصليب في عنقي وصورة المسيح في جيبى اسجد لها كلما رأيتها الى ان
أراه بعد الموت فيتعطف علي ويمسح ثوايي ويحمل عني الخطايا ويجعلني
عند آبيه من المرضيين

فعند ذلك تبسم الخطيب ضاحكا وقلب كفيه متعجبا وحوقل
واستعاذ ورفع يديه الى السماء قائلا اللهم انت عياذي فبك اعوذ وانت
غياثي فبك استغيث وانت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب
الجبابرة وخضعت له اعناق الفراعنة اعوذ بك من خزيك ومكرك . وكشف
سترك . ونسيان ذكرك . والانصراف عن شكرك . انافي كنفك ليلى ونهاري
ونومي وقراري . وظعني واسفاري . وحياتي ومماتي ذكرك شعاري . وثناؤك
ذئاري . لا اله الا انت تعظيما لامحك وتزيتها لسبحات وجهك سبحانك

سبحانك سبحانك . ما اعظم شانك سبحانك سبحانك سبحانك . ما اعز
سلطانك . سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك (والله
المستعان على ما تصفون)

ثم قال يا هذا القداستحكم الجهل في جميع معالم ادراكك كما تحكم في فؤادك
الشیطان حتى لم تجد لنفسك من ضيق الخبال والفتنة مخرجا وقد اصبحت
وامسيت فاقد الشعور والاحساس حتى جهلت ما انت عليه من سوء الخبال
وخبية المالك وصرت على حال كحال القائل والله دره فقد كان اعلم منك بنفسه
دهشت لطول الصد حتى كأني * تعاطيت ما يظن لمطعمه العقل
وحررت فلا ادري الى اين مذهبي * وكيف يطيب العيش ان عدم الوصل
وقد ضاق بي رحب الزمان واصبحت * تحاكي فلاة الارض ما يحفر النمل
ولست اري الا العذول مسامرا * ولا قرب الا من رقيب له جعل
فوافيت قصرا قد تزيأ مزخرفا * بزبي قصور الخلد ليس له قفل
فلما ولجت الباب وامتد ناظري * لقيعان ذاك القصر من حيث لا تخلو
بصرت بقوم كالغزال تتابعوا * الى ما من الاعشاب ليس له مثل
فظأطأت رأسي كالبهايم رانعا * كما رتع الاقوام يقدمهم عجل
واصبحت امتدعي الجياح لمرتعني * ومن لم ير العيش الجأه الجهل
ثم قال يا هذا لقد علمنا ما الجأك الى الفرار مما اعتنقه العقلاء ان
كنت من الصادقين وسنوقفك على سينات احوالك بواضح البيان . وساطع
الحجة والبرهان . ولكننا نحب أن نعلم ما نلته من الخير وما حويته من المزايا
بعد ما كان منك من هجر هذا الدين القويم وما واصلته من العبادات
على الطريقة المسيحية فكن علي نفسك من الشاهدين ولا تكتم الشهادة

ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله على كل شيء شهيد
فقال انما نعلم الكنائس في اوقات الصلاة ونجيب الناقوس ونسجد
بزمير داود ونسجد للصاب والمصلوب وتلوا الانجيل فدخل ملكوت الرب
فقال له الرجل ومن أي باب من ابواب الملكوت دخلت ان كنت
صادقا فبنت الرجل هنية ثم رجع الى حسه قائلا ان ملكوت الرب لا
ابواب له فقال وما علامة دخولك ذلك الملكوت الذي كثيرا ما نسمع
سفهاء كم يذكرونه ويرغبون الناس في الدخول فيه وما برهانك على صدق
دعواك ان كنت من الذين يزعمون انهم دخلوه

فقال كما يقول السفهاء والاغبياء منهم ان هذا الامر لا يليق التصريح
بجمله ولم يكن في امكان الداخلين فيه التعبير عما يشاهدونه من آياته
فقال له الاله من حال يظهر على اولئك الداخلين من احوال الصالحين ويتميزون
به عن غيرهم او علامة يعرفون بها بين الناس فقال المغنون لا فانها اسرار
باطنية لا تكشف أستارها فناداه يا هذا ان اصحاب الاسرار هم الذين
يأتون بالانبياء الغيبية ويطلعون على ما في قلوب الذين معهم وربما حذروهم
او بشروهم ببعض المغيبات التي تأتي بها الحوادث الدهرية كما كان عيسى
عليه السلام وكثير من اولياء امة محمد صلى الله عليه وسلم فهل فيكم من يكون
حاله هكذا فقال ذلك الاحق ان هذا لا يكون ولم نسمع به فقال له اذا
فما هو الملكوت الذي تدعون الناس الى الدخول فيه فهل تنادون في الناس
بالترغيب في شيء ما علمتموه ولا دخلتموه وما له عندكم من باب ولا علامة
ولا حال يتميز به الداخل فيه عن غيره ان هذا هو الضلال البعيد
فقال الرجل انما ندعوا الامم الى اصلاح مستقبلهم في الآخرة ولا

تريد بالملكوت الا ملكوت الرب الذي جلس فيه ابنه عن يمينه وتقول ان
من آمن بألوهيته وتلا انجيله كان معه في ذلك الملكوت في كنف أبيه
فضحك الرجل طويلا استهزاء واستخفاً به وخجل المتكلم خجلاً شديداً
حتى كاد ان يفر هارباً فلاطفه الرجل وقال له يا هذا ما هو الأمر الذي
به تحققت فضل الدين المسيحي وما هي الحال التي صيرتك فاراً من
دين الاسلام

فقال لاني ما وجدت في ذلك الدين خيراً . فقال له وأي خير تريد
هل أردت خير الدنيا أم خير الآخرة أما خير الدنيا فطرقة معلومة عند
أهل الدنيا وأما خير الآخرة فقد تحققنا جهلك به من حالك الذي سألتك
عنه ان كنت في جوابك من الصادقين فما رأينا من هو أجهل منك
يشؤون نفسه وما هي عليه من الغباوة والبله والتهيام الذي لا يحاكيه
الا حال الدابة الجموح التي تفلت من قائدها فصارت تفسد حيث لا
تعلم الي أين تذهب

فقال المفتون وكيف ذلك فقال له يا هذا . ان الاديان لا يرغب
فيها الراغبون الا لاصلاح أمرين ونوال أمر ثالث ضربت فيه اعناق
الطالبين وفيتت في طلبه هم الراغبين وماتت في سبيله نفوس المتشوقين .
أما الامران الذان لا يصلح حال الانسان الا بصلاحهما فهما أمر الدنيا
والآخرة فأما أمر الدنيا فما هو الا الآداب الكمالية التي اذا تأدب بها
الانسان حسنت معاملته للخالق والمخلوقين وتبع الاوامر الشرعية وتجنب
المناهي طائفاً مختاراً وبذلك يطيب عيشه ويبتهج في خلافته الدنيوية
كل على قدر ما آتاه الله من الطيبات التي استخلفه فيها من مال وعيال

حتى عوالم احساساته الذاتية فيكون محبوباً لنفسه وغيره ومرضياً عند ربه
وأما أمر الآخرة فما هو الا الاخلاص في تناول تلك الاحكام
وفي التخلق بتلك الآداب بحيث لا يتحقق بحال من الاحوال ولا يأتي
بعمل من الاعمال ولا يتفوه بقول من الاقوال الا ويكون مراده منه
مرضاة الله سبحانه وتعالى واتباع أوامره لارضاء المخلوقين والنزبن في
أعينهم ومتى صح له ذلك المطلب الالم كان قد فاز بشرف الدنيا وكرامة
الآخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهذا هو الصراط الذي
سلكه النبيون ومن ورثهم من العلماء العاملين وما اتخذ الله من ولي جاهل ولو
اتخذ له لعله بمعنى انه يرشده الى مناهج الرشد بلا واسطة وكان ذلك
على الله يسيراً

وأما الامر الثالث الذي هو المطلب الالم والمقصد الاعلى فذلك
أمر لا يتوجه الى وجهته الا الوجهاء الذين اسلموا وجوههم للذي فطر
السموات والارض واغتسلوا من كل درن يصيب القلوب وليس لذلك
الاعتسال حقيقة الا الحقيقة التي طالبا الامام ابن مشيش من الامام أبي
الحسن الشاذلي حينما جاءه ليسلك طريق القوم على يديه وما كان ذلك
منه الا بعد أن تلقاها عن عشرة من الشيوخ وما فتح الله له بشيء على
أيديهم فلما خامر البأس وحاول قلبه القنوط مر ذات يوم بسنور يتصيد
فراه يطلب فاراً فيفر منه الى جحره فيتركه ويطلب آخر حتى أعبته
الحيلة فأمسك بنفسه على جحر واحد مدة طويلة واذا به قد نال ما طلب
فقام أبو الحسن من وقته قاصداً خلوة ابن مشيش سيدي عبدالسلام رضي
الله تعالى عنه فلما وافاه علم مطلبه فقال له قم فاغتسل فقام أبو الحسن

واغتسل بالماء فلما أتاه قال له ما اغتسلت يا أبا الحسن الى ثلاث مرات
فأدرك أبو الحسن الامر المقصود فجرد من علمه وعمله وحاله وجلس
بين يديه كأنه مولود من حينه فأوصاه بما أوصاه به مما لا تسمعه أفهام
الحاضرين ومن أراد أن يعلم كيف تكون وصايا العارفين فليبحث عن
هذه الوصية بالسؤال من أكابر الشاذلية عنها لعلمهم أن يظلموه على
اسرارها وما حوت من الآداب الكمالية ومن لم يغتسل ذلك الاغتسال
لا ينال من هذا المطلب من الا

ولا قدرة لانسان علي ان ينظهر بهذا الاغتسال الا اذا صبت عليه
مياه الرحمة وامطره الله شأيب الاحسان وهطلت عليه هواطل الرضوان
كما أشار الى ذلك سيدي علي وفا رضي الله عنه في مناجاته اذ قال من يجيبك
سبعانك سار . ومن تجبه طار . ومن أبقته بعد الفنا . نال غاية المنى
وذهب عنه العنا . ياغني فقر الطالبين . ويا أنيس وحشة المنفردين . الى
آخر ما قال . وقد قال قبل هذا في موضع آخر . الهنا تجلبت بوصف الأتوهبة
فهلوت العقول وانفطرت القلوب وهامت الارواح وحارت الاسرار
وذلت النفوس كل عزيز لسلطان عزك ذليل وكل جبار متكبر لعظمة
عظمتك حقير من ناديته اليك أقبل عليك ومن حجبتك عنك حرمتك منك
ومن فتحت له باب الوصال لبس خامة الكمال ومن لم يسبق له منك المحبة
لا ينال من وصلك حبه فاجعلنا سيدي ممن حكمت له السابقة بسعادة
العناية في الازل وأغنيتك بك عن كل علم وعمل يا مولاي يا واحد يا مولاي
يا داتم يا علي يا حكيم

وهذا المطلب النفيس هو الذي أشار اليه الامام البكري في ورد

السحر بقوله . الهي ضربت أعناق الطالبين دون الوصول الى ساحات
حضراتك العلية . وتلذذوا بذلك فظابوا بعيشتهم المرضيه . واليه الاشارة
بقول ابن الفارض رضي الله تعالى عنه

اذا أنعمت نعم علي بنظرة * فلا أسعدت سعدي ولا أجملت جمل
وبقول القائل رحمه الله

نظرت فلم أنظر سواك أحبه * ولولاك ما طاب المهوي للذي هوى
وقليلا ما يهتدي سالك الى معالم معاني ذلك الخمي الاعز الاحمي الا
بسماع صدا اصوات أنين صرعاه . اورنين المترنين بالاغاني ممن تمتعوا
بشهي مشربه ولذيد مرعاه . وهذه ما أثرهم الغراء . ينادي لسان حالها المنكر
عليهم بمعنى قول القائل

وان كنت تنكر وصلا جرى * وتزعم أن الرشا ما وصل

فها أثر المسك في راحتي * وهذا في فيه طعم العسل

ثم قال يا هذا فأني المطالب طلبت في بادي امرك ان كنت صادقا

وما أظنك الا من الكاذبين لانك لو طلبت اصلاح دنياك او آخرتك

لما وجدت دينا قويا يرشدك الى ما تريد . ويوصلك الى اكل مقام من

مقامات العبيد . اقرب مستكلا ولا اوضح دلالة من الدين الذي ألقينا على

المسامع بعض آدابه السكالية ودرر اشاراته البهيه وان كان المطلب الذي

اشرنا اليه هو الذي كان مرمرى سهام اغراضك فما صدك عنه وحجبه عنك

الا مزمنات أمراضك لانه مطلب لا ينال بالهم . ولا بأن يكون لطالبه

في العلم بالمعلومات اسبق قدم وما كان حالكم في دعوى دخول الملكوت

بالاسباب التي ذكرتها وذكرها كثير من سفهاكم في مسطراتهم الزيفية الا

كحال الفلاسفة الذين يزعمون ان الانسان لا يزال يتتبع العلم بالمعلومات حتى يقابل ربه وجها لوجه فيكون كأنه هو يعلم ما يعلم ويعمل ما يعمل وما جاؤا على ذلك ببرهان قولي ولا عملي ومعني البرهان القولي ان يأتي مدعي هذه الدعوى بقول قائل من أكابرهم المتقدمين يدعي فيه انه قابل ربه وجها لوجه وعلم ما علم وعمل كعمله كما عمل عيسى مثلا الذي كان يحيي الموت باذن ربه . وأما البرهان العملي فعناه أن يأتي المدعي بدليل قوي على دعواه التي ادعاها بأن يقول ان ابن سينا مثلا الذي سموه الشيخ الأكبر عمل أعمالا كاعمال الرسل أو أعمال الاولياء الذين اكرمهم الله بتابعهم رسله فأجرى على أيديهم ما أنكره القوم الفاسقون فاذا كان لا هذا ولا ذاك وما كان علمهم الا مقترحات ظنية تحتل الصدق والكذب كما يقولون مثلا ان الارض تدور بسرعة لا تماثل لانها لشدة سرعتها لا ترمي ما عليها فلو ان للقوم عقولا لعدلوا أن هذا الدوران الذي تكون سرعته كما يقولون لا يكون دويه الا أشد من دوي الصواعق اذ لو دار الهواء وحده بما يماثل سرعة ذلك الدوران لملاء الآفاق دويا كما هو مشاهد ومعلوم من هبوب عواصف الرياح . ولو أنها هي التي تدور لما تمكن السحاب من ايصال الماء الى قطرة منها يستدعي حالها استمطار الغيث ولو أنهم زعموا أن الارض والماء والهواء والسحاب على حال واحد في الدوران لكانوا أولى بسكنى البامارستان ممن سكنوه فما كانت دعواهم التي ادعوها في مقابلة العبد ربه وجها لوجه بالترقي في الاحاطة بالمعلومات الا دعوى مجنون لا يعقل وما هي الا أشبه شي بدعواكم الكاذبة الباطلة . اذ الحق الذي ترضاه العقول وتقبله الافهام ما هو الا ما عليه أهل الايمان وأعني

بهم الراسخين في العلم منهم اذ قالوا ان الانسان اذ أدركته العناية وقومه
توفيق الهداية . لا تكون له همة الا أن يعمل على تطهير قلبه من الشواغل
الكونية وبودى ما عليه للخالق والمخلوقين من الحقوق والآداب و ينتظر
ما يفرغ في ذلك الاناء مما قسم له في سابقة التقسيم الازلي من الانوار التي
هي العلوم اللدنية وكلما ازداد في التطهير والتخلي تزايد في الادراك والتخلي
بما يحليه الله به من الاسرار والانوار التي يقف على حقائقها المطالع لموافاتهم
اذ يذكروا فيها مبادي الفتوحات وكيف يكشف المر يد السالك بالمغيبات
الملكوته والاسرار الكونية بتعليم الله له كما علم آدم الاسماء وذلك لأنهم
أقوام يمتقدون كل الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى هو الموجود الحق وان
ما سواه باطل ولولا انه كساه حلة الوجود لما ظهرت عليه طلاوة الحق مع
كونه باطلا كما يشهد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعناه
من كثير ان اصدق كلمة قالها لييد

الاكل شي ما خلا الله باطل . وكل نعيم لا محالة زائل

ولله در القائل حيث أتبعه بقوله

وكل أناس سوف تدخل بينهم . دويبة تصفر منها الانامل

من مرثية رثي بها الناظم فقيداً من علماء الازهر الشريف كان في
زمن مشيخة الامام الباجوري يقال له الشيخ منصور كساب كان رحمه الله
على علم ونفوى وكان باراً بوالدته حتى قيل انه قبل موته بقليل من
الدقائق الساعائية جاءته أمه تيممة لتعلقها عليه وأخرى لتبخره بها فقال لها
ضعي النار والورقة وانتظريني خارج الباب حتى أتبخر فلما خرجت ولم
يتم وعادت لتنظر ما يصنع أسرع بالقيام الى الجور خوف غضبها وهو

في سكرات الموت فما أعجب ما يعمل المتقون وما أقوم ما يتمسك به المتدينون
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ولما كان القوم على هذا الاعتقاد المخالف لمعتقدات الفلاسفة ثبت
في قلوبهم ان الله سبحانه وتعالى أقرب لعبده من جبل الوريد وما احتجب
الإنسان عنه الا بما هو عليه من الحجب البشرية ألا وهي أغراضه وشهواته
التي شغلته عن مطالعة ما يراه المبصرون الذين فتح الله أسماهم وأبصارهم
ولا يكون ذلك الفتح الا لعناية ولا تكون العناية الا عن محبة ولا تكون
المحبة الا بعد انقياد ونسليم ولا يكون الانقياد والتسليم الا عن علم ولا
يكون العلم الا عن كثرة المواجهة ولا تكون مواجهة بين من هو كلاشي
وبين من لا يشبه شي الا من الوجة التي قدر مواقيتها الحق سبحانه
وتعالى على أسنة الرسل وفي الكتب المنزلة ولا تصح بغيرها للعبد مواجهة
لربه فان المواجهة لا تكون الا بين الاجرام وأما مواجهة العبد لربه من
الوجة التي قررها الشرع وسماها الصلاة فما هي الا تجرد مشتغل عن
شواغله الحسية والمعنوية والتفاته لمطلوب هو منه قاب قوسين أو أدنى
لو كان مبصرا ولا يكون لذلك القرب الشديد ظهور في مظاهره الاعلى
مقادير الاستعدادات والقوالب التي عليها التجهون ومتى استدامت تلك
المواجهة حصلت المعرفة التي كانت الشواغل مانعة لقلوب المشتغلين عن
التحلي بها ولا تزال تلك المعرفة تزداد حتى يرى العارف نفسه (كسراب
بقيعة يحسبه الظآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده)
ويكون اذ ذلك قد تحقق بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه
عرف ربه) وهناك نفتح له أبواب الملكوت التي تزعمون انكم دخلتموها

كاذبين واذ ذاك يعمل الله معه أعمالا كالأعمال التي جاء بها عيسى بأذن
الله عند مقتضيات الأحوال ان كان الله سبحانه وتعالى جعله مظهر الآي
عمل يريد امضاه على يديه ولا يكون حاله في ذلك العمل الا كحال عصا
موسى وجلد بقرة قومه بدليل قوله تعالى لرسوله ومن كان معه (فلم نقلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وبدليل قوله لعيسى
عليه السلام (تكلم الناس في المهد باذني واذ تبرئ الاكاه والابصر
وتحيي الموتى باذني) اذ ليس المعنى أن الله قال له اذهب لتحيي الموتى
فذهب فأحيها اتباعاً لذلك الاذن (كلا) ولكن الاذن الالهي هو العامل
ولا معنى للاذن الا الكلمة التي أشار الحق تبارك وتعالى اليها بقوله (انما
أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فكان الجبل بهذه الحقائق
كلها هو الداء المهلك لارباب الدعاوي من كل من الطائفتين أعني طائفة
الفلاسفة وطائفة المبشرين ولولا أن الزمن زمن أقوال بلا عمل وعلم بلا
حقيقة ومعرفة بلا تصور واطلاع بلا تبصر ومشقة بغير تحقق ودعاوي
بلا برهان وتقليد بلا متابعة واعتراف بلا وفاء واقرار بلا تقرب للجبل
القوم من أقوالهم وسخر العقلاء أولوا البصائر من أعمالهم ولواجههم المحقون
بما واجه به قومه موسى اذ قال لهم فيما حكاه الله عنه (انكم قوم تجهلون)
ثم قال يا هذا رأيت ان كان من الملوك ملك عاقل عادل شديد
الزكاه والفضيلة محسن للسياسة هل ينبغي له أن يولي مناصب مملكته غير
أهلها او يعطي عطاء لمن لا يستحقه حتى وان مكث على بابه زمناً طويلاً
وهل يقابله بغير الطرد الا ترى ان كسرى انوشروان لما جاءه القيصر
بمتكرراً يعلم ما عليه قاعدة ملكه ثم ما زال يتقرب بالوسائل اليه حتى

كان من خواص احبائه وكان لاحد خدماة كسرى الاذنياء ولد زكي
نشأ تلميذاً وأدرك كثيراً من الفنون واشتهر بالمعارف فتوسل والده الى
كسرى بصاحبه الذي كان عنده بمنزلة فوق منازل كل خواصه أن يجعل ولده
والياً او يرفع منزلته عنده فقال له كسرى ستري ما يكون من امره في الصباح
ثم امر بعض اعوانه بتعليق ذلك الرجل الذي هو والد التلميذ بمكان يمر عليه
ذلك الشفع فلما اصبح وجده معلقاً فراه امره وسأل كسرى في ذلك
فقال له انه لم يكن لفساد مملكة القيصر سبب الا تولية المناصب غير
اهلها ومثلك لا يرضى ان يكون سبباً لفساد ملكي واذا كان هذا حال
ملوك الدنيا فكيف بشؤون مدبر الكائنات الذي قال في كتابه العزيز
(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء)
فلو ان الله سبحانه وتعالى علم في مثل ابن سيدنا قابلية لتاتي الاسرار المملوكية
بلا تكبر ولا تفاخر ولا متابعة هواء لعله نبياً واطلعه على خبايا اسراره
التي اطلع عليها النبيون او والياً من ذوي الكرامات ولكنه ما كلفه الا بما
يطيقه وكذلك حال كل مخلوق حتى البهائم والوحوش فقد اعطى كل شيء
خلقه فلو انك ذو تصور لم ياحقه فساد لتظرت الى انواع الحيوانات التي
اوجد الله في كل نوع منها ما يدافع به عن نفسه المضار وما يستجلب به
المنفعة على اختلاف تلك الانواع من طيور ووحوش وانعام حتى عالم
البحار وعلمت انه هو المعطي لكل مخلوق حق قابليته واستعداداته الباطنية
والظاهرية لاسيا الانسان الذي هو محط نظره من خلقه ولا تضع حكيمته
العلية شيئاً في غير موضعه فلو ان مثلك عبدت الله سبحانه وتعالى الف سنة
بما عبده به النبيون ووقفت على اعتابه دهرًا طويلاً تطلب غير ما تقتضيه

قالبيتك واستعدادك ما وجدت مجيياً . ولا حصلت غير نصيبك نصيباً
وما اظنك كنت طامعاً الا في مالا مطمع فيه لا مثالك فان كثيراً
من الجهلاء قد استعملوا الرياضات . واكثروا العبادات . واداموا الذكر
بكثير من انواعه واتخذوا المساجد بيوتاً وربما قضوا غالب لياليهم كما
قررناه سابقاً فوق سقف المساجد وما حصلوا لفساد اغراضهم وشوم قوايلهم
غير التعب واستحكام الشك في قلوبهم فعدلوا عما كانوا فيه من شون
المبودية الى ما تخيرته احوالهم وارشدتم اليه مهرة المغوين فأصبحوا في
ظلماتهم يعمهون لانهم ما التفقوا الى ما قاله اكابر العارفين من ان الكرامة
هي الاستقامة فلو ان الله اعطى ولياً من اوليائه حسن الاستقامة على
الطريق المستقيم الذي هو الآداب الكالية واعطى لآخر ما يكون على
ايدي الاولياء من خوارق العادات ولم يكن كامل الآداب لكان المستقيم
هو الذي خصه الله بكرامته فلو انك رزقت الاستقامة في احوالك واعمالك
لعلت مزية الدين ولما تراميت تراخي الذباب على ما اصبح سبباً لهلاكك
وكذلك كان حال كل محروم من الرحمة والرضوان والله لا يهدي القوم
الظالمين

تم قال له يا هذا قد تبينا حالك من مقالك وما كان لنا أن نتجاري على
تكذيبك بلا برهان فما علينا الآن الا أن نسألك عما نستأنسه الآن من
نفسك فان وجدت في قلبك ميلاً للدين القويم استبتناك ولقناك الشهادتين
وعلمناك كيف يكون السلوك وان كنت ما زلت ترى من نفسك التعاصي ونشم
من قلبك رائحة الاصرار على ما أنت عليه فاذهب الى سبيلك فقد أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم باستبعاد الناقة التي قيل لها يا ملمونة فقال

جنبوها الركب فإنه لا يصحبنا ملعون وقد استطلعنا مما سمعناه منك أنك
مضطروء من رحمة الله فلا تمكث غير ما مكثت والا هناك فخرج المفتون
خائفا يتربق وقد اتخذ من الخزي والحجل غطاء ووطاء والله محيط
بالكافرين

ثم التفت ذلك الخطيب الى الملا من قومه قائلا أيها الاخوان اني
غير مكذب مقالة هذا الضال المفتون لعلمي أن قدرة الله صالحة
لكل عمل اذ القادر على هداية الكافر لا يعجزه اضلال المؤمن بحكم
سابقة الازل عليه موافقه للقوابل والاستعدادات من كل منها فقد يعق
الولد آباء بعد ما كان من أعز الاحباب لديه لعوارض تستجلبها
الاستعدادات البشرية

ولكني علمت مما شاهدته بالامس أن هؤلاء الذين استهوتهم الشياطين
وصاروا في هذا الزمان نساء ابليس قد اتخذوا من طرق الحيل في الاغواء
والتضليل كل طريق يظنون أنها تساعدهم على مقاصدهم وكان من تلك
الطرق أنهم كثيرا ما يلبسون هذه الملابس في حفلات جدلهم ثم يجلسون
حيث يراهم الحاضرون فاذا قام خطيبهم ليضل الناس ووجد في القوم
مقاوما معارضا استنصر باخوانه الذين تزيوا بزى المغاربة مستشيدا
بهم على صدق ما يقول وصحته فيومون بروسهم ايماء المصدق ليثوم الشهداء
أنهم مؤمنون بتحقيق الحق واتبعوه وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون
ثم اني تحققت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (من
أمر سريرة ألبسه الله ردائها) مما سمعته بالامس فقد كنت بعد العشاء
الاخيرة التفتد بعض الاصدقاء في زاوية من زوايا المتعبدين واذا بسائل

يسأل صاحبها له قائلًا يا أخي اني أرى في مجامع القوم الاسافل الذين يدعون أنهم مبشرون أناسا كالمغاربة كلما عاب هؤلاء السفهاء دين الاسلام يعيب صادقوهم على ما يقولون

فقال له صاحبه يا هذا افأنت الى الآن لم تحط علما بأحوال هؤلاء القوم الذين لعن الله أسلافهم على لسان داود وعيسى بن مريم كما أخبر بذلك القرآن وكثيرا ما جاءت الآيات القرآنية بلعنهم وذكرهم ما يبهم والتصريح بكفرهم ونهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يفتح لهم أبواب المارة والجدل بقوله في سورة الكهف (فلا تمار فيهم الا مرء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا) لانهم كانوا اذا أرادوا أن يجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا بالمنافقين منهم ليشهدوا محاورتهم له حتى اذا استفتاهم في الامر الذي وقع فيه الجدل أجابوه بما به تقوم حجة المبطلين من أصحابهم وما كان ذلك منهم الا خدعة ومكرا كما قال تعالى (يخادعون الله وهو خادعهم) فكان ذلك الحال في كل كافر منهم خليفة غريزية من طريق الوراثة والتقليد حتى استفحل هذا الداء في هؤلاء القوم الذين مقتهم الله من حيث لا يشعرون وأخذ بنواصيرهم الى مصارع الانتقام ومواقع الغضب عن ميل منهم اليها وتراض لان دواعي تلك المصارع هي التي توافق قوايلهم واستعداداتهم فقاموا على قدم وساق يخدعون العوام ويتخذون طرق التحايل في اغوائهم ليضلوهم كما ضلوا ويهلكوهم كما هلكوا ولكن الله سبحانه وتعالى تأتي رحمته أن يهلك العوام البسطاء بما أهلك به هؤلاء الاشقياء فان آثار رحمة الله سبحانه وتعالى ما زالت ظاهرة في أحوال هذه الامة وأعمالهم وما زالت فراسة الايمان في قلوبهم فترى أبسط العوام اذا رأى أمر مبشر تزيا بأي

زي تفرس فيه أنه ممقوت وأنه من القوم الضالين . ولولا ان الخجل يحول
بينه وبينه لمكن نعله من تلك الناصية الكاذبة الخاطئة والله لا يجب
كل كفار أنيم

ثم جلس ذلك الخطيب ليريح قلبه وقالبه من عناء الوقوف ومعاناة
الحدة الغضبية التي تفاجئه كلما سمع بما يقول هؤلاء الضلال وما يتخذونه من
طريق التعايل والمخادعة ثم امر القوم ان يتطهروا بالوضوء لاداء فرضة
ذلك الوقت الحاضر وكان هو الامام فما اتم الصلاة الا وذلك الرجل
المطروود قد اقبل ومعه جماعة من المبشرين فجلسوا في مجالس المصلين التي
اتخذوها قبل الصلاة ثم اختتم الخطيب صلاته وحمد الله واثني عليه وصلى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته بالدعا مستقبلا يدغو بدعوات
صالحات منها . اللهم انا نندرا بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم . اللهم
عليك بهم فانهم لا يعجزونك ابايل ابايل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم
كمصف ما كول . اللهم يا قائما فوق خلقه ويا حائلا بين المرء وقلبه حل بيني
و بين الشيطان ونزغه وبين من لا طاقه لي به من خلقك اجمعين . اللهم اكف
عني السننهم واغلل ايديهم وارجلهم واربط على قلوبهم واجعل بيني وبينهم
سدا من نور عظمتك وحجابا من قوتك وجندا من سلطانك انك حي قادر
مقتدر قهار . اللهم اغش عني ابصار الاشرار والظلمة حتى لا ابالي بأبصارهم
يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة
لاولي الا بصار والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
ثم قام فجلس مكانه من قبل وقال للقوم هل من حاجة فقام رئيسهم
قائلا ان هذا وأشار بيده الى المطروود قد شهد محافلكم أياما وما من يوم

الا وياتينا بأبائكم فلا نستطيع ان نأتي لمقاومتكم او مناظرتكم حتى
افتتح معكم باب الجدل وجاء يدعي انكم عندما علم القوم طويات أسراره
كنت أنت المدافع عنه شرور الحاضرين وكففت عنه ألسنتهم وأيديهم
ثم فاوضته الحديث وناصحته ولما لم يقبل قلت له امض الى حيث أتيت فلذلك
جئنا لتجدد الجدل معك حتى تبين الحق ونهتدي الى سواء السبيل
فقال الخطيب نعم ما فعلتم ان كنتم صادقين فقال رئيس القوم وهل
ينبغي من قام يدعو الى سبيل الرشاد غير الحق . قال الخطيب نعم ولكن
الحق لا يتجلى في أمر واحد بصورتين ولا يوجد الا في جيب أحد المتجادلين
ولكننا نرى ان كل معاند مصر يدعيه ويزعم أنه هو الذي مد موافقه
وملاً من شهى ذوقياته أو انيه فكيف اذ ذاك يكون بيننا الوفاق . ومن
ذا الذي يحكم للسابق منا بالسبق في مضمار السباق . فقال الرجل أيها الخطيب
انا لو أردنا التقاضي لتفقدنا القاضي والشهود . وأجلنا المناظرة الى أجل
محدود . ولكننا لا نريد الا الرشاد والارشاد . ويكفي الشارد شروده ان
اصبح معروماً من راحة المتابعة والالتقياد . فاما أن تلقي واما ان تكون
أول من ألقى (قال بل ألقوا) فقال ذلك الرئيس بأي سبب من الاسباب
تنكرون ألوهية المسيح وبنوته وقد أثبتنا الانجيل وصادقه القرآن على
ذلك بقوله (و كلمته أقساها الى مريم وروح منه) وكيف تكفرونا وما
ادعينا أن الله واقع مريم بغامت له بولد . ولكننا نقول انه كان ذاتاً قديمة
جوهريه فحلت في بطن مريم لتتزايا بزوي البشر فتعمل خطاياهم أليس
هذا بمقول أما بلغ منكم التغالي في مدح أوليائكم أنكم تقولون ان الولي
في قدرته أن يابس جسده غيره فيسكلم فيه بما يريد فلماذا اذا لم توافقونا

على ما اعتقدناه وتصادقونا على ان الله اتخذ من نفسه ذاتا قديمة لتكون له ولدا وأباح لها ان تنزىا بزى البشر أليس هذا الاعتقاد مما دلا لدعواكم فاما ان تبينوا لنا وجوه المخالفة بدليل قطعي وبرهان معقول واما ان تعرفوا بصحة اعتقاداتنا وحسن اعمالنا واستقامة احوالنا

فقال له الخطيب يا هذا ان مثلك الآن كمثل من مسك رأس رجل يريد ان يقبها من صدمات المقاتلين فان سلمت سلم الرجل كله وان أصيبت بمقتل من مقاتلها هلكت وهلك كل الرجل لان هذا الذي ذكرته هو رأس دينكم ومخبر شريعتكم فما عليك الا ان تعبرنا سمعاً صاغياً وقلبا واعياً . وميلا الى الرشاد . وتباعدة عن العناد . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ثم قال يا هذا انما الحق الآن مستور بهراق ظنونكم وتحت غياهب اوهامكم ولا يظهر الا اذا انجحت ظلمات شبه تلك الاوهام وانكشفت استار تلك الظنون ولا ينقلب الشك يقيناً الا اذا تحققنا منكم احد امرين وقاما ان تكونوا معتقدين ما يعتقده العقلاء من ان الوجود الحق ما هو الا الوجود الاول الذي هو واجب الوجود لذاته الذي ما وجد موجود الا منه الذي ليس بمخلوق ولا يشابهه مخلوق واما انكم تعتقدون كما يعتقد سفهاء الفلاسفة الطبيعيين من ان الموجودات موجودة بطبيعتها وليس لها موجد بل هي كما زعموا قوى فعالة تفعل لا عن حكمة وتدبير ولكننا من اعمالها ما يكون طبيعياً ومنها ما يكون بحكم الصدفة فان كنتم كهؤلاء السفهاء الضلال الذين ألهتهم زخرفة اقوال المتقدمين منهم عن الحق وأسلفتهم المعلومات التي اتبعوا فيها ظنونهم واهواءهم عن متابعة العارفين فما لنا الى

محاورتكم من حاجة (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) لان افراد هذه الطائفة هم أشد عبادة الله عدوة لله ولرسله وهم الذين (بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار) واما ان كنتم من المتابعين لاهل الاعتقاد الاول فقد انقسمت طائفتهم الى فريقين فريق منهم يعتقد البعث والنشور وكل ما جاءت به الرسل من انباء الآخرة والفريق الآخر يكذب ذلك كما قال قائلهم

فموت ثم بعث ثم حشر هـ حديث خرافة يا ام عمر

فان كنتم الفريق الثاني فما عليكم من تكذيب النبيين او تصديقهم من شيء ولا ضرر عليكم في اي اعتقاد تعتقدونه الآن اذ الكفار يدخلون النار بغير حساب وما لاحساب عليه لا ضرر على من يطيل العكوف عليه ولسنا نجث الآن في حال من هذا حالهم

وان كنتم من المتدينين الذين تابعوا الرسل وآمنوا بما جاؤا به وتخافون الله واليوم الآخر فما علينا من بأس في ارشادكم الى ما يجب على كل عاقل اعتقاده فمن منكم آمن واهتدى فقد هدي الى صراط مستقيم ومن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

فقال ذلك القسيس انا قوم نؤمن بالله واليوم الآخر والمسلائكة والكتاب والنبيين الا نبيكم فما نحن له بمؤمنين

فقال الخطيب انما ندعوكم الآن لتوحيد الاله الاكبر ليس الا ومتى نبت في قلوبكم هذا الغرس ربما اثمر فيها من البركات ما يجعلكم من الناجين والله على كل شيء قدير

ثم قال يا هذا ان الله سبحانه وتعالى لم يظالب امة من الامم على لسان رسول من الرسل بدين من الاديان الا وفي مقدمته التوحيد ولا معنى له

الا اعتقاد ان الله احدى الذات وحداني الاسماء فرداني الصفات . فان قلنا ان ذات المسيح نشأت عن تلك الذات كان المسيح حادثا والحادث لا يكون الا مألوها لان الذي انشأه هو الذي يكون الهه لا أباه

وان قلنا انها ذات كانت في الازل واحدة ثم تجزأت الى جزئين جاز عليها أن تُجزأ الى اجزاء كثيرة وكان لكل جزء ان يدعي الالهية التي أدعيتسوها لعيسى وذلك ممنوع عقلا وشرعا وان قلتم ان ذات المسيح ذات منفصلة عن تلك الذات لاهي عينها ولا غيرها تقول لكم هكذا كانت كل الموجودات من أول موجود لا آخر موجود ولذلك قيل ان اليجاد لا يتناهى لدوام بقاء الموجد واستحالة بقائه بغير ايجاد

ومن كان منكم ذا ريب في أمر عيسى عليه السلام فليتفكر كيف خلق الله المخلوقات مع كونها كانت عدما وكيف كان هو علة وجودها مع أنه كان هو الوجود المطلق الحق الذي لم يوجد له موجد ولا موجود معه ثم يتبصر في قوله تعالى (خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه) ويُنظر فيما قالته التوراة من أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم واستحسن خلقه قال للأرض انبتي اشجاراً فكان الشجر الى آخر ما جاء في سفر التكوين .

ومتى تبين المتفكر أن وجود ذاتين قديمتين محال وأن تجزأ ذات واحدة الى اجزاء متفرقة محال علم علم اليقين أن المسيح مخلوق لخالق قديم لا ينبغي له أن يشابهه في شأن من شؤونه الذاتية حتى وان جاء في بعض أعماله بما يشابه أعمال خالقه لأن أعمال المخلوق ما هي الا أعمال الخالق كما عقله أولوا الالباب مما بيناه في كثير من المواضع الوعظية من أن قورى

كل مخلوق ما هي الا معارة أعارها له خالقه الى اجل معلوم ليكون
بواسطة ما أراد به ومنه وأنها كلها مكتسبة من المواد الخارجية التي لولاها
لم تكن فلذلك ترى الحيوانات والنباتات دائمة الاحتياج لغيرها من
الموجودات كما كان عيسى عليه السلام لو عقلتم ولكن الله لا يهدي من
هو مسرف مرتاب

ثم اذا كان الامر كذلك فما هي الضرورة التي تدعوكم لأن تشر كوا بالله
ما ليس لكم به علم فهل جاء في التوراة أو الانجيل أن الله سبحانه وتعالى قال
يا عبادي سأنزل الى الارض أو أنا نزلت في بطن مريم لاقيم فيما بينكم
اياماً ثم تصلبونني فيكون لكم في ذلك الفوز العظيم

أو جاء فيها اني سألد لكم ولداً وألبسه ثوب البشرية لتصلبونه (كلا)
والله ما كان ذلك أبداً ولكنكم لما أكثر المعربون للانجيل من ذكر
البنوة والأبوة ظنتم أنها بنوة حقيقية وما ذلك الا لجهلكم بمعناها لانها ان
كانت بمعنى التماسل فهي من المحالات التي لا يتصور العقل وقوعها بالنسبة
الى الله اذ لا نسبة بين الله ومريم وابن مريم الذي زعمت امة كانوا
في ذلك العهد أكثر الامم عدداً أنه ابن يوسف النجار . وان كانت
بمعنى الاصطفائية فليست بمنكورة عند العقلاء لأن هذا المعنى هو الذي
عقله المتفقهون في الدين من أقوال الانجيل ومن عقل من الفاظ الانجيل
سواء الصادق منها والكاذب غير هذا المعنى فهو ضال ومعتوه لا يفرق
بين خاء الخمار وحاء الحمار (وما ربك بظلام للعبيد)

ثم قال اذا كان الله سبحانه وتعالى لم يكلفكم باعتماد الوهية المسيح
ولم يتوعدكم على انكارها بنوع من انواع العقاب ولا وعدكم من الخير

بجزاء جزيل أو قليل على اعتقادها بل كثيرا ما صرح المسيح عليه السلام بأنه رسول الله وما جاءت آية لا ثبات ألوهيته الا بعض اقوال متشابهة الالفاظ لا تنطرق معانيها الى اثبات الالهية بحال من الاحوال ولا بقرينة من القرائن لاننا لو رأينا شجرا من الاشباح على بعد . ثم قال أحدنا هذا شبح حمار وقال الآخر ما هو الا شبح فرس وقال غيره بل شبح انسان فهل يكون أحدهم محقا الا اذا كان ذلك الشبح متصفا بأوصاف النوع الذي أشار اليه احدهم أنه منه

فهل يسوغ لنا أن نقول ان الجسد الذي يأكل ويشرب وينام ويحتاج لكل ما تحتاج اليه الاجساد من الضروريات يكون الها . وهل بعد قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يقال ان رب الملائكة سكن الارض وجعلت عليه أطوار البشرية انا اذا في ضلال مبين
ثم قال يا هذا وماذا عليكم أنه رسول الله وأنه رسول كريم فان كان ابن الله فما هو الا رسول من عنده وقد آمنتم به وأن كان كباقي الرسل كنتم على سلامة من ورطات هذه الشبهة المهلكة ولا حجة لله عليكم سواء كان هو الاله او ابنه لأنه تزييا بغير زيه ومن تزييا بغير زيه لا تبعه على من أنكره

ثم ماذا عليكم ان كان الخيال قد خامر تخيلاتكم واصبغت مصرين على الوهيته لو انكم اعتقدتم انه قد صعد لدروة ملكه ومكث طويلا حتى علم من الناس الفسوق فارسل لهم رسولا من عنده اسمه محمد ليرشدكم الى الطريق القويم هل في ذلك من نقص يلحق رتبة الوهيته او سفه

يدنس اخلاقه او من قبح في اعماله كلا والله لا يكون ذلك الا من كمال قدرته وعظم ربوبيته وشدة عنايته بخلقته ولا يكون المنكر عليه هذا العمل الا من الظالمين

ثم قال يا هذا ان القول الذي قارنت به دعوانا في الاولياء بدعواكم في المسيح بعيد عن صحة التصور وصدق المقارنة لأن ما ذكرناه بالنسبة للاولياء ما هو الا مفعول انفعالات نفسية تقوم به النفوس القوية التي تساعد العناية الالهية على ذلك الانفعال من طريق سر القيومية الذي به وقف ار باب البصائر والانوار الذوقية على معنى وحدة الوجود وما تلك الانفعالات الا احوال وقتية لا دوام لها وما بينها وبين ما تدعونه في المسيح أدني مناسبة لانكم لو ادعيتم ان المسيح ذات قدسية انفعلت عن كلمة كن بلا أب لكنتم من الصادقين وكنا نحن وانتم في هذا الاعتقاد سواء وهكذا كان انفعال كل موجود انفعل عن هذه الكلمة الجواله بدوائر الا كوان وكان الله بكل شيء محيطاً

كل ذلك كان والقوم باهتون صاغون صامتون لا يرتد اليهم طرفهم الا لوقع ذباب او ايماء اعجاب

ثم قال يا هذا تالله لو ان المجرم جاء يوم القيامة يتفقد كل نبي ويتملق بدعوى المحبة لكل رسول لينال شفاعته ما استطاع شافع ان يشفع له الا اذا كان في اعماله واحواله التي تشهد بها له وعليه صحفه وجوارحه بما يستدعي الشفاعة ولو ان مريم عليها السلام اشركت بالله كما اشركتم وزعمت ان الله ولدا كما زعمتم ما تمكن المسيح من اتقاها من بين المشركين واذا كان الامر كذلك فأي ضرورة تدعوكم للاشراك بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا

يا هذا اني لضارب لك مثلا على فرض ان عيسى ابن الله لتصور
خطأك وخطأ من معك من المجرمين
اريت ان احببت ولي عهد لأحد الملوك وكان من ابناؤه ثم عصيت ذلك
الملك فيما امرك به من طاعة بعض الولاة الذين انتدبهم لاصلاح احوال
الرعايا فهل تصور انك اذا دعيت لمواقع العقاب تنجيك محبة ولده او
يكون لذلك الولد ان يقول اني ابن الملك وهذا من احبابي فلا تعذبه اذا
ليطل نفوذ او امر الملك بمصادمة ولده لها واذا الادعي كل معارض محبة ذلك
الولد واصبح الملك اذ ذاك مقيد النفوذ برضا ولده وهذا امر لا يكون في
ملوك الدنيا فكيف برب الارباب وملك الملوك الذي (لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد) الذي ما ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا
الا بعد عيسى بما فوق الخمسمائة عام وما جاء يدعوا الى طريق غير التي
دعا اليها عيسى وموسى ومن كانوا من عهد آدم الى عيسى من النبيين
والمرسلين ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ثم قال يا هذا هل تزعمون يا أمة المسيحيين بل يا معشر المبشرين
أنكم يوم تبعثون يوم القيامة في موقف غير الموقف الذي تجتمع فيه الخلائق
أم تظنون أن الزاني منكم او القاتل او السارق او مرتكب الكبائر كلها او
بعضها لا يحاسب يوم القيامة لانه آمن بأن المسيح ابن الله أم تتوهمون
كما زعمتم أن الاله الاعظم جل شأنه وتقدس استأوه حل في بطن مريم
وتجسد بصورة بشرية كان اسم عيسى علما عليها ثم أسلم نفسه للصلب لينجيكم
من الخطية فلذلك لا تعذبون أليست كل هذه الاعتقادات أو هاما خرافية
ترزي بحال معتقدها وتجعله ساقط المنزلة والاعتبار

ثم قال يا هذا ما هي النسبة التي بينكم وبين المسيح ان كان الها أو
ابن آله كما تزعمون أو ابن يوسف النجار كما زعم اليهود أو مخلوقا لله خلقه
من تراب كما خلق آدم وباقي المخلوقات البشرية كما يمتقده العقلاء . ألا اهل
من رابطة في الجنسية . أو معاهدة سرية . أو مودة أزلية . أو أبدية
(كلا) والله لا هذا ولا ذلك وما كنتم يا بني اسرائيل ويا أمة المسيحيين
على اختلاف القبائل والعشائر منكم الا افرادا من افراد النوع الانساني
الذي تناسل من أبي البشر آدم عليه السلام وما كانت مريم الا من ذلك
النوع وما كان عيسى بن مريم الا منه وما جاء عليه السلام الا ليدعو الى
الله ويعلم مكارم الاخلاق التي جاء الشيطان يدعو الى ضدها وما كان محتاجا
لاضعاف اضعافكم أن يثبتوا ألوهيته ان كان الها ولا الى تلاوة انجيله وما
جاء الانجيل الا للارشاد الى الطريق التي لا ينبغي للعقلاء أن يسلكوا سواها
واقف جاء القرآن بعده بما هو اوضح منه بيانا واقوم تبياننا وجاء محمد صلى
الله عليه وسلم متخلفا بما في كتابه الحكيم من الاخلاق ومرشدا الى اقوم
طريق فأي داع يدعو العقلاء الى مخالفته مع موافقته لما جاء به النبيون
من الآداب الكمالية التي هي منجاة كل سالك وما حكمكم على أن تختلقوا
له عيوباً تذكرونها فيما بينكم وتنشرونها في صحفكم التي حفظها الله عليكم
فهل ذلك من مكارم الاخلاق التي جاء بها عيسى أم رهبانية ابتدعوها
أم تلقى قدمتموه للمسيح بين أيديكم حتى تأتوه وهو على يمين ابيه كما
تزعمون يوم القيامة فتقولون له اننا تركنا وصاياك هملنا لأننا كنا في شغل
بمحاربة رجل جاء بعدك يدعو الناس الى عبادة أريك الذي انت عزيمته
ويقول انه هو الآله وحده وانك لست بآله ولا يا بن آله . فلو أن عيسى

سألكم اذ ذلك بقوله هل دعا ذلك الرجل الى عبادة الاصنام هل دعا الى ارتكاب منكر هل انكر اني رسول من عند ابي هذا هل امر الناس أن يكفروا بالله السموات والارض الى غير ذلك من كل سؤال مفهم فاذا يكون جوابكم اظنكم والله لا تجدون جوابا

أليس عملكم مع محمد صلى الله عليه وسلم هو عمل اليهود مع عيسى بعينه اذ رفضوا دينه وانكروا رسالته وكفروا بالنجيله مع أنه طالما ناداهم بأني ما جئتكم الا لارشدكم الى الاخلاق التي ترضي فاطر السموات والارض ومع ما شاهدوه من الآيات الكبرى لم يزدادوا الا كفرا وطغيانا . ألم يكن حال اليهود مع موسى قبل الايمان به وحال فرعون وملائه كحال اشقياء الامم مع الرسل . هكذا والله هو حالكم مع محمد صلى الله عليه وسلم فقد أوضح الدين . وقوم قواعد اليقين . واسس بنيان دعوته تأسيسا حسنا قويما وشيد اركان شريعته بما يشاهده العقلاء ولكنكم ممن استجبوا العمي على الهدى واشتروا العذاب بالمغفرة فما اصبركم على النار . وانها لبئس القرار ثم صرف عن القوم وجهه الى قومه الاول قائلنا والله ان الحق لبين وان الدين القويم لو اوضح الانوار . متكامل الآداب والاسرار . وان هول القيامة لهائل وان الرقيب حاضر وان الخطب والله لعظيم ولا نجاة الا لميتقظ ومتحفظ متمسك بعروة الدين الوثقى . وماذا يضر أي مسيحي أو أي يهودي لو انه اتخذ طرق الاحتياط والتحفظ من خيال الاصرار ومهلكات التعصب فأصبح مصدقا برسالة هذا النبي الكريم الذي ما ترك فضيلة الا ارشد اليها ولا رد ذيلة الا نهى عنها ولو مجرد تصديق قلبي وان لم يعمل بشريعته لانه اذ ذلك يكون قد اتخذ لنفسه بالايمان به وقاية من وطئة الانتقام والعذاب

الشديد اذا حي به يوم القيامة وقيل له اليس هذا برسول وقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم يقدم أمته وهو كالعروس وما في القيامة من هو رافع لواء الحمد غيره . ثم ان لم يكن رسولا لم يصله أدنى ضرر من الايمان به لانه ما آمن الا برجل بلغت شهرة رسالته عنان السماء وتواتر نبأه بأصدق نبأ واحسن تواتر وانه لمن المعلوم انه ما وجبت متابعة أمه لرسولها مع طول المدة وفوات زمن رسالته بكثير الا لتأييد دعوته بصدق التواتر والشهرة فاذا على العقلاء من الامم لو آمنوا به وصدقوا برسالته حتى لا يكونوا كفارا مكذبين لله ورسوله مستحقين الخلود في النار بل يكونوا عصاة ليس الا لترك اتباع شريعته والعمل بها بل ربما نفهم التمسك بدينهم الذي هم عليه ان احسنوا متابعة رسوله لم أليس اذا كفرهم به ضربا من ضروب الجنون وتعصبا كتعصب العامة المتوحشين الذين اذا سمعوا صياحا هروا اليه بأسلحتهم حيث لم يخشوا عاقبة ذلك التعصب وما علموا سببا لذلك الصياح ان هذا هو الضلال البعيد

ثم قال تالله ان التعصب والعناد والاصرار الذي منع هؤلاء الضلال عن الايمان بهذا النبي الكريم ولو بالقلب ان ظنوا في طلب النجاة عارا ما هو الا عمل كعمل البغال التي تتعاصى عن السير الى منافعها وقد سبقت لذلك وما كان ذلك التعصب والتعاصي من القوم الا بحكم سابقة القضاء الازلي موافقة لقوا بلهم واستعداداتهم ونفوذ الاقدار فيهم كما يساق الشقي الى عمل من الاعمال المقنونة فيوقمه شقاؤه في مخاليف القضاء فيقضى عمره مسجوناً نادماً على عمله الذي لم يفده أدنى فائدة وكان الله على كل شيء مقتدراً

واذا بالقوم قد تسللوا وراء رئيسهم وقد اسودت منهم الوجوه
وتنكست الرؤس وظهرت عليهم علامة الندم وما اختفوا بالجدران الا
وقد رفع ذلك الخطيب يده الى السماء مبتهلا ضارعا الى ربه قائلاً بعد
ما قلب كفيه متعجباً (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لذتك رحمة انك انت الوهاب) اللهم احفظ عقولنا من الشبهات . ونفوسنا
من الشهوات . وأرواحنا من الكدورات . وقلوبنا من الغفلات . واسرارنا من
الظلمات . وقونا بدمد الملوكوت على اعباء العباد والسلوك والرقى الى حضرات
قدسك وأنسك انك على كل شىء قدير

اللهم ربنا آتنا من عندك رحمة وعلمنا من لذتك علماً نكشف به
ظلم الشبهات الملتبسة على الافكار بأفهام العقول المحجوبة عنك حتى
نستبين به طريق الرشاد والهداية وارزقنا الحفظ والعصمة من كل رذيلة
تصد عن طلب حقتك وحقيقتك في الحال والمآل وامنحنا منح القرب
والتقريب والكمال والتكميل والرشاد والارشاد والهدي والهداية وهب
لنا ودادك وارفادك انك لطيف خبير اللهم اني اسألك شوقاً يوصلني اليك
ونورا يدلني عليك . وروحاً قدسياً ينفتح في روعي كل امر انعجم علي فهمه
أو عزب عني علمه . وايدني بروح منك واكنفي بنور من نورك أوضح
به طرق الرشاد للساكنين . وأبين به رتب الوصلة للقاصدين . وافتح باباً من
الافق الاعلى والافق المبين . وارفع رقيمي في عليين . وردني برداً اللطف
بعلم اليقين . فانك الطف اللطفا . وارحم الرحما . يارب الارباب . ويا مجري
السحاب . ومنور الاباب . انك على ما نشاء قدير وكان ذلك على الله يسيراً
ثم قال يا أيها الاخوان . ان أعظم نعمة أنعم الله بها على الانسان . هي

نعمة العقل الذي هو بمعنى النور الذي يجعله الله له ليثبي به في الناس وما
أوتي الانسان ذلك النور الا ليهتدي به الى طريق النجاة لانه محتاط
بظلمات بعضها فوق بعض لا يتخلص من ورطتها الا بذلك النور وان
اشد ظلمة من الظلمات البشرية لظلمة الغرور والطفيان على علم لان ظلمة
لجبل ربما أزالها العلم وظلمة الشهوات ربما أزالتها أصدادها مثل العفة
الزهد وغير ذلك من الادوية التي يعالج بها الاطباء الروحانيون مرضاء
مذنوب اذا تابوا واما ظلمة الغرور وطميش الطفيان فلا يزيلها الا عناية
الابنية وهداية توفيقية بعد طويل تأديب وزجر عنيف وهذه الظلمة
للخالكة هي التي أهلكت كثيرا من أهل الاطلاع من أبناء هذا الزمن
الذين ظنوا أن للعقل سلطة على الدين حيث جهلوا كيف كانت منزلة العقل
من الدين لانهم لو علموها لما اتبعوا أهواهم وذلك لان الدين أمر
ساوي سواه مؤسسه ميزانا في موضع وصراطا مستقيما في موضع آخر
من القرآن وما كان ميزانا الا لانه هو الذي به توزن مقادير العباد عند
ربهم فمن اراد أن يعلم منزلته عند ربه فلينظر منزلة ربه عنده ولا تستبين
منزلة الرب عند العبد الا بالدين فمن كان شديد الخوف والحياء مستعظما
مقام ربه بالطريق التي أشار الله اليها بقوله (فأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فذلك هو صاحب الميزان
الذي تكون له عند الله منزلة بقدر ما لله عنده من المنزلة واما فاقد الحياء
والخوف فلا منزلة له لانه ضيع ربه فأضاعه وقد قال الله تبارك وتعالى
في بعض كتبه الساوية يا بن آدم كما تكون لي أكون لك فلذلك سمي
الدين ميزانا في مثل قوله تعالى (ووضعت الميزان) في سورة الرحمن وما

كان صراطاً مستقيماً الا لانه موصل الى معالم القرب ومغانم الفوز والنجاة
وما كان العقل بين الانسان وبين تلك التعاليم الدينية الا كجارحة
يتناول بها المتناول حاجته فان كانت الجارحة قوية أحسنت تناول
وتوصل بها المتناول الى مراده وان كانت غير قوية بددت ما تناولته وباء
المتناول بها بالخيبة والحرمان هذه هي منزلة العقل من الدين والله على
ما أقول وكيل

ولكن سفهاء هذا الزمن الذين كان من حكمتهم أن لا ينزلوا الاشياء
عنازلها توهموا ان للعقل سيطرة على الدين لجهلهم الفارق بين العقل والهوى
فأطلقوا ألسنتهم بما تهوى افئدتهم وظنوها وصايا اصلاح وما كانت الا
مجالب فساد وافساد زينها لهم الشيطان فأهلكوا بها كثيرا من الناس وما
ربك بغافل عما يعمل الظالمون

أيها الاخوان ان الدين والله لقويم لا اعوجاج فيه فانه هو هو من عهد
ما أنزله الله على عباده الذين اصطفاهم غير انه يربو وينمو في القلوب
كلما ربا ونما الايمان وحسن اليقين فيها وتزداد اغصانه وتحلوا ثماره بسقي
الهداية وحراسة التوفيق والعناية وما ربا في زمن من الازمان ونما كتموه
في قلوب هذه الامة العظمى وفي اخلاقهم لعناية الله سبحانه وتعالى بهم
وبرسولهم فأصبحوا به في اعتدال قويم ولذلك قال قائلم شعرا

عندي حدائق ودغرس نعمتكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي اغصانها رممق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا
ان الكريم اذا أنشا حدائقه * كانت أحق بأن تسقى وتنحرسا
وليس الاعوجاج الا في احوال المعوجين واخلاقهم. وذلك لان الاثقياء

لا يطلبون العلم الا للعمل به في نفوسهم حتى اذا قوموها سعوا في اصلاح
العامة . واما السفهاء لا يطلبون العلم الا لزخرفة القول وطلاقة اللسان
فلذلك احاطت بكثير من فلا سفة هذا الزمن خطاياهم فضلوا وأضلوا من
حيث لا يشعرون لانهم طلبوا العلم ليعلموا لا ليعلموا فكان علمهم كشجرة
بلا ثمر والشجرة الغير المثمرة لا بركة فيها فقاموا مع اعوجاج احوالهم يدعون
الناس الى ما علموا وما علموا الا زخرفا من القول وزورا وما كان لهم
من دين الا اتباع الظن وما تهوى الانفس فما كانت وصاياهم الا بالباطل
الذي لم ينزل الله به عليهم من سلطان

وما مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الا بأنهم تواصوا بالحق في
مثل قوله (بسم الله الرحمن الرحيم والمصر ان الانسان اني خسر الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ومن كان
ذا عقل وتميز يعرف به الفارق بين الدين الذي جاءت به الرسل وبين
التمدن والحضارة التي تنادى بها سفهاء الخطباء الآن اذا امعن النظر قليلا
علم الفرق البين بين مزايا الدين ورزايا التمدن التي اهلكت الامم وتركبهم
في طغيانهم يعمهون

وذلك لان اهل النظر والاستدلال الآن الذين زعموا انهم هم المصلحون
ما كانت دعوتهم اذا قاموا خطباء او نشروا على السنة الصحف مقالاتهم
الا الى مسابقة الامم في اتقان الحرف والصنائع وزخرفة الاشياء التي
يحتاج اليها الانسان وياليتهم دعوا الناس الى ذلك بالحكمة والموعظة
الحسنة بأن كانوا يوجهون الخطاب الى كل ذي حرفة باتقان عمله بل
قاموا قائلين ان اوروبا واهلها اقوم منكم احوالا وأعمالا وما زالوا يستشهدون

على صدق زخارف اقوالهم وصحة خزعبلاتهم بشواهد منها ما هو معقول
ومنها ما هو منقول حتى قلقوا قلوب العامة عن مرا كز اليقين الديني
فأصبحوا مذنبين لا الى هو^١ ولا الى هو^٢ فكانت تلك الدعوة من
أكبر النزغات الشيطانية التي أخرجت التقوى من قلوب المتدينين
فأصبحوا خاسرين

وهذا هو التمدن الذي تنادوا به وقد بينا معائنه ومصائبه من قبل
وما أرسل الله الرسل ولا شرع الشرائع الا لينقذ أحبابه من وحلات
الخطارة والتمدن ويسلك بهم طريق الاعتدال . وذلك لان الانسان
اذا لم يكن غويا مغرورا طاغيا مملوكا لنفسه وشيطانه لا يحتاج في حياته
القصيرة الا الى ثلاثة اشياء يحتاج اليها كل حيوان الى شئ . يقبه الحر
والبرد . وشئ . يأويه . وشئ . يطفى حرارة شهواته التي منها تناول الماء
والطعام وما من داء عضال يصيب الانسان من حيث لا يشعر الاوسبيه
التفريط أو الافراط في هذه الثلاث أو في طلبها فجات الكتب السماوية
والتعاليم الالهية والوصايا النبوية لبيان طريق الاعتدال في ذلك فلو
أن الانسان أقام تلك الوصايا لما تطرق اليه الهلاك بحال من الاحوال لافي
دنياه ولا في آخرته كما يعلم ذلك علم اليقين من كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد . لان الانسان اذا لم يتغال في ملبسه وفي مطعمه وفي
مسكنه كما تتغالى الاغنياء لا تطرق ساحته الهوم ولا يستغزه الاحتياج
ولو أنه قنع بالقليل من الرزق ورضي بما قسم الله له من كل شئ لكان
محببا لجيرانه راضيا عن اخوانه فارغ البال غير حاسد ولا محسود خاليا
من الشح والحرص والطمع وجميع المهلكات الهوائية قادرا على اصلاح

دنياه وآخرته ولو أن القوم تهتدوا قواعد الدين وآدابه وأقوها الى العامة
في مقالاتهم ومواعظهم لما أهلكتهم الملاحية ولما تراموا على الكبائر التي
صيرتهم كالانعام لا ينجلون ولا يخافون

ولقد كانت أحوال الامة المحمدية على أحسن حال حتى جاء الوقت
الذي غير القوم فيه معالم الدين فجعل الله عاليهم سافلهم وأهلامهم بلاهي
الحضارة والتمدن التي كانت سببا في اراقة الدماء بين الامم وغرس شجر
الشح والطمع في قلوب العامة واثارة نيران الحقد والحسد والبغضاء بين
الاصدقاء والاشقاء الى غير ذلك مما جاءت المناهي الشرعية لاجل انقاذ
المتدينين من شروره فأصبح سفهاؤكم وهم داعون اليه فكانت دعوتهم
ودعوة الانبياء على طرفي نقيض وهذه هي المحاربة التي أشار الله تبارك
وتعالى اليها بقوله (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا
من الارض) لو وجدوا من يقيم حدود الله ويعمل بأوامره (وما ظلمهم
الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

ثم قال ألا هل سمعتم بفيلسوف دعا في خطبته الى اقامة الصلاة
التي هي وجهة المواجهة بين العبد وربه وميدان التقرب ومهبط الاسرار
ومنبع الانوار في قلوب الخاشعين الذين هم على صلواتهم يحافظون وما
كانت الصلاة الاعمال اذا حال تمييز به المصلي من باقي الحيوانات اذ لولاها
لكان الانسان هو وباقي الحيوانات سواء لانه ما من حيوان الا وله علم
يضرورياته وبالتحليل على جلب النافع ودفع الضار وما كان من الحيوانات
ومن هو ذو قابلية للتقرب واستعداد للتلقائي الا الانسان وما جعل الله له من

وسيلة لها الا الصلاة فمن تركها كان هو والانعام سواء وان تمدق . أو
ترندق . أو تذبذب (انهم الا كالانعام بل هم أضل)

أهل سمعتم بفياسوف يأمر في خطابته بالصوم وما كان الجنة
يتقي بها الصائم حرارة شهواته القولية والفعلية التي تقوده الى عذاب جهنم
طائعا مختارا لانه ما من قول قبيح ولا عمل سيء الا وله في النار درك
كما انه لا يكون عمل صالح ولا قول حسن الا وله درجة في الجنة ليجازى به
عامله جزاء وفاقا كما هي قوانين العقوبات فيما بين الامم الآن

فعلم الله سبحانه وتعالى عبده كيف يستعين على نفسه وشيطانه وشهواته
فكلفه أن يصوم لا كصوم العوام ولكن كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فظن السفهاء من خطباء فلاسفتكم أنه لا حاجة لمن لم يكن كثير الشهوات شديد
اباء النفس الى الصوم لظنهم أن الصوم ما كان الا لردع النفوس عن ارتكاب
الشهوات كما كان علم العوام وما ذلك الا لجهل مزايا الصوم الذي أشار الى
بعضها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح
ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور وعمله مضاعف فما كان نومه عبادة
الا لانه تخلص من جميع الشواغل الا شغله بنفسه كيف حالها مع ربه فاذا
نام على ذكر فكأنه ما نام بل كان نومه خيرا له من يقظته لان النائم اذا
نام على ذكر تصفوله المناجاة فاذا تيقظ وجد سرها وبركتها في حالة
كما هو معلوم عند أرباب هذه المشاهد القدسية . وما كان صمته تسبيحا
الا لانه على فكر حسن والمتفكر مسبح لا محالة واما استجابة دعائه فما
هي الا من صفاء قلبه وحسن توجهه . ولما كانت مزية الصائم سرعة الاقلاع
عن الذنب والتبري منه بقوله اني صائم كانت المغفرة أسبق اليه من الذنب

لأن معنى المغفرة الستر فيستر الله عنه الذنوب بالصوم فلا يرتكبها . واما مضاعفة العمل فلأن الصائم الحق لا بد أن يكون مستصحباً في جميع اعماله الاخلاص والمحبة فيكون له أجر الاداء وأجر الاخلاص وليس المصلي المفطر كالمصلي الصائم ولا المنتصدق المتلي طعاما كالمؤثر على نفسه فما أجمل وما أطف وما أبدع تعليات النبيين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ألا هل سمعتم بفيلسوف أمر عباد الله بأن يذكروا ربهم ذكراً كثيراً كما أمرهم الله في كتابه العزيز وما كان لمحتاج دائم الفقر والاحتياج أن ينسى من هو المسؤول في جميع حاجاته . المحسن اليه في جميع أوقاته بجميع ما يتقلب فيه من النعم ولا يكون ذلك النسيان مع دوام الاحتياج وشدة الافتقار في كل نفس الا شدة لؤم وطغيان . وجهل وكفران . فهل لا يستدل العقلاء على لؤم اللؤم ما بهجر هذه الآداب الكمالية التي لا تصح للعبد وصلة مع ربه الا بها الى غير ذلك من الوصايا التي جاء بها القرآن والاحاديث النبوية وانها لمي الحق الذي توأصى به المؤمنون وقد ذكره الله في السورة التي سبق ذكرها واما الصبر في هو الا الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات على اختلاف انواعها ولقد كانت هذه السورة الشريفة من جوامع الكلم التي قلت حروفها وكثرت مدلولاتها وكان الله على كل شئ مقتدراً

تالله ما سمع السامعون من خطباء هذا الزمن الذي طالت فيه السنة السفهاء الا نهيا عن زيارة الاولياء وتقيحا لاعمال العوام الذين تقربوا الى الله بما ظنوه قرابة كتعظيمهم مولد النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ

موكب يعملون فيه اعمالا مفرحة لو اتانا عددناها من ضروب الشعوب
لما أحدثت في الدين ضررا بل ان العقلاء الذين أتوا نصيبا من التمييز
لا يشكون في انها من اقرب الوسائل لتثبيت العامة على الدين ومحبة الصالحين
من اسلافهم وتعظيم قدر نبينهم فجاه أولئك السفهاء الضالون ينزعون الدين من
قلوب العامة نزعا لظنهم أن اضلال الأمة وصددهم عن دينهم يقرهم الى ولاية
أمورهم من الاجانب فقاموا على قدم وساق يعيون الأمة والأئمة وكل
متدين الامن سلك طريق الزيغ والزندقة وأصبح من الجاحدين

ثم قال يا أيها النبهاء الافاضل لقد طالعت كثيرا من توار يخ الفلاسفة
التي سطرت في صحيفة التمدن لمحررها حضرة ابراهيم بك رمزي فما جاءت
بذكر ترجمة فيلسوف الا ووجدناه ميالا لبغض الدنيا شاكارذا ثلها وموالمات
مشاق همومها وكثيرا منهم من كان كثير الهم شديد النكد دائم التضجر
من أحوال الناس كأنما يحاول نزع الملك من يد موجدده ليقوم بتدييره
ويأبي الله الا ما أراد والله لا يهدي القوم الفاسقين

ولقد جعل الله تبارك وتعالى في أخلاق كل مخلوق وأقواله وأعماله
ما يكشف للمتبصر حقيقة ما عليه قابليته واستعداده فلو أن العقلاء من
الناس تبصروا في أخلاق المؤمنين وأعمالهم وأقوالهم وفي أحوال
الفلاسفة وأقوالهم وأعمالهم لتبين لهم الرشد من الغي ولكن أكثر الناس
لا يعلمون

أيها الاحباب ما كان لسفهاء المبشرين من ركن يركنون اليه الاتمويحات
الفلاسفة التي أضلت كثيرا من الناس عن دينهم وأوقفتهم على قارعة طريق
الشك والارتياب لأنهم ما درسوا الدين ومن المعلوم ان الانسان اذا دخل بيتا

ولم يحط بها فيه علما ثم جاء متحايلا مخادعا ليخرجه من ذلك البيت بذكر شيء من العيوب لا يجذب أذن الانتقاد اليه واما اذا كان علي علم بقواعد البيت وقيعانه وجدرانه وأركانها وكان على يقين من أنه صالح لسكناه لا يزحزحه عنه مزحزح كائنا ما كان فهذا هو حال العامة مع سفهاء المبشرين والفلاسفة فلا تشهدوا محافلهم ولا تدخلوا منازلهم ولا تلقوا بأبنائكم في مخالبا هؤلاء الاشرار فان قلوب الصبيان من التلامذة وغيرهم خالية من القواعد الشرعية والآداب الدينية وما وجد الصبي من ابنائكم تلميذا أو غير تلميذ من يرشده الي معالم الدين وسبيل الرشاد ولا من يبين له مزايا الاخلاق الحميدية ولا الوصايا النبوية ولا من يوقفه على حقائق الاسرار القرآنية ومن كان هذا حاله من الصبيان متى صافاهما كرم هؤلاء السفهاء خدعه وأمال قلبه الي أي طريق يريد سبيا اذا كان معلما من معلمي المدارس التي ما أسست الا لتزيغ قلوب الصبيان عن دين الحق الي الدين الذي استوجب به أهله النار من حيث لا يشعرون

أيها الاحباب لا تلجئكم سفسطة الفلاسفة الي ازدراء الذكرو أنواع العبادات والى اعاية أعمال العامة التي ما قصدوا بها الاخير والبر ومن منكم أوقفته نفسه مواقف الانتقاد والاعتراض فليقابلها بالاعتراض عليها فيما يعلمه من أعمالها السيئة ولينتقد كل أحوالها انتقاد العارف الخبير ومن جهل نفسه فهو جهول ومن رضي عنها فهو أحمق ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم بمعنى أنهم اقتنوا بنفوسهم واحتجبوا بحسبهم فتركهم الله في خلقياتهم يعمهون فنسوا عيوب أنفسهم وأبصروا في الناس عيوبها وما هي يعيوب ولكن الميعوب يظنها عيوبها ولو اننا انتقدناه لأخجلناه ولكننا

أو كلناه الى الناقد البصير . ألا فأسألوا العائب لأعمال الأئمة الذين أسسوا
قواعد الدين عن الذي جاء هو به من الأعمال الدينية هل جاء بدين غير
الدين الذي أسسوه . وأسألوا عائب أعمال أهل الله الذين يستجيبون قلوب
العامة الى التوبة بما يعملونه عندهم من الاجتماع على مجالس الذكر وما يتخذونه
فيها من المنعشات عما يأتي به بينه وبين ربه من العبادات في خلواته أو
جلواته فانكم ان سألتموه عن أحواله مع الله أو تفقدتم أعماله ان تجدوا الا
أعمالا جاهلية . وأخلاقا شيطانية . وأحوالا بهيمية . ان كنتم تعقلون
فيا أيها الاخوان تفقدوا مناسك دينكم واطلبوها من آثار امانه اسلافكم
لتكونوا على بينة من الدين فان الدين الحق هو القرآن ولن تجدوا للقرآن أهلا الا
أولياء الله الذين تبينوا الحق واتبعوه . وتجنبوا الخلط ومن ابتدعوه . ولا
تستميلنكم الفلاسفة بزخارف أقوالهم الى ترك الفرائض ولا يستهوينكم الشيطان
فتقدوا بسيات اعمالهم . فانهم الفجار . وان مصيرهم والله الى النار . ان لم يتوبوا
أيها الاخوان اتقوا الله يجعل لكم من ظلمات هذه الفتن مخرجا وحافظوا
على الصلاة بأدائها تكتبوا عنده من الاوابين ولا تهجروا الفرائض الدينية
فان هجرانها هلاك مؤبدا ولا تفتنوا بما انتم فيه من الملاهي فان لذة العمر
كلها لا تساوي كربة من كرب يوم القيامة الا يتبصر المتبصر منكم فيما
مضى من عمره كيف مضى حتي يعلم أن الآتي سيفوت ولا يبقى له الا
تبعات ما عمل وسيئات ما اقترف أما علمتم ان قرب المنايا يقطع طويل
الآمال اما علمتم أن كل لذة استكملها المتلذذ لا تمكث معه الا قليلا من
الزمن ويدركها الفوات وربما أورثه الافراط فيها داء عضالا . أو مرضا
حزنا . تالله لا يجدمتلذذ لذة خيرا من لذة ذكر عن شهود . او انتعاش

تواجد يعقبه وجدان مشهود . تالله ما حوت الدنيا شيئاً انفع من الطاعة .
ولا سلك سالك طريقاً اسلم من متابعة الجماعه . فتعسا لمن قطع اسباب
الوصلة بينه وبين ربه بالكبر أو ارتكاب المعاصي وويل لمن ينادى له يوم القيامة
تقدم للحساب يا ايها العبد العاصي . تالله ان اصلاح الدين لا يفسد شيئاً
من الدنيا . ولكن فساد الدين يفسد الدنيا والآخرة . تالله ان المؤمن
اذا مات ليأسف على موته كثير من اهل القلوب السليمة محبة ورحمة وان كان
غريباً واما غير المؤمن فلا يموت الا حزيناً مهموماً كثيراً . وربما فرح بموته ذووا
قربته . وشيعة بذلك عيوبه وتعداد ذنوبه اهل مودته . وذلك لأنه
اسخط الله فأسخط الله عليه الاحباب . ولو انه اختاره لآلمه قبل الموت
المتاب . فلا يفرنكم الامهال على هؤلاء السفهاء في ايامهم القلائل . فان
الباقى والفائت عند القادر الحسيب كالحال الحاصل فقد شك جبريل عليه السلام
لربه حال فرعون وما فعله ببني اسرائيل . وقال الى متى يارب هذا
الامهال وقد ادعى هذا الظالم الالهية وفعل ما فعل . فقال له ربه يا جبريل
مثلك من يخاف الفت . وما علينا الا ان نذكر بعض الوصايا التي تداولتها
أسنة السلف الصالح لعلمكم تذكرون

ذكر في زمن النبوة الاولى أن بعض من كان يوحي اليهم من
المتقدمين فكر في أمر التكليف والابتلاء الذي ذكره الله في مثل قوله
(ليلوكم ايكم احسن عملاً) ولم يتجه له وجه الحكمة في ذلك . فأخذ يناجي
ربه في خلوته بسره ولسانه فقال يارب خلقتني ولم تستأمرني ثم تبتني بغير
أن تستشيرني . وامرتني ونهيتني بل امرتني بما لا اعرفه ونهيتني عما اشتبهه
وسلطت علي هوى مرديا . وشيطاناً مغويا . وركبت في نفسي شهوات

مركوزة فيها . وجعلت بين يدي ونصب عيني دنيا مزينة مزخرقة ثم
خوفتني وحذرتني وزجرتني بوعيد وتهديد ثم قلت استقم كما امرت ولا
تتبع الهوى فتكون من الضالين . واحذر الشيطان أن يغويك والدنيا أن
تغرك وتجنب شهواتك فانها ترديك واحذر آمالك وأمانيك فانها تلهيك
وأنت يارب الذي سلطت علي الأمل والزمتني الاماني ثم قلت اطلب
معيشتك من وجه حلال فانك مسؤول عنها ان لم تطلبها ومسؤول عنها
ان طلبتها من غير وجهها ولا تنس الآخرة كما لم تنس نصيبك من الدنيا
ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين
فقد حصلت يارب بين أمور متضادة وقوي متضاربة وأحوال متقابلة فلا
أدري كيف أعمل ولا أهتدي الى أي شيء اصنع وقد تجبرت في اموري
وضلت عن حيلتي فأدركني يا ربي وخذ يدي وداني على سبيل النجاة والا
هلكت . فأوحى الله تبارك وتعالى اليه يا عبدي انك بين أمرين اما
أن تكون من اهل الدعوى فلا تسألني عن صلاح حالك بل استعمل تدبيرك
وأسلك اي سبيل تريد وما علي الا اعانتك على ما تشتهي مما هو
مقسوم لك

وان كنت من الضعفاء الذين أسلموا ووجههم الي فاعلم أنني ما امرتك
بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرنني ان فعلته بل انما
أمرتك لانك جهول ان لم أعلمك وضال ان لم أرشدك وتعلم انك عبد
لرب هو مربيك ومألوه لآله هو خالقك ورازقك ومنشيك وتعلم أنني انا
حافظك وصاحبك أينما كنت ومعينك على ما كلفتك به وما انت الا
محتاج الي معاونتي وهدايتي وارشادي وتوحي عليك وتيسيري لك

الاسباب أسباب التوبة والحفظ والهداية والرشاد . فهل من وقت ترى
نفسك فيه غنيا عني كلا وعزتي وجلالي لاغنى لمخلوق عني طرفة عين واني
لأننا العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية وما أعامل كل انسان الا بما
تقبله قابليته فمن جاء يدعي الربوبية لنفسه على نفسه أمددته بفرور
وطغيان وسلطت عليه الشيطان حتى يهلك نفسه بنفسه لأنه ما وجد الا
ليكون خصيا مبينا واما من أسلم وجهه الى أخذت بناصيته الى الخير وامسكت
بزمَام قلبه وجوارحه عن كل رذيلة واشغلته بذكري حتى لا يشتغل عني
بغيري . فقال يارب ولم لم تجعل الناس على قابلية واستعداد واحد فيكون
الكل مستسلمين فقال يا عبد ان من الادب أن لا يسأل الجهول حكما
عما لا يفقه من أعمال الحكمة وليس للحكيم أن يجيب الجهول فيما سأل
عنه لان الجهلاء كثيرون واعمال الحكيم لا تنهاه فلو أني أعددت لكل
سائل جوابا عن كل امر مسؤل عنه لما تفرغت من أسئلة السائلين ولو انني
خيرت كل مخلوق قبل خلقه في أي رتبة يريد لفسد النظام واختلت
شؤون التدبير فلا تكن من الجاهلين . يا عبدي وعزتي وجلالي ما أرسلت
الرسول ولا أنزلت الكتب بالاوامر والنواهي والارشاد البين الا ليعلم
سليم القلب أنه لا بد له مني حتى اذا ما تيقظ من رقدة الغفلة وستة التلاهي علم
أنه مفتقر ومحتاج الي في جميع شؤنه وتصرفاته فعند ذلك لا ينساني
ولا يعرض عني ولا يتشاغل بغيري بل يكون ذا كرا لي في جميع احواله
ثم اعلم أني انا المرشد لكل سبيل والملمم لكل عمل والمالك لحواس كل
حيوان والقابض على أزمة القلوب فلا يتحرك ساكن الا اذا حركته
ولا يسكن متحرك الا اذا سكنته ولي ما سكن في الليل والنهار فاذا

تيقنت ذلك وتحققت بحقيقة ذلك اليقين تركت كل شيء وراءك واقبلت
الي وحدك كما يقبل المحب على حبيبه في غفلة الرقباء وتكون قد سبقت
لك سعادة العناية الازلية فاقربك مني واوصلك الي وارفع الحجب فيما
بينني وبينك واجعل نعيمك ولذاتك في ذكري فاستغفرك لتناجيني
والناس نيام وافتح لك ابواب التذكار فذكرك سالف انعامي عليك
وقدم احساني اليك . وجميل آلائي لديك . اذ خلقتك ولم تك شيئاً مذكورا
خلقا سويا في احسن تقويم وجعلت لك سمعا يسمع آياتي وبصيرا يرى
آثار قدرتي وفؤادا يعرف جليل عظمتي وجعلت لك حواسا دراية
وقلبا زكيا وفهما ثاقبا وذهنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيحاً وعقلا
رصينا وبنية قائمة صحيحة وصورة حسنة وجوارح طائعة وأدوات كاملة
لو نقصك منها شيء ما قدر مخلوق على تكمله ثم ألهمتك الكلام والمقال
وجعلتك تفهم ما تسمع وتحسن التعبير بالنطق عما في ضميرك ولولا ذلك
لتمطت أحوالك ثم عرفتك المنافع والمضار . وعلمتك كيفية التصرف في
الافعال . وألهمتك الصنائع والاعمال . وكشفت عنك الحجب لتنظر الي
ملكوتي وترى مجاري الليل والنهار والافلاك الدوارة . والكواكب السيارة
وعلمتك حساب الاوقات والازمان والشهور والاعوام بمسير الشمس
والقمر كل ذلك بتقديري ولطف تدييري ومم أجري لك الارزاق وانت
غافل لا تعلمها الا عند ما تكون بين يديك وقد سخرت لك كثيرا من
مخلوقاتي تتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم وانت لولا لا تملك
منها شيئاً وتتحكم فيها تحكم الارباب فلما رأيتك متعديا جاثرا باغياً
خائناً ظلوما متجاوزا الحدود ما نلا عن طريق الاعتدال عرفتك الحدود

والاحكام والمقياس والمقدار والعدل والانصاف والحق والصواب والخير
والمعروف ونهيته عن متابعة هواك وعرفتك اني اعلم بك منك وما ذلك
الا لا تصرف عنك اليم العذاب وشديد النعم وما عرضتك الا لما هو خير
لك واشرف وافضل واعز واكرم . وانت مع ذلك تظن بي الظن
السوء وربما غلبك هواك فحدثت جميع هذه النعم وتكبرت علي وتخيلت
انك علي ما تشاء قدير وما كان ذلك الا لشدة لؤمك وخسة طبعك لانك
مخلوق من الماء والطين

فقال يارب وكيف اهتدي الي سبيل الرشاد الذي تكون فيه نجاتي
من متابعة الهوى والشيطان فقال يا عبدي . اذا تعذر عليك فعل شيء مما
أمرتك به فالتجأ الي التجاء المضطرين وقل بقلبك ولسانك لاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم . واذا أصابتك مصيبة فاعلم انها ما نزلت بك الا باذني
ولا يهونها عليك الا أنا وان كانت كبيرة وانا ان شئت عظمتها عليك
وان كانت صغيرة فقل انا لله وانا اليه راجعون فكون قد ألقيت زمامك
الي فعند ذلك اهونها عليك واجزيك علي الصبر خيرا كثيرا . واذا زلت
بك القدم في معصية فقل كما قال آدم وزوجته (ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) واذا دهمك أمر لاطاقة لك
به وخفت شماتة الشامتين فقل كما قال عبدي يعقوب . انما اشكو بشي
وحزني الي الله واعلم من الله مالا تعلمون . واذا أخطأت خطيئة فقل كما
قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين واذا رأيت العصاة
من عبادي فقل كما قال عيسى ابن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم . واذا خفت عواقب الامور وشممت من

نفسك رائحة الميل للشهوات فقل كما يقول الاخيار (ربنا لاتزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب)

فيا ايها الاخوان كونوا لمن سبقوكم بالايمان اخوانا ولا تكونوا لهم
خوانا واعلموا ان الله سبحانه وتعالى ماجاكم في القرآن بأبناء الرسل الا
لتعلموا كيف كان حالهم مع الله فتأدبوا بأدابهم لتستكملوا آداب المتأدبين
فلذلك وصف الله السابقين من هذه الامة بأنهم خير امة اخرجت للناس
فمن احب منكم ان يكون من الخيار فليسلك مسالك الابرار ولن يسلك
ذلك المسلك الا من صح ايمانه وثبت يقينه ولا يكون ثبات اليقين
والايمان الا بترك الغرور والظنيان ومتي صفت اخلاق المرء من هاتين
الخصلتين كان الى النجاة اقرب منه الى العطب لانه اذا لم يكن طاغيا
مغرورا كان محسنا للمتابعة ومتي احسن متابعة السلف الصالح سلم من
غوائل الشكوك والشبهات وتيقن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ارسل الا
بوحى ساوي وما كان الا على اشرف حال كان عليه النبيون من قبله وعلم انه
ما اجهد نفسه هو واصحابه ومن تابعهم في حفظ القواعد الدينية الا ليسلكها
من وراءهم وما تركوا شيئا يفتن به المعتون الا بينوه وما ترك القرآن
سبيلا للمجادلين وأهل الجحود الا سدها في وجوههم فليعلم كل منكم
انه هو المخاطب بكل ما في القرآن وانه هو المأمور بجميع اوامر الله وأنه
هو الموجه اليه الخطاب في النهي عن كل منهي عنه وانه هو المقصود
باشارة قوله تعالى يا ايها الناس ويا ايها الذين آمنوا وانه هو المخاطب
بكل توبيخ أو تهديد او زجر في القرآن على أي رذيلة يعلم من نفسه
أنه مرتكبها لافرق في ذلك بين العالم والجاهل والأمر والحقير. فلو ان

العالم الذي علم ما لم يعلمه غيره من اهل عصره زنى أو سرق أو اغتاب أو
اضمر للناس سوءاً أو أصبح ظاناً أو مرتكباً أي رذيلة لكان عند الله هو
والجاهل الفاسق سواء. لا فارق بينهما ومتى خالط الشك في الله أو في رسله
وكتبه واليوم الآخر قلباً كان كقلب أي كافر من الكفار الذين لعنهم
الله واصمهم وأعمى أبصارهم. ومتى تشاغل الانسان عند ذكر ربه وتغافل
عن التخلق بآداب العبودية كان لاهياً وكان من أسوأ العبيد حالاً حتى وان
كان شغله بطلب علم أو اصلاح أحوال قوم أو أي مصلحة دنيوية لأن
كل شاغل للقلب عن ذكر الله يعد لاهياً من الملاحى لأن طالب العلم مثلاً
إذا لم يكن عابداً كان كمن يجمع المسال ولا ينتفع به وكن يهيب العناء
للآكئين ثم لا يأكل وكان طلبه العلم مجرد حرفة لا تتميز عن باقي الحرف
فكيف إذا حال من تلبه دنياه أو شهواته أو شغشغته أو زندقته عن ربه
ان هذا هو الحسران المبين

أما الاخوان لقد قال الله تبارك وتعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)
فظن السفهاء انه أمر تخفيف وليس كذلك اذ المقصود ان الانسان يبذل
مجهوده في تقوى الله حتى لا يكون في قوته فوق ما جاء به فلو اننا ائتمرنا
بهذا الامر لكان فيه الكفاية لطالب الفوز والنجاة ولكنكم لا تأتون
شيئاً من اعمال التقوى الا على سبيل المجاملة كمن دعاه جاره لامر لا رغبة له
فيه ولا فائدة فيأتي به خوف العتاب على عجل وربما أخره لحين الفراغ
من جميع اعماله وما كان ذلك منكم الا لتمكن الجهل من قلوبكم فلو انكم
على يقين من ان الله سبحانه وتعالى ما امركم بالعبادات ولا علمكم ما تعملونه
فيها من آداب الدعاء والخشوع والتذكر باستحضار القلب وصرفه عن

كل الشواغل الا لتغنموا جزيل عطائه وتكونوا اهلا لقبول ما يليق به اليكم
من الاسرار العرفانية وانه لاحظ له في ذلك ولا فائدة ولكن الفوائد في
جميع اعمال البر عائدة عليكم اذا اديتموها بأكمل حال على محبة وشوق
ولكنكم عن فهم ذلك كله في شغل شغيل . أصبحت به في حال وييل . والله
على كل شيء شهيد

يا قوم لقد أزف الوقت . وقرب المقت . وسيحال بينكم وبين ما تشتهون
(وقد أصبحت في طفيانكم تمهون . واصبحنا لانرى منكم حالا من الاحوال
الشريفة ولا خلقا من الاخلاق الكريمة نميزكم به عن الذين لادين لهم
فالي متى هذا الجهل المهلك وحتى متى هذا الفتون المقتل والى اين تذهبون
وما بقى بينكم وبين جهنم الا خطوات بسيرة . وايام قصيره . تمضي على عجل
كضبي الطيف في احلام المنام . وما انتم والله الا كما قال رسول الله نيام
ألا فاتركوا الدنيا لاهلها ومعانقها وذرؤا الملاهي لمضاعفها ومصطفياها
والتمسوا لانفسكم مما انتم فيه من الفتون مخرجا تدر كوابه نجاتكم . ولا
تضيعوا فيما انتم عليه من التلاهي وغفلة الغرور حياتكم . فان الموت والله
قريب لا يدفعه دافع . ولا يمنع عن كل حي سوى الله مانع . وما بعد الموت
الا شدة واهوال . واحمال والله على اهل الاوزار ثقال . وان احوالكم والله
في الدنيا بالنسبة لاحوالكم في الآخرة لعلى طرفي نقيض فمن كان كثير
الخوف من ربه في الدنيا كان كثير الامن في الآخرة ومن كان آمنا في
دنياه كان في الآخرة من الخائفين ومن كان كثير البكاء من خشية الله في
دنياه كان يوم القيامة بين اوليائه ضاحكا مستبشرا ومن كان مشتغلا بآذاته
في الدنيا كان شديد الندم يوم القيامة وهكذا جميع الاحوال . على هذا المنوال

وما الله بغافل عما تعملون

أيها الاخوان ما من كبيرة مقتها الله ومقت فاعليها من الامم الماضية
الا ارتكبتوها وما من قبيحة الا استحسنتوها ولقد سبقت فواحش
القول السنكم وألسنة شبانكم بل واطفالكم وما بقي بينكم من قبيح يستقيح
ولا من حسن يستحسن بل استحسنتم كل قبيح من الاقوال والاعمال والاحوال
واستقبحتم منها كل حسن ولقد آثرتم ما يرضي الشيطان على ما يرضي الرحمن
وما حالكم الآن الا كحال الانعام التي لا تستقيح القبيح ولا تستحسن
الحسن فلا نسمع منكم ولا من ابنائكم الا قولاً فظيماً. ولا نرى الا عملاً
قبيحاً مزعجاً مريعاً. فكنتم كالذين وصف الله حالهم بقوله (فطال عليهم
الامد فقتت قلوبهم فأصبحوا خاسرين)

أيها الاخوان تالله انكم لمسوّلون بين يدي الله عن ابنائكم الذين
تسوفونهم الى الكفر زمرا اذ اسلمتموهم الى معلمين لا يعلمون ما هو الدين
وربما كانوا من عباد الصليب الذين تطاولت آلامهم الى اضلال ابنائكم
وقاموا يزيتون لهم السجود للصلبان وللمسيح ويعلمونهم مبادي دينهم
الذي ما تميز به حالهم من حال عبدة الاصنام فمن كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر فليثق الله في نفسه وولده وليتدبر قوله تعالى (يا ايها
الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وقوله
(قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فيها) ألا
قاتل الله محرري الجرائد الذين لا يمدحون الا من كان ماهرا في امر
دنياه قاصرا عن اصلاح آخرته حتى اذا رثوا ميتا لا يذكرون له من
الحاسن الا ما توصل اليه بالسعي الدنيوي من المال والجاه والرياسة التي

ما افادته الاوحشة الطردوسوء الحساب وما ربك بظلام للعبيد
ان من كلام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لقوله ان لكل سفر
زادا لا محالة ولا يلاقي الانسان سفرا أطول من سفره من دنياه الى مقره
الابدي ولا زاد لذلك السفر الا التقوى فكونوا كمن عاين ما أعد الله
لعباده من الثواب والعقاب برويا العين فلقد أقسم الله سبحانه وتعالى على
صدق وعده ووعيده بكثير من الاقسام في مثل قوله (والسما ذات الرجع
والارض ذات الصدع . انه لقول فصل وما هو بالهزل) وقوله (والليل وما
وسق والقمر اذا اتسق لتركن طبقا عن طبق) وقوله (فوربك لنحشرنهم
والشياطين ثم لنحشرنهم حول جهنم جثيا) الي كثير مما جاء به القرآن
الحكيم (ومن اصدق من الله حديثا) فلا يطولن عليكم الامد فتقشوا
قلوبكم فوالله ما أقصر أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسانه ولا يمسي
بعد صباحه فلربما كانت بين الصباح والمساء خطفات المنايا فكم رأيتم ورأينا
من كان بالدنيا مغرورا بالامس فأصبح تحت مواطي النعال . أيها الناس انما
تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله . وانما يفرح من أمن من أهوال
يوم القيامة . وانما انا فيكم كمن يداوي من كلما بري من جرح جرح من
ناحية اخرى تالله لقد عنيت بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولوعنت
به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت اما علمتم أنه ليس بين
الجنة والنار منزلة وانكم صاثرون الى احديها أستم كل يوم تشيعون الى
القبور غاديا ورائحا ثم تتركونه في ظلمات القبر غير موسد ولا ممهد وقد خلع
الاسباب . وأحزن الاحباب . وسكن التراب . وواجه الحساب . مرثنا بعمله
حقيرا الي ما قدمه بين يديه قانطا مما تركه خلف ظهره وطالما اجهد نفسه

في تحصيله . وكثيرا ما فرح بكثيره بعد قليله . فاتقوا الله قبل نزول الموت . وقدموا لانفسكم قبل حصول الفوت . ثم بكى وبكى الناس خوفا من الله وخجلا

وقد كانوا والله ابرارا مطهرين مما تدنست به قلوبكم . وتنجست بقذوراته اثوابكم . وما عنيت بالثياب الا الاحوال . ومتى خبث الحال ساء المآل . وخابت الآمال . وتراكت الاحوال . واشتد الخوف في اليوم الذي تشيب فيه الاطفال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ثم رفع يده الى السماء قائلا

له الملك والالاء والمئن الكبرى	الهي وانت الله والملك الذي
ومن لمقام الانس بالمصطفى أسرى	ومن هو فوق الفوق لا تحت تحته
أنا الله فاعبدني أضعف لك الأجر	ويا من اذا ما قلت يا رب قال لي
وصلني فاني لا أود لك الهجرا	وسلني وأجمل أعطك السؤال كله
يريني من الاقبال ما يشرح الصدر	ويا من اذا أعرضت عنه جهالة
اذ ما ابتلى عبدا اتاح له الصبر	ويا منزل الالطاف حذو قضائه
فترحم اهل الصد والود والأسرا	ويا من وسعت الكل عفوا ورحمة
يناديه يا ستار لا تكشف السترا	ويا من اذا العاصي يخاف فضيحة
وتنجيه حتى ان عصي مرة اخرى	فتخفيه عن عين الرقيب تطفئا
وكان خفي السر في علمه جبرا	ويا من يرى الخافي بكل سريرة
وأنت برفع التازلات بنا أخرى	اليك الهي اليوم ارفع قصتي
أردنا بهم خيرا فراموا بنا الشرا	يلينا بأقوام تطاول بغيرهم
وما أضمرنا الا الخديعة والمكر	تراحمنا ارداهم في ديارنا

تظاهر باغيهم بوصف مبشر
وقد فوقوا للدين أسهم بغيهم
فكانوا كمنطاح نطاول قرنه
وما خجلوا والشرك شوه حالهم
وهموا بتضليل العوام بزيغهم
فجاسوا خلال القطر من كل قرية
وما دأبهم الا الضلال وهدمهم
فيارب قابلهم بقارع سطوة
ويسود منها وجه كل معارض
فقد طال تذكري لهم ونصيحتي
اقول لهم كفوا عن الزيف واسلكوا
ولا تحجلوا عيسى بقبح افتانكم
وما كان الا واحدا من كثيرهم
ثوهمتموه الله جاء برجله
وهذا هو الشرك العظيم وربما
فجاء سفية القوم يا رب قائلا
فحن اناس لا نعادي صليتنا
فيارب لا تمهل على القوم انهم
ويا بطشة الجبار حلي بغيهم
ويا غارة الرب الفيور تسلطي
ولا تبق فينا فيلسوفا مبشرا

فكانوا كسرجاء يخترم اليسرا
وما استعظموا في الزيف ذنبا ولا وزرا
لها عنه راعيه فما أهمل الغدرا
وأبدوا من الاشرار شيئا غدا نكر
وما حاذروا منهم ملاما ولا زجرا
وما تركوا صغري البلاد ولا مصرا
قواعد دين نوره ينجبل البدرا
و بطشة قبر تكشف السوء والضرا
لدين الذي أوليته الفتح والنصرا
وأني لمن أضلته تنفع الذكري
سبيل الهدى لا تقننكم العذرا
فكم أرسل الرحمن من رسل ترى
أقي بعدهم يستأنف الزجر والبشري
ليفديكم بالصلب يه فتنة الغبرا
حرمتم به الرضوان والجنة الخضرا
رويدك لا تلقى لمسمعنا السحرا
عبدناه في الدنيا ونرجوه للآخري
تبادوا على الطغيان واستعدوا الكفرا
ولا تتركي منهم ذراعا ولا شبرا
على كل زنديق عصي ربه جهرا
فاني نذرت اليوم ان أهلكوا نذرا

اقوم بأبواب الكنائس داعيا
 لعل اناسا غرهم جهل قومهم
 فدرنا نسوم الرشد من سر هديه
 سوي اكلكم تلك الخميرة بيننا
 وتلك امور لا تنير بصائرا
 وعار علينا ان نعيش بهاثما
 الا هل يفيد الصوم من ظل آكلا
 ولم يتحاش الأكل في اليوم ساعة
 فيا ايها الآباء والقمص الذي
 تبصر ترى ان الديانة لم تكن
 فما كان ذلك الصوم الا رياضة
 وما دين عيسى غير دين محمد
 فتوبوا الى الرحمن من شر زيفكم
 على هيكल الصلبان أن يكسب الكسرا
 يقولون هذا يا أبانا بنا أدرى
 فسحقا لدين ما علمناه سرا
 وتعميد أطفال وشربكم الخمر
 ولا تنفذ الجاني ان اكتسب الوزرا
 على غير دين نجمل الصوم والقطرا
 من العدس والبيصار ما لوث القدرا
 ولا ترك الكنيك صباحا ولا ظهرا
 بنا كل شيطان نخاذره اغري
 على عهد عيسى كالتى بيننا تقرا
 تهذب اخلاق الذي يحسن السيوا
 ولكنكم يا قوم حملتموا اصرا
 فما اهنأ الهدي القويم وما أمرا
 ثم قال ليهي الاخوان اني والله لحليف العزلة بفيض الاختلاط وما حملني
 على التردد الى ناديتكم الا حب النصائح ولقد جئنا بما في وسعنا من النصائح
 وهاهو أوان التخلقي قد آن فمن اعترضه امر مريب في دينه فليوافنا في
 ديارنا ونسأل الله ان يجمعنا في الجنة ثم قام وقام القوم باكين فوعدهم
 التلاقي بعد ايام قلائل والله يحب المحسنين وسلام على المرسلين والحمد
 لله رب العالمين

﴿ وهذا السؤال المعجيب . في الرد على اهل الصليب ﴾

(لناظمه حضرة الفاضل النجدي . الشيخ احمد علي الملبحي الكتبي الشهير)

أعباد عيسى لنا عندكم
إذا كان عيسى على زعمكم
فكيف اعتقدتم بأن اليهود
وكيف اعتقدتم بأن الآله
ويطلب من خلقه شربة
فجاء له واحد منهمو
فألقاه في الأرض بغضا له
ويوضع ذلا على رأسه
أسال دماه على خده
وقد كان يبصق في وجهه
وذلك بعض الذي قد جرى
ويركب جحشا به يتقي
وتدعون فارص جدا له
ولا يدخل الرب من جاء من
ومن بعد هذا تعدونه
وما هو الا كأمثاله
كما قال ذلك عن نفسه
ولو كان رباً كما تزعمون
ومن ذا الذي رد روحاً له
ومن كان من بعده حافظاً
أرب سواه بتدبيره

سؤال عجيب فهل من جواب
الهاً قديرا عزيزا يهاب
أذا فوه بالصلب مر العذاب
يموت ويدفن تحت التراب
ليطفي عن قلبه الالتهاب
بمر واخل وبس الشراب
ومات حليف الظلم اذا اكتاب
من الشوك تاج يشيب الغراب
وصارت على وجهه كالخضاب
ويطعن في جنبه بالحراپ
عليه من القوم شيخ وشاب
عنا مسير له قد أصاب
ونطقته من زنى وارتاب
زنى في جماعته للشواب
الهاً ولم تستحوا من عتاب
عبيد لحالقه ذو اقتراب
بنص صريح أتى في الكتاب
فمن كان يرجو لكشف العذاب
وقد فارقت جسمه بالذهاب
نظام الوجود لوقت الاياب
تكفل أم فاته للخراب

وهل صلبه كان عن زلة
وهل أحسن القوم في صلبه
والا أساؤا يجلب الخلاص
فان قلمو انهم أحسنوا
أقل فعلام تعادونهم
وان قلموا انهم أجموا
أقل كيف هذا ولولاه ما
وهل رضي الصلب أم مكره
فان قلمو صلبه عن رضى
وأعني به آدم الفضل من
وسامحه الله من فضله
فأنتم كذبتم على ربكم
فقد كان يهرب من صلبه
ويدعو أجرتي إله السما
وإيلي إيلي نادى بها
اذا كان يمكن يا خالتي
فهذا دليل على أنه
وهذا دليل على أنكم
وان قلمو الصلب قهراً جرى
بتعليقه فوق عود الصليب
كما هو نص أناجيلكم

والاعلام استحق العقاب
لتخليص أشياخكم والشباب
لكم ان هذا لشيء عجاب
ولم يفعلوا غير عين الصواب
ومن يصنع الخبير يجز الثواب
بصلب الاله وبش المصاب
تخلصتمو من وخيم المآب
عليه فما هو فصل الخطاب
لتكفير ذنب امرئ منه تاب
لمولاه بما جنى قد أناب
وذا بعد توفيقه للمتأب
لما صح من فعله في الكتاب
ويبكي على نفسه بانتخاب
بفضلك من ذي الامور الصعاب
لم اليوم تتركي للمذاب
خلاصي فافعله يا خير آب
لمولاه عبد بغير ارتياب
كذبتم وقلمت خلاف الصواب
فيا عجز رب قوي الجناب
لقد جاءه اللعن من كل باب
وتوراتكم فلتسكفوا العتاب

ولا تجعلوني عدوا لكم
فيا أسفاه على ما به
ويا خجلتاه لمن باعه
ويا حسرتاه على صلبه
ويا حزناه على موته
ويا عجباه لهذا الاله
وفيه انخطاط لمقداره
أما كان يمكنه دفعه
والا فهذا من المضحكا
كقصة ابليس مع ربكم
فقد كان يأمره فوجه
وكان يرغبه بالعطاء
أرب ويأمره عبده
ويذهب من جوعه قاصدا
ولما بها لم يجد ما اشتى
وبغيا لها قال لا ثمري
كما أحرم الناس أثمارها
ورب يقول أنا لم أجي
ولكنني جئت من أجل أن
ورب يبيع بأفعاله
كما عاق أمأ له عند ما

إذا أنا قلت بفيرا ككتاب
أصيب وما زلة قد أصاب
وكان له من أعز الصحاب
بصحبة لصين كل معاب
مهاناً وفي حاجة للشراب
علام رضاه بهذا المصاب
وذلل عظيم له قد أعاب
أم الذل كان له يستطاب
ت التي سطرت عندكم في الكتاب
على الجبل المرتقي للحساب
له بالسجود وبالاقتراب
ملك أراه إذا ما أجاب
بطاعته ان هذا عجاب
شجيرة تين وبس الذهب
عليها دعا اذ بها الظن خاب
وأحرمها طرحها المستطاب
ومنها لهم كان خير اكتساب
لألقي سلاماً يزيل اضطراب
أفرق بين أولي الانتساب
عقوق الذراري لأم وآب
دعته وكان يجمع الصحاب

فأعرض عنها ولم يلتفت إليها ودعوتها ما أجاب
فبالله بالله يا قومه بملئكم ثم ما في الكتاب
أهدأ يليق خصوصاً ومن اله وهذا لشر ارتكاب
وهذا يكون الها كما زعمتم والا فكيف الجواب
وان قيل قوم بهذا أتوا أما يستحقون قطع الرقاب
فان قلتمو هكذا ينبغي وهذا قليل لهم في العقاب
أقل ما تقولون في ربكم أراضون عن فعله أم غضاب
أجيبوا سؤالي ولا تهملوا فان السكوت عليكم يعاب
وها قد نصحت وما أرتجي بنصحي لكم غير حسن الثواب
وموتي على دين خير الوري وأن لأرى هول يوم الحساب
فان تقبلوه فذا مقصدي وفيه سروري ولي يستطاب
والا فانتم على دينكم وقد بان ما كان خلف الحجاب

ولتمام النفع قد ذيلنا هذا السؤال . بهذه الايات التي تزدرى بنظم
اللائل . وهي لحضرة الشيخ احمد علي المليجي المشار اليه . أدام الله سوابغ
نعمه هامية عليه . وهاهي تهدي لأولي العرفان . معنونة بهذا العنوان

﴿ الجنون فنون ﴾

قوم عيسى قد تغالوا فيه جهلا وضلالا
حيث قالوا مذ أتاهم أنت رب قال لالا
ما أنا الا عبيد أعبد الله تعالى
فأجابوه عنادا لم نصدق ذا المقالا
ان يكن ما قلت حقاً وصحيحاً لا محالا

كيف من غير نكاح جئت يا فورا تلالا
قال ما هذا عجيب يورث الفكر اشتغالا
ما أنا الا كجدي آدم في الخلق حالا
فعضوه ثم قالوا أنت رب لا جدالا
فاقصر القول ودعنا يا الهًا لن يزالا
فالعجبوا يا قوم منهم زادهم ربي خبالا

﴿ وتمت النفع أيضا قد الحقنا هذه الايات ﴾

(بهذه القصيدة الجديرة بالتدبير والالتفات)

المسماة بـ (السهم المصيب . لآفة أهل الصليب)

نظم ذي الفضائل والعرفان . حضرة الشيخ حسن بن بكر فتیان
خطيب جامع النصر . بنابلس في هذا العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المبسل في القصيدة أولا
من يدعي التثايت أمسى كافرا
مثل النصارى الجاعلين المهم
وتمسكوا من بعد هذا الكم في
قالوا المسيح المهم وهو الذي
كذبوا وضلوا واقتروا وأتوا بما
قد شبهوا الله العظيم بعبده
لو أن عيسى بينهم لأذاقهم
حسن بن فتیان يريد بها الولا
وغداً يساق الى الجحيم مكبلا
ابنًا وآبًا ثم روحًا في الملا
جعل الثلاثة واحدا متأصلا
قامت به الاشيا فكان الموثلا
كاد البهائم منه أن تتخجلا
ويل لهم يوم القيامة منزلا
سوء العذاب بما افتروه ونكلا

لو كان ما اعتقدوه حقاً فيه ما
ولما غدا لله من ألم ومن
لم يستطع نفعاً ولا ضراً سوى
يكفي فما عيسى النبي هو الذي
تباً لهم ولجلبهم وضلالهم
حتى لهذا الآن لم ينزلوا
لو أنه ذلك الاله لما رضي
وأتوه بالمسار والحبل الذي
ومن البسايا والاراجيف التي
قالوا اقتدانا ثم صار لأجلنا
يا آل ودي هل سمعتم بينكم
حاشا وكلا فالاله منزه
ومن الجهالة والضلالة والنوا
قالوا اتحاد يسوعهم متحقق
فعلى مقاتلهم لقد قتلنا معاً
لو كان حقاً ما ادعوا فلكون من
ومن الذي يجي يميت به ومن
فكفاهم عارا وبهتاناً بدأ
فكأننا سلبت عقول كبارهم
وأراهم اشتروا الضلالة بالهدى
أسفاً عليهم لو أطاعونا بما

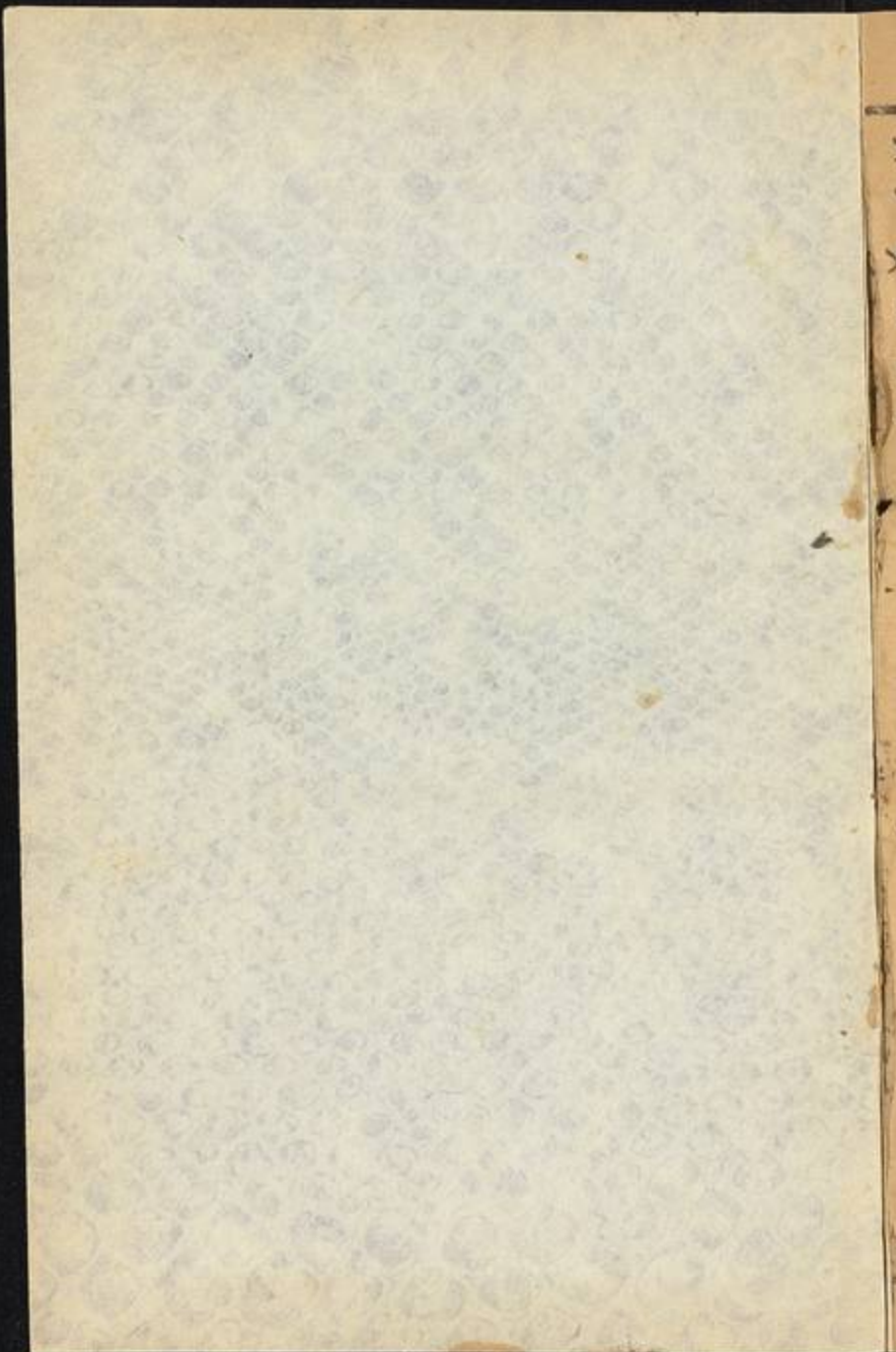
كانوا رأوه مغبوطاً ومبولا
جوع ومن أتعبه مثقلا
ما قدر المولى له أن يحصل
صلبته أيدي القوم بل هو بدلا
لم يعرفوا من يعبدون لدى الملا
عما ادعوه وخالفوه تجهلا
أن يطرحوه ويصلبوه ويقتلوا
كتفت يداه به فأدمى المفصلا
عقل الفتى منها غدا منزلا
ذلك الاله لعنة ومذلا
أن الاله بدأ يريد تسربلا
عن أن يكون بمثل هذا مبتلى
ية والشقاوة والسفاهة والبلا
بالله من غير انفصال قد علا
لما به فتك اليهود وجندلا
فيه أقام مديراً ومكلا
يعطى ويمنع مكثرا ومقلا
لو يعقلون لما جنوا هذا البلا
ورضوا الاهانة فيهم وتهدلا
حرصاً على جمع الحطام وما حلا
نملي لهم من نصحننا لرقوا العلى

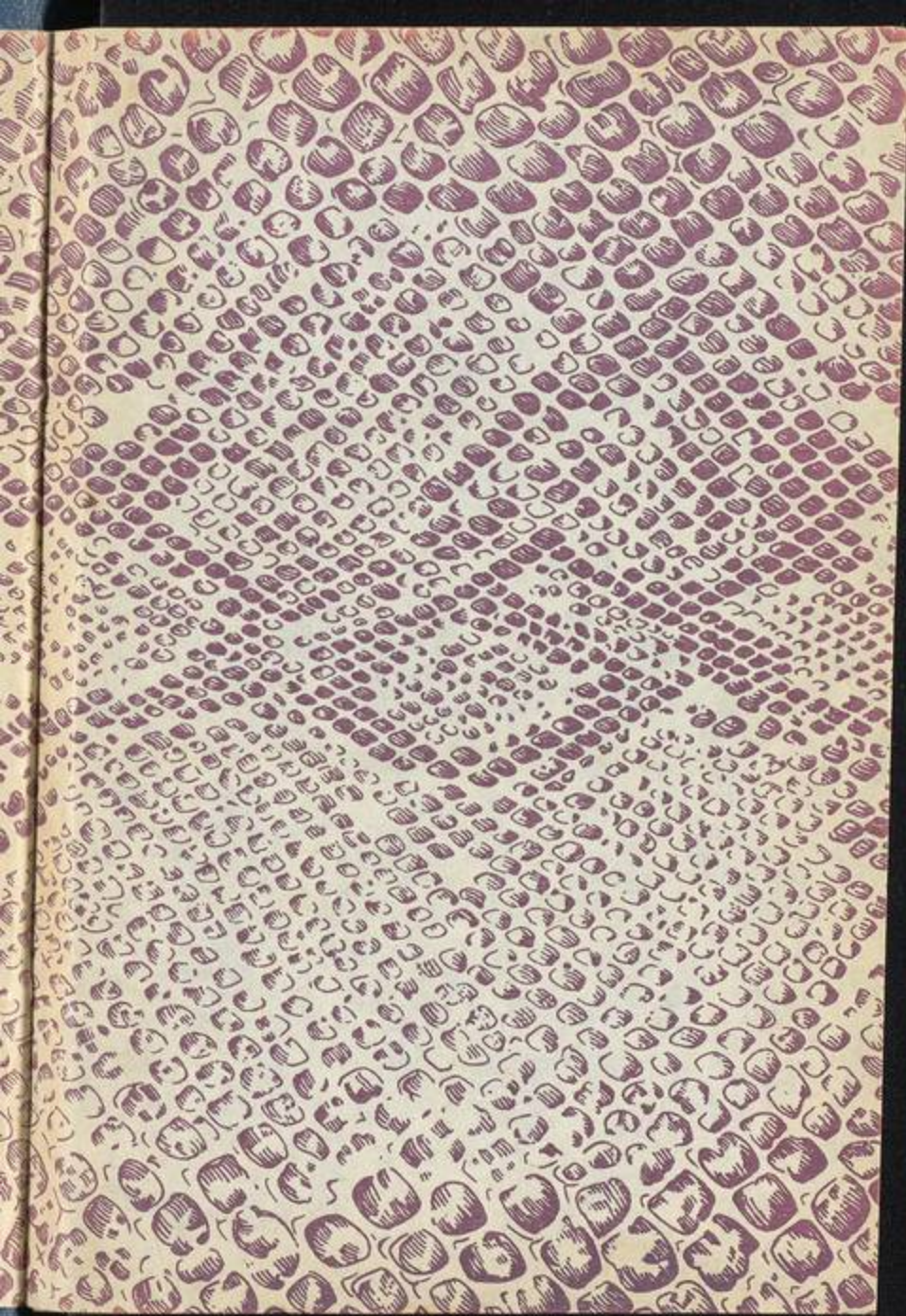
وأثروا إلى الإسلام منقادين لا
فخرارف الدنيا كلمح العين لا
ويكون في الأخرى بلا شك على
فأقول يا قوم الضلال أما كفى
فألى متى لم تنهوا عن غيكم
ربي وربكم اله واحد
متفرد في ذاته وصفاته
قد جل عن عجز وعن جسم وعن
وعن التكلف بالأوامر والمنا
وعن الجهات الست والكيف وعن
فهو الإله الواحد المتصرف السقهار يفعل ما يشالن يستلا
هذا محصل الاعتقاد به فمن
فليسألوا التوراة والانجيل والقرآن كيف عن النقائص قدخلا
وعن الأقانيم الثلاثة مثلما
فهنالك أن تركوا التعصب ينظروا
ويحققوا أن الإله لو احد
وجميع من في الكائنات عبده
فهو الذي ختم الإله به النبوة والرسالة منة وتفضلا
وبشرعه نسخ الشرائع حينما
فأنى بأعظم آية وأجل ما
فاذا بدالي أن أحاول مدحه
يتعلقون بدرهم وبما غلا
تبقى إلى الإنسان مهما حصلا
ما قد جناه محاسباً ومنكلا
هذا تعالوا للنجاة من البلا
فكانكم لا تقبلون توصلا
سبحانه لم يتخذ ولدا ولا
متنزه عن أن يكون محولا
مثل فذات الله لن نتمثلا
هي والتأثر بالعوارض قد علا
كم وعن شيء عليه أشكلا
عنه تحول منه لن يتقبلا
نور الحقيقة ساطعاً متهللا
رب الاراضي والسموات العلى
ومحمداً أعلى الجميع مفضلا
وبه النبوة والرسالة منة وتفضلا
نباه رب العالمين وأرسلا
يأبى لدى العقلاء أن يتأولا
لا كون عند جنابه متقبلا

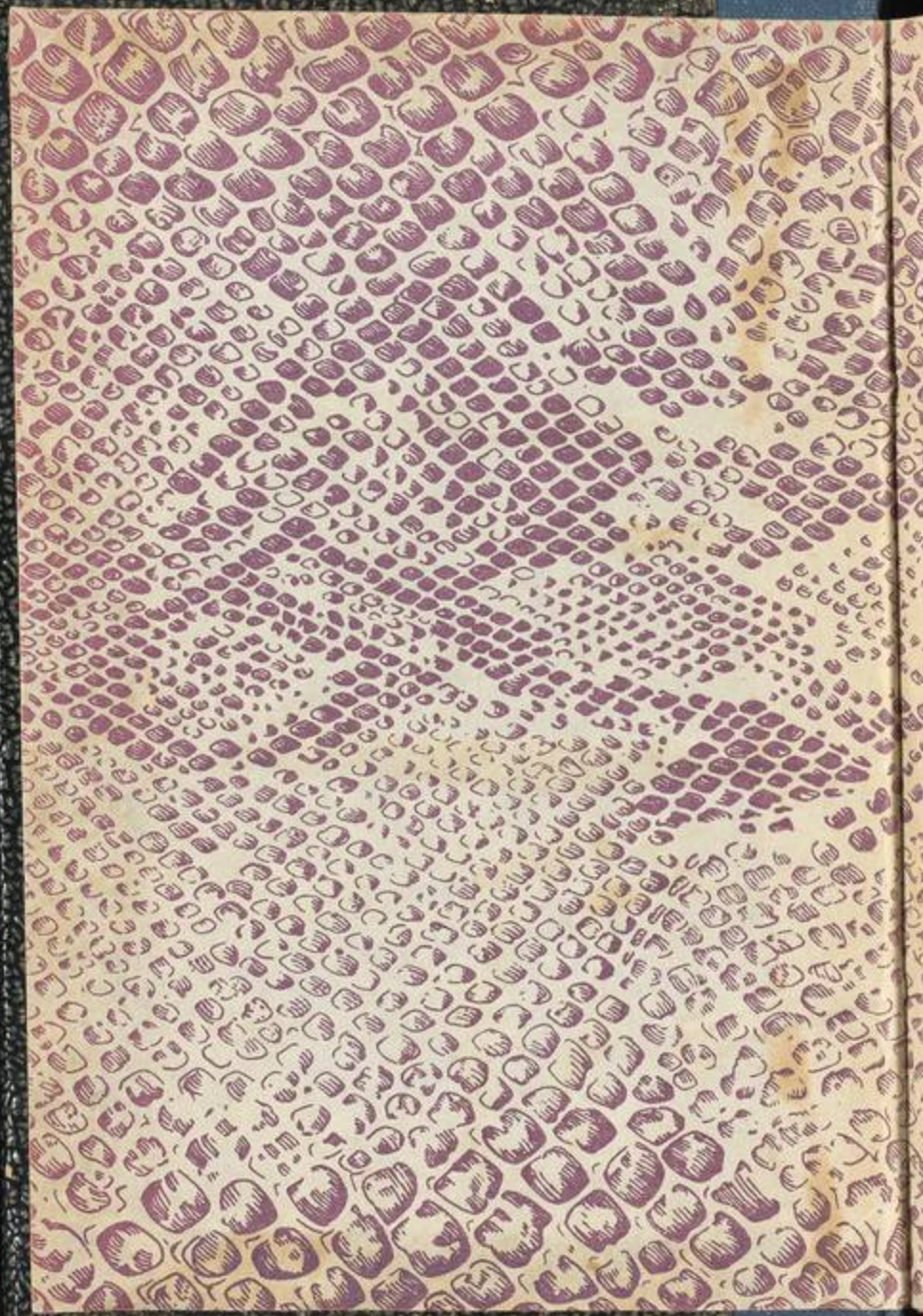
ماذا أقول بمدحه والله قد
 فهو الذي جمع الملاحه والسما
 وهو الذي شهدت بيعته ضرو
 والجذع حن له وسبحت الحصى
 وأقال من ظلماء قلوب الجيش اذ
 وأشار للقمر المنير بخمسه
 وبليلة المعراج خاطب ربه
 فهناك خصصه بكل فضيلة
 وكفى الشفاعة في القيامة حينئذ
 فيقول بشرى للعصاة أنهاها
 فهناك تبقى النار للكفار لا
 وهم النصارى واليهود ومن غدا
 ما ضرهم لو آمنوا بهما وبالذ
 لكن اذا المولى أضل بحكمة
 فالله نسأله بخاتم رساله
 أن يجعل الايمان قوت قلوبنا
 ويعيننا عند المات برحمة
 ويميتنا جمعاً على توحيد
 فصلاة ربي والسلام عليه وا
 ما قام يطوي القول ناشر برده

أثنى عليه في الكتاب وبجلا
 حة والوضاحة والفصاحة والولا
 ب الوحش من ظبي ومن ضب الفلا
 في كفه وغدا السحاب مظلا
 من عشره الماء الزلال تسلسلا
 فانشق نصفين وعاد موصلا
 لما سرى فوق السموات العلى
 لم يعطها أحد سواه من الملا
 انسان ينظر حاله متوحلا
 فيقيهم الله الجحيم المشعلا
 يجدون مأوى غير تلك ومنزلا
 عن ربه ومحمد متحولا
 كره الحكيم وكل شيء أنزلا
 قوماً فلاتك فيهم متأملا
 وبمن يكون به الدعاء متقبلا
 ويديقنا كأس التقرب والولا
 منه ويدخلنا بجنات العلى
 وعلى محبة أحمد خير الملا
 أصحاب والاكل الكرام ومن تلا
 وشدا على غصن النقا طير الفلا

تم السهم المصيب بمحمد القريب المحيب والصلاة والسلام على من هو المرسلين ختمنا







COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59575689

ME06549

Kitab masnun al-ash